مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج ٥ — ٦
جمادى الآخرة ـ ذو القعدة/١٣٩٩هـ.

السنة الثانية
أيار — كانون الأول / ١٩٧٩م.

الصفحة

مــع الكتـــب

• • •

مجمعيــون راحلــون

• • •

تعليقات ومناقشات

• • •

اخبــار مجمعيــة

كُتُب الأَنساب وتاريخ الجزيرة

الدكتور عبد العزيز الدوري
(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١ — لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودَوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثّر في تكوين الكيانات القبلية، بتحديدها او بتوسيعها عن طريق الاحلاف مثلا وتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثّرت في تنظيم الديوان ، وفي التمصير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما اثرت (وتأثّرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحا .

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابين في كل قبيلة ، وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ — ١ وص ١١١) .

وظهر نسّابون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأُوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبَ الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسابين من اهتمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (انظر

ابـن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ من اهتمام خالد القسري بهـا) .

ولـم تصلنا مؤلفات من الانساب الا من القرن الثالـث ، في مقدمتهـا "جمهرة النسب" لهشام بـن السائـب الكلبـي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبلغ الكتابة في اطار النسب اوجهـا عند البلاذري (٢٧٩/٨٩٢) . وسنتناول الملاحظات التاليـة المؤلفات الثلاثة المذكـورة :

٢ ـ وجمهـرة النسب لابن الكلبي (٢٠٤/٨١٩) كتـاب شامل في انساب العـرب (اطلعنا على مخطوطين لـه : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؟ فيـه انساب عرب الشمال، ونسب الازد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز لـه بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثـم أنساب القبائل اليمانيـة؛ وعنوانه : كتـاب النسب الكبير (ونرمز لـه بـ ق ٢) .

ويبـدو ان "جمهرة النسب" جـاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ أ ، ١٩٤ أ) ، في حين أن كتـاب النسب الكبير جـاء عن ابن الكلبي مباشرة . كمـا يبـدو أن ترتيب القبائل لا يخلـو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد اول القبائـل اليمانية في جمهرة النسب ، يبـدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائـل قبل ان يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهـذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثـر الرواية في تناقل الكتـاب .

ويـرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معـد واليمن الكبير، تأليف محمد بـن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جـاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غـير دقيق بالنسبة لكتابنا، ولكنه لـه دلالته . فهل وضع الكلبـي كتابـا في الانساب ؟

اهتـم درس الكلبي (١٤٦/٧٦٣) انساب العـرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض خاصة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته واسهما في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠ — ١) . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ ا) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/٦٤ ا ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ٧١ ا) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي قد تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهاً .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق١/٢ب ، ومن ثنايا الكتاب (ق ١/٦٠ ا : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١/١٦٤ ا) ، و « قال هشام بن الكلبي، قال خراش : كانوا .. » ، (ق١/١٧٢ ا) و « قال هشام بن محمد الكلبي، حدثنا ابو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانىء المرادى .. » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « واسمه اسماء، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي يقول، هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قولـه باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ).
ويرد ذكر بعض من أخـذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الـى اقيط الرواية يقول ابـن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقـي هشام ابن الكلبي لقيطـا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن اعصر) يُرد :« كان شريفا لقيه ابن الكلبـي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكـر مسيك المرادي يرد : « قـال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابـو خباب الكلبي .. الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابـن الكلبي،مثل عرفاء بن مصاد بن شريح،« وقد لقيـه هشام بن الكلبي في زمان ابـي جعفر وهو ابـن تسعين سنة،وكان بدويـا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابـي الشعب) .

وقـد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثـل « وولـد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولـم يذكـر الكلبي ولـد تيـم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنـو الهجيم بن عمرو بن تميم ، وليس هـذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ أ) . او تـرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبـد الرحمن بن ابـي ليلي .. كان مولى الانصـار، فدخل فيهم ابـن احيحة،في قول الكلبي ؛ واما ولـده فقالوا اسمه داود بن بلال بـن احيحة » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبـدو أن محمد بن حبيب قـام ببعض التدقيق او الاضافة في روايتـه ونشره لجمهرة النسب ، كمـا يتبـين من بعض الملاحظات مثل « قال ابـو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبـي، كتبته من بعض ولـد عطارد » (ق ١/٦٤ أ) ، ومثل « وكـان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولـم يكن فيه بـدر وعتبة ، وبدر من كتاب ابـن الاعرابي (٢٣١/٨٤٦) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابـن الاعرابي ؛ « وفي كتـاب ابـن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو ابو عبيد الله بن قتبة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قتمة » (ق ١/١١٢ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/٧٠ ا ، ٦٧ ا ، ٨٠ ا ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ ا) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ — ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايام المامون (ق ١/٢٠٣ ب — ٢٠٤ ا) ، مع تعليق موجز او اشارة مركّزة تبيّن دور من ظهر في المجالات المختلفة — من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برز في يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفد على النبي (ص) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص) خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما نشير بعض من قُتل في ايام العرب الكبرى في الاسلام، كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة، من امراء وعمّال، وقادة، واصحاب شرط، وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو ينوّه بمن تميّز في مجالات اخرى، مثل الخوارج ، وقادة الدعوة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة، كالفقه والنحو والانساب . وهو ينفرد بصدد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا نجدها عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية — امثلة : « مقوم سعد بن

خمدان بن ظالم،كان سيد بني سعد في زمانه .. وكان جاهليًّا » (ق ١/٨٤ أ ــ ب) . هوذة ابن علي بن ثمامة (من بني سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية قيمتها (٣٠,٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهم (الازد) السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من اوفى العرب،وهو صاحب تيماء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٢٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يوم اوارة ، يوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن ماء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومن الفترات الاسلامية ــ امثلة : « ابو رحم،وهو كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول الله في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهلي اسلامي ، وولي حمص،وهو الذي قسمها منازل حين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « فمن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« فمن بني بهدلة عوف بن حصين،وهو الزبرقان بن بدر .. الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « ومنهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئذ البصرة (كذا) ، وهو الذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي،وهو الوليد بن القطامي .. النسّابة ؛ كان في صحابة المنصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـــان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخمس بن عمارة .. وكان فقيهـا بالكوفة » (ق ١/٨٢ أ) . انظـر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهرون الرشيد على الشرقية ، وكـان ولاه الخاتم مع محمد بن شرون ، وولاه قضاء القضـاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علـي مشاهده .. وهو جـد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المـلا يأتمرون بك » (ق ١/٨٥ ب . وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ عن موسى بـن كعب النقيب) .

« ابـو بلال مرداس،واخوه عمرو،ابنـا مدبر بن عمرو .. وامهما ادية،وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/١٤١) .
« راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي،قتـل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٦٨ب ، ١٦٩ ب ، ٢٢٠ب ، ٢٧٨ب [illegible] أ) .

« مـن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٢٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـد الى النبي (ص) وكـان في الفـين وخمسئة (من العطاء) » (ق ٢/٩٠ وانظر ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـير الـى الشعراء (انظـر ق ١/٢٠٨ أ ـ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـ ب) ، ويورد مقتطفات مـن شعرهـم (انظـر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيت وثلاثة ابيات،وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايـام العرب في معرض حديثه عن شريف أو فارس ؛ مثل قولـه : « فمن بني عمرو بـن ربيعة عامر بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يـوم ذي قار » (ق ١٩٧/١ أ) . و « منهم عبّـاد بن مسعود بن عامر، الـذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١٩٦/١ أ ــ ب). و " ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمـة كليب يوم خرار » (ق ٢٢٨/١ أ) . او تـرد الاشارة بمناسبة قتـل شريف، مثـل " ويزيد (غلفان) قاتل كهف الظلـم الغساني يوم جبل فيـد » (ق ١٧٢/١ ب) ، او لحادث ذي صلة مثـل « ضبيعة بن الحارث بن خالد .. الذي يقول لـه عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » (ق ١٨٦/١ أ) .

ومـن الايام التي يشير اليها يـوم اوراة (ق ١٩٦/١ ب) ويـوم الجلاة (ق ١٨٨/١ أ ــ ب) ويـوم جبلة (ق ١٧٨/١ ب ــ ١٢١ أ) ويـوم الذنايب (ق ٢٢٦/١ ب) ، ويـوم الكـلاب (ق ١٣٠/١ ب ، ٢٢٧ ب ، ق ١٨١/٢) ، ويوم قصـة (ق ٢٠٧/١ ب)، ويـوم اللصاف (ق ١٩٧/١ أ ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١٩٦/١ أ)، ويوم النجير (ق ١٠٤/٢) ، ويـوم الاجفر (ق ١٥٥/٢) ويـوم صفاق (ق ١٨٥/٢) ، ويوم فيف الريح (ق ١٨٨/٢) ، ويـوم الآخرين (ق ١٩٠/٢) ، ويوم الزرم (ق ١٩٠/٢) ، ويوم بعاث (ق ٢٦١/٢) ، ويوم عين التمر (ق ٦٢/٢) ، ويـوم النفار (ق ١٦٣/٢) ، ويـوم الكلاب الثاني (ق ٩٨/١ أ) ، ويـوم القرنتين (ق ١٢٤/١ أ) ، ويـوم الحاجر (ق ١٣٣/١ أ) ويـوم الرقم (ق ١٢٢/١ ب) ، ويـوم النحيل (ق ٢٣٠/١ ب) ، ويـوم النسار (ق ١٢١/١ أ) ويوم ذي علـق (ق ١٢٢/١ ب ــ ١٢٣ أ) .

ويتنـاول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عـن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل عـن النظرة بان النسب كلـه لاب واحد ، سواء اكان هذا الدخـول

لاسباب قبلية أو معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول :« وولد زهير بن اياد حذاقة والتمال دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ٢٤٢/١ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « والكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. ومابية وهم باليمن » . ثم يقول « والماضنة فانهم دخلوا في بني عذرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٥/٢) . وعند الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول : « ومنهم بهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١٧٦/١ أ) . وعند الحديث عن جذام يقول : « فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ١٣٣/٢) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول :« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة، عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل الاشرس والديل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه، فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢١٦/٢) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول :« فولد بكر بن يشكر عامر .. ومسعد وعوف والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢٢٧/٢ وانظر ق ٨١/١ أ . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١١٦/١ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود، من حضرموت، في تميم . انظر ق ٨٨/١ أ ، وانظر ق ٨٧/١ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية، فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له اهمية خاصة . ففي اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١٦٥/١ أ ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابناء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث) (ق ١/٩٥ أ) ، وسبب تسمية الريلب بهذا الاسم وما يشمله (ق ١/٩٦ ب — ٩٧ أ) .

وهو يركز معلوماته احيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل مع وصف كل خطوة حتى ينتهي الى مضر (ق ١/٩٥ أ — ٩٦ ب) .

ويشير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من القسم ؛ قال خراش : « كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار وذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد اخيه معاوية يضيف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي اول دية كانت في العرب مئة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول : « وهو الذي بحر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغيّر دين اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ، « وكان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٦) ؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معديكرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه « صاحب مرباع بني هند » ، ويضيف ، « والمرباع ان يأخذ الربع من الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المقربات من بني هاشم ، او اللواتي تزوّجن في قبائل اخرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب من حمير والتيم وسليم ولخم وفزارة ؛ وهو استطراد يبين سُمة الروابط القبلية لقريش ، ويؤكد ما قيل في السقيفة من ان قريشا اوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدها) . ويذكر ان قيسا

(من ولـد منبه بن بكر بن هوزان) وهـو ثقيف قال « اول من جمع بين اختين من العـرب » (ق ١٥٣/٢) .

ويقـدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الحيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، اخ اكيدر (في دومة من كلب) اذ يقول، « وهو الذي علّمـه اهل الانبار خطّا ، هذا الذي يسمى الجزم، وهو كتاب العربيـة ؛ وكان اول من كتبه قوم من طي ببقة فعلّموه اهـل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ». وكان بشر بن عبد الملك ياتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بهـا الدهر ، فتعلمه بشر بن عبد الملك، ثـم شخص الى مكـة في تجارة فعلّمه ابـا سفيان بن حرب بن امية ـــ وابـا قيس بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن اميـة ، ثم اتى الطائف فعلّمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثـم اتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب، ثم اتى الشام فعلّمهـم » (ق ١٢٦/٢) .

ويورد ابن الكلبي احيانـا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكـر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بـن ثعلبة) يقول انهم « اصحاب النخـل باليمامة الذي يصرم في السنـة مرتين ، دعا لهـم النبي (ص) » (ق ٢٢٥/١ أ) . كما يـورد اشارات الى انتقال القبائل الـى الامصار ؛ فعند الحديث عـن عشائر الازد يقول، « وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقـال لهـا عين حرما » (ق ٣٤٢/٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة مـن تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجـد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هـذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهـم مسجد (ق ٨٨/٢) ، وامرؤ القيس بـن الحارث (بطن من كندة) (ق ٨٩/٢) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بـن الحارث (ق ٨٦/٢) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطـن) (ق ٨٦/٢ ـــ ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٦٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطــن) (ق ٢/٩٤ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولــد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابــو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولــد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كنــدة) ، وشجرة (بطن) من ولــد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لهــا مساجد،سلمة وهو الحر (بطن) مــن ولــد عمرو بن ابي كرب (ق ٢/١٠٣) ، وبهدلة (بطن) من ولــد المالك بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمــرو يشير الى بطني جذيمة وحارثة،ولكلٍّ مسجــدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بني مسلية (بطن) من بنــي الحارث بن كعب ولهــم مسجد (ق ٢/٦٣) ويذكــر من بجيلة قيس واوس وعود،لهــم بالكوفة مسجد،مع اخوتهــم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولــد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »ويضيــف « وبالكوفة لهــا بيت ومال وهو ترافم بطن،وبرعم بطن،لهــم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ ــ ٩) . وهكذا يعطــي صورة عن بطون اليمانيــة بالكوفــــة .

ويتحــدث عن اتجاه قبائل سبا في خروجها،ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرســول ، فيذكر ان سبا ولــد عشرة،فتشاءم اربعة وتيامن ستة ؛ فالذيــن تشاءموا،غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا،حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذيــن منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ ــ ٦ ، وانظــر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقــة عن حركة اليمانية .

وختامــا يمكن القول ان ابــن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الاسماء ، ويورد احيانــا ملاحظات اوفى ؛ وهي في مجموعهــا تعطي فكرة شاملة عن القبائــل ورجالها البارزين في الحقــــول الثقافيــة .

هذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب ، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بجهود كاسكل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المسهبة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ — ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ — ٨٤٧/٦ — ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين، كالطبري والبلاذري وابي الفرج الاصفهاني، على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مشترك للنسب [illegible] معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو ان مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال محمد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية، كقوله « قال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٦) ، او « ذكر موسى بن عقبة عن ابي حبيبة » (ص ١٠٢) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لاختلاف بينهم » ، او « قال بعضهم » (ص ٤) . وافاد كثيرا من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عنسيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ [illegible] وستين (ص ٢٤١ مشيرا الى سنّه ليؤكد اتصال الخبر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن [illegible] بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن [illegible] بن عروة بن الزبير وغيره » (ص ١٠٩) ، و« اخبرنا سليمان بن

موالي السعدي قال » (ص ٢٢٩) . واخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله ، « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرا في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله ، « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدل على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود مشجرات بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي أن مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

ه — يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ، فيذكر ان عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويبين أن من ولد مَعَدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى نقد ذلك بقوله : « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدل على ان نسبتهم في معد » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

من ربيعة ومضر ويقول :« وكان يقال ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكر ان بجيلة من انمار بن نزار، وانهم « انتسبوا الى اليمن الا من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول « وقد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمن ، مما يُشْعِر بتحركها جنوبا قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في التاريخ وبَعْدَها تعتبرها يمانية . وقد كان مألوفا في اليمن دخول عشائر او مجموعات في انساب غيرها لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل اهمّ ما في نسب قريش انه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات واخبارا عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، واحيانا المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الى عصره .

واخباره احيانا وافية ومهمة ؛ وقد يتوسع فيها الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ — ٧) ، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامر (ص ١٠٧ — ٦) .

ويأتي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكها في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتب الادب ، ولكنها

على بعضها لا ترقى الى ترجمـة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ ــ ١) . وقد يكتفي المؤلـف بمجرد اشارة موجزة او طويلـة الى حدث (انظر ص ٢٢٠ ــ ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهـو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظـر مثلا ص ٢٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ ــ ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضـاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيـد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايـام المنصور ص ٢٨٤ ــ ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمـة تتصل بالمصاهرات والعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشعِر باهمية المـراة وبدورها (انظـر مثلا ص ٣١٣ ــ ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافيـة عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثـلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ ــ ٣) .

ويتميـز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانـه يعطي احيانا اخبارا لهـا اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشـارة الى وجز بن غالب يذكر انـه « اول مَن عبد الشعرى » ، وانـه كان سيدا في خزاعة، ويضيف« ووجز هو ابـو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول اللـه (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احـدا لا يعمل شيئا الابوزق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول اللـه (ص) دين قريش قالت قريش ينزعه ابـو كبشة ، لان ابـا كبشة خالف الناس في عبـادة الشعرى . . » (ص ٢٥١ ــ ٢) .

ولعلـه ادق من يكشف النظرة الداخلية لمـروان للسفيانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال لـه:« ما اخذ هؤلاء ــ يعني بني حرب بن امية ــ

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تمضي بحقك ، فمن انظر منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف :« ومنا فلان وعند فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا،ودينَ الله دخلا،وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة،في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول : « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فادفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها،فلا يغيبون غائبا،ولا يميتون ميتا،ويعطون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فاراد عاصم ان يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٠٤) . وهو نصّ يدُلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والتعليقات التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٢٢ — ٣ ، ٢١٤ — ٥ ، ٢٢٤ — ٧) .

٦ — اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة لتاريخ العربي الاسلامي،ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبـــدو ان تنظيم خطة الانساب اديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداء بآل الرسول، ثـــم الاقرب فالاقرب . فهو يبـــدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ — ٢٧٨) بعد ان يمهّد لهـــا بمقدمة في انساب العرب ليصلها باجداد الرســـول، وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ — ٤٠) ، يليها ابـــو طالب واولاده (العلويون) (٢٦٠ — ٥٢٦) ، والعباس بـــن عبد المطلب واولاده (العباسيون) (٥٢٦ — ٦٧١) ، واميّة بن عبـــد شمس (الامويون) (٦٦٠ — ١١٩٦ ، و ق ٢ - ١ — ٤١٥) ، وبقيـــة قريش (ق ٢ ٤١٥ — ٦٦٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٦٧ — ١٢٦٨) . وهكـــذا خصص للسيرة حوالي ١/١٠ مـــن الكتاب، ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للامويين حوالي ١/٤ الكتـــاب، وللعباسيين حوالـــي ١/١٦ منه، ولبقية مضر اقـــلّ من ربعه .

لقـــد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، الا القليل منهـــا، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولـــم يتناول ربيعة واليمن، وان وجد ما يدل على ان دراسته تجاوزت مـــا في الكتاب ، الا انـــه توفي قبل ان يتـــم كتابه (حاجي خليفة ٢٧٤/١ . وفي تـــاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمـــن) .

تنـــاول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايـــام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ — ٦٧١) ؛ وهذا يستدعي الانتبـــاه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين مـــن ايـــام المأمون الى ايـــام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلتـــه بالخلفاء العباسيين من المتوكـــل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عنـــد حدود المعاصرة ؟ ان شيخـــه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايـــام المعتصم ، وان بعـــض معاصريه كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري، تناولوا هـــذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . ام ان البلاذري سار على هيكل اهـــل

النسب مثل مصعب الزبيري وابـن الكلبي ؛ لقد بـدا تسجيل العرب في الديـوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يستكمل جديا الا ايـام المأمون ، ثم جـاء المعتصم فأسقط العرب من الديوان . وهذا يعنـي ان تسجيل المقاتلـة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،ممـا يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيا في الهيكـل والتدرج .

وتبـدو ميزة انساب الاشراف في انـه قـدم تاريخا للاشراف العرب في مختلف الحقول ، مـع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقـه وشموله .

٧ — وقـد افـاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة اهمها من اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين، اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكله هو اطـار الانساب،فان عناوينه الفرعية للاحداث الهامة في فترة كـل خليفة،تذكّر بعناوين كتـب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمـات الاشراف متأثر بنمط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائني (٢٢٥/٨٣٦) شيـخ الاخباريين ، وابـن سعد (٢٣٠/٨٤٤) صاحـب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابـن الكلبي .

افـاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابـي مخنف (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبـه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة مـن المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة أو بالنقل من كتبـه) . ومن دراسات اصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابـن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افـاد من اهل الانساب خاصة ابـي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنـه هشام،ومصعب الزبـيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه ومن روايات شفوية اخرى ، وافاد من اسفاره في جمع روايات محلية موثقة من اشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والمدينة، اضافة المدن العراقية .

والبلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رأيه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية باسانيد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبرا متصلا . ويبدو ان النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين ، واصحاب مغازي ، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق في السيرة، او ابي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكمّلة او مباينة ، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبدأها بـ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتمّ اخباره ، وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احداث الفتوح والاحداث التي تتصل بتاريخ الامة في الفترات الاولى ؛ كما انه يعطي اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتممها بروايات اخرى خارجية .

ويدقق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير (مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) . وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاها في صدر الاسلام .

ان ثقافة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه،ومن اشتغاله بالترجمة،ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى انه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية،وبالثقافات الاخرى؛ هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتماما بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية في اخباره،ويتوسّع فيما يورد من مقتطفات شعرية،وفي احيان ، ايراد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بل نكتفي بايراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفاء) .

٨ — ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخا للأشراف العرب في تراجمهم،كلٌّ في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هذا التاريخ ؛ ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ؛ ويعبّر عن النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو،في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثار،معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمه واسعة تسترعي الانتباه،مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٦٦٤ — ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ — ١٢٥٨ اضافة لاخباره في ايام عبد الملك والوليد) ؛ ولبعض الفصحاء والشعراء،مثل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٢ — ٦) واكثم بن صيفي (ص ١٠٧٢ — ١٠٨٧) ، والفرزدق (ص ٨٧٦ — ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ — ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ — ٩٩١) . وقد يفيض في الترجمة لنفر من المعنيين بحقل الاختصاص،كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ — ١٢)،وهو بذلك يكشف جانبا من اهتماماته الادبية .

وفي انساب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخباره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منها حسب دور المترجم له .

ويُعْنَى البلاذري بامور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاسلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « قبل ما ساد قريش مُمْلِق في عتبة وابي طالب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظر اخباره عن محاولة عثمان بن الحويرث ان يتراس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثل اشاراته الايلاف (ج ١ ص ٥٩ — ٦٠) .

ويهتم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٦ ، ٩٠٣ — ٤) ، ويوم غبيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويوم فحتج (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ — ٩٣٠) ، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ — ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ — ٥) ، ويوم القرنتين (ق ٢ ص ٨٣٠ — ١) ، ويوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ — ٢) ويوم النسار ويوم الجفار (ق ٢ ص ٧٢٨) ، وايام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ — ٢) ، ويوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ — ٣ و ق ١ ص ٧٠٠) ، ويوم الحريرة اول ايام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٥) ويوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ — ٣ ، ٨٥٧) ويوم اوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ — ٧) ويوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ — ٢ ، ١٠٢٢) . عدا ذلك ترد اشارات اكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

خسو (ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٢) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويـوم الخبيط (ق ٢ ص ٩٤٢) ويـوم سلان (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـو يورد مقتطفات في مواضع عـدة من نقائض جرير والفرزدق (انظـر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـر من مصـدر في اخبار الايـام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفـق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنـه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشـارة الى ابـي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقـد يأخذ عن راوية من البـدو (مثل مراثي بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) او يكتفي باشـارة عابرة (مثل « قـال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـام توازي روايات محمـد بن حبيب (عن ابـي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصـة .

ويتحـدث البلاذري عن الشؤون المتعلقة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـي ثعلبة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ ــ ٦ ، وانظر ٩٣٠ ــ ٢) ، الى احلاف (مثل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧٢٣ ، ٧٢٨) ، او محاولات ثـأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يد بني اسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ ــ ١) او شـؤون اخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـة الموسم والافاضـة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ ــ ٢) ، بـل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـة الردف والمرازبة (ق ٢ ص ٩١٧ ــ ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـة الاهمية عن الحياة الاقتصادية خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٢ ، ٨٨٧ ، ١٠٠٢) ، بما في ذلك اثـر الجفاف في البادية على سياسة بني [illegible]

وحركاتها ، كما يقدم معلومات ثمينة من نظرة العرب للأرض، ومن تحول الاشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في ماليمة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وان فاقها الطبري احيانا في السعة) .

٩ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (١٩٠/٨٠٥) لدرجة كبيرة ، وياخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) او « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه ياخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) او بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . وياخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام،او بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو ياخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة،مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٦) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي ... وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية،فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره الى مصادر متعددة،فيبداها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحاق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وعلى تلميذه محمد بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير حوالي ٤٠ رواية) . اما ابن اسحق فيرجع اليه بقدر متواضع (٤٣ رواية) . ومثال ذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى ان معظم معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو ان البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا، وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ، ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

١ — في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتاكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ، فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وأُلقيت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون اجلاّء ، من العرب ومن غير العرب .

ويبدو لي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوىء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوى التعريب ، فغاية الامر عندي ان يقال له : تعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ، واذا كنا قد اجزنا ان نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، ان نتجاهل حجج المعارضين ودعاواهم . وغنيّ عن البيان ان دعاوى المعارضين تجملها تساؤلاتهم : اين المصادر العربية ؟ واين المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم اين الدوريات العربية العلمية التي فيها تنشر ابحاثنا ؟ انهم ، بايجاز ، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي ان نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكني ابادر الى القول بان تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تخفي وراءها غير ما تظهر . وانني ، وقد سبق ان خضت مع زملاء لي معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين ان ما لا يظهره المعارضون هو التهيّب والتحرّج : معلّمٌ تَعَلَّمَ بالانكليزية ، وهو الان بها يعلّم ؛ فَهْمُه لها محدود ، وفهمُ طلابه لـه اقلّ القليل ؛ ولكن الامر مُسْتور ، فلماذا يخوض هذا المعلّم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها العربية ؟ انه يخشى ان يعلّم بلغة قد يتقنها طلابه اكثر منه . ان دافع المعارضين الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى ان المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلمية تحت متناول يد القارىء العربي امر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ — ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها ان التعريب خطوة سياسية ينبغي ان تاتي بقرار سياسي من عُل . وفي يقيني ان هذا القرار يعطي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف من فشل التجربة الاولى، لمجرد ان الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا التحرّج الذي اشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يامر بالتعريب ، نبقى بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، وترقب، من حيث تشعر أو لا تشعر، تنفيذه ؛ ونبقى ايضا بحاجة الى خطوات تهيّىء الاسباب للبدء به والسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي ألمحتُ اليها . ولأبدا بثانية الخطوتين :

اقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كليته .

وسئل الرئيس : هل اقــر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولــه ! ان للكلية الحق في ان تعلم بالعربيــة اذا هي ارادت .

ولمـا عرف اعضاء هيأة التدريس في كليـة العلـوم ان رئيس الجامعة يساند التعريب ويلحّ بطلبه ، ارتفعت اصوات الداعين لـــه ، وخفتت اصوات المعارضين . وانّ كليـة العلوم في الجامعة الاردنيـة تستطيع الآن أن تبـدأ التعليم بالعربية ، في العـام الدراسي القادم ، في السنة الجامعية الاولى ، على الاقـل .

ولا شـك ان خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا خطوة سبقتها ومهّدت لهـا السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمـع اللغـة العربية الاردني ، واكثرية اعضائه مـن رجالات الجامعة الاردنيـة . ذلك ان المجمـع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلـوم الاساسية ، اختارها اساتذة كليـة العلوم انفسهم على امـل استعمالها في السنة الاولى الجامعية ، وبعض الثانيـة .

وقـد أعلمت الجامعات العربية والمجامـع اللغوية بهذه الخطوة التي خطاها مجمع اللغـة العربية الاردني ، وتوالت على المجمـع كتب التأييد والتشجيع من مختلـف الجامعات والجهـات .

٣ ـ ولكنّ غنيّ عن البيان ان امـر ترجمة الكتب العلمية لا ينقضي بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا الف ؛ انه عملية متواصلة دائبة ، لها بداية ، وليس لهـا نهاية . انها تمشي مع التعليم الجامعي جنبا الـى جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيـل الذي يليـه .

في اوائـل هذا القرن ، قـام واحد من رواد ما يسمى بالنهضـة العربية الحديثة ، بترجمة كتـاب انكليزي في الهندسة المستوية . ولعلّ اكثرنا يذكر الكتاب ، فقـد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب « هول وستيفنز » . ولقـد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن لــي

مدارس الشرق العربي . ولقد نفض الاصل وتوقف عن الطبع ، وطال سن بعده الترجمة تطبع المرة تلو المرة .

مثل هذا لم يعد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر يتطور فيه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للناس ؛ فما من كتاب علمي يصمد لرياح التطاور اكثر من خمس سنوات او عشر بعيدها او قبيلها يطرح على الرف ان لم يبادر المؤلف الى تجديده على نحو يتفق مع ما استجد من معلومات وخبرات ومفاهيم واقوال . لذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق، ويزحم بعضها بعضا ، فما كان كتابا موفقا بالامس ، يسقط اليوم في الميزان .

وليس هذا التغير المستمر نقصا في الفكر العلمي ، ولكنه من طبعه وطبيعته ؛ فاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطور هدف العلم . والتطور في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هي الخلود . نظرتان مختلفتان، ولكنهما تلتقيان في الافق البعيد .

مما تقدم نخلص الى ان ترجمة الكتب التعليمية عمل ينبغي ان يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهذه ضرورة تزداد الحاجة اليها كلما مضينا قدما في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه ان نبقى مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيار التطور العالمي .

فاذا اضفنا الى هذا السيل من الكتب التعليمية التي تخرجه المطابع ، كتب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، لوجدنا اننا امام امر جلل يفوق كل وصف . قدر ما تخرجه مطابع العالم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لو جمع في مجلد واحد لبلغ هذا المجلد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكر العالمي ، والقارىء العربي له علينا واجب تعريب هذا الفكر اليه ، وهذا واجب لا بد من الاضطلاع به اذا كنا نبغي أن تكون الاجيال العربية

على علم بروح العصر ، وعلى فهم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب يستلزم ترجمة دائبة متصلة .

انني ارجو الا يظن انني في تحمسي للترجمة خلطت بين مهمتين : ترجمة الكتب التعليمية من اجل التعريب ، وترجمة الفكر العالمي الذي يستهدف خلق اجيال عربية تضيف الى موروثها الفكري والحضاري الذي نعتز به فهما ووعيا لروح العصر الذي نعيش فيه . صحيح ان هنالك فرقا بين المهمتين ، ولكن يخطىء من يظن ان التعليم يمكن ان يمضي سليما بمعزل عن الحياة ، او ان التعليم في اي عصر يمكن ان يُقَوِّم الفهم الايجابي البناء بمعزل عن فكر ذلك العصر . انه يكون كثمرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلوة فانما تطعم آكلا واحدا ، اما الشجرة فتطعم الناس اجيالا واجيالا ، وتفيء بظلالها على كل مستظل . اني اتمنى ان يكون تعليمنا ، لا ثمارا يتخاطفها الآكلون ، بل اشجارا تؤتي اكلها الشهي وظلها الظليل ورونقها الغض النضير . لعل من نقائض نُظُمنا التربوية القائمة انها تقدم ثمارا شهية اكثر مما تغرس اشجارا ندية .

٤ ـ نحن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هو واجب الترجمة . وامر الترجمة لا يجوز ان يبقى فوضى بلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة اقليمية ، وكيلا يهدر الوقت والجهد بترجمة الكتاب الواحد اكثر من مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميدان مصطلحات متضاربة تدخلنا في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلة .

المطلوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعات العربية ، وتشاركها المجامع اللغوية . والترجمة لا تتمّ بمجرد ان تنقل مادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بد من طباعة ، ثم لا بد من نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامع بالترجمة ، ثم تسلم امرها الى دور النشر التجارية ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهو لا ينبغي ان يكون في الكتب التعليمية التي نؤلفها او نترجمها لابنائنا الطلبة وزملائنا العاملين .

اذن تُحْسن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتب للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ ـ ارجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن اجل التعريب بنت المرء فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيّ عن البيان اننا لا ينبغي ان نؤجل التعريب الى ان نترجم وننشر ، ونُقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر . ان ما اقدم عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة فيها كثير من المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن الاساتذة في الجامعة الاردنية من ان يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك ان تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن ان يمضي قدما ولو مرحليًّا .

اليس امرا هيّنا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرشد الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، ايسر لي واضمن لفهم الطالب من ان احاضره بلغة لا يفهمها ، ثم احيله الى كتاب يُحوّل درس العلم عنده الى بحث في القاموس . ومثلي على يقين أن الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان كثرت الكتب المترجمة ؛ وهو امر سيتزايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ ـ ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هيّنة ، وانما هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولهذا فاني في التفكير فيها تفكيرا صافيا بنّاء ، احللها الى عواملها الاولية . ومن عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ ولماذا نترجمه ؟

بعبارة اخرى : ابحث في امـر الكتب التي نترجم ، وامـر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمْـر نشر هذه الكتب .

ا ـ امـا بصدد الكتاب الذي يترجَم ، فبين البيروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عـام يقوم باختيار الكتب،فيوقعنا في بـطء الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبـادرات الفردية ، كان يقوم كلّ مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو لـه ، ثم اذا بنا نجد الكتاب الواحد اكثر مـن ترجمة واحدة ، ارى ان نختـار طريق المركزيات المحلّية . ففي الاردن ، مثـلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من اجـل التدريس ، فيعرضون قائمة باسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكليـة ؛ فاذا اقتنع المجلس بجـدوى الترجمة ، آخذا بعين الاعتبار عمـر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التأليف من ناحية اخرى ، يتقـدم بطلب الى مجمع اللغـة العربيـة الاردني ؛ فاذا اقـر المجمع الترجمة،يخبر بذلك الجامعات العربيـة والمجامع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فـاذا انقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبـح الجامعات والمجامع في حلّ من امـر ترجمته .

فمـا المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجـه هـذا الترتيـب البسيـط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجـد الى جوارها مجمعا مستعدا للاشراف على ترجمة مـا توصي بترجمته من كتب وعلى تمويلـه ، يمكـن ان تستعيض عنـه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كـي يتولى مهمة المجمـع هذه،مستمدا سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حـق الترجمة ، اذا امكن ، امـر ينبغي ان تسعى اليه المجامـع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنـا اننا لم نرتبط عالميـا باتفاقية حق المؤلف والناشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلـف او الناشر او كليهما اننـا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعـد ذلك ملاحقة قانونية .

ثالثا : ان النظرة الواقعيـــة قد تغاير توحيد الكتاب الجامعي في جميع انحاء العالم العربي . ولعـــلّ في ان يُتَرْجَم في الموضوع الواحد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فأبناؤنا بحاجة الى كتب مقررة والى مراجع ؛ وإن مـــن الخطر ان يكون ثمـــة مرجع واحد يرجع اليـــه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر مـــا ينبغي ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استُعمِل كتـــاب مؤلَّف محليًّا،فينبغي ان يجري ... الترجمة ان يكون هـــذا الكتاب من مستوى جيـــد ... يجدَّد ويجب تغييره بدون تردد . ان لـــم يكن ما نؤلفه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيـــه .

خامسا : بالتأكيـــد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللغـــة ولا من حيث المحتوى ؛ فكـــل كتاب يُتَرجَم او يُؤَلَّف فينبغـــي ان يُعرَض على لجنـــة تقييم تشهد بسلامة لغتـــه وصـــحة ترجمته .

ب ــ نأتـــي الآن الى اختيار المترجمين : فهؤلاء غالبا من الطلبة الباحثين ، كل في ميـــدان تخصصـــه . والاساتذة منهم قلة يقدرون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرون . امـــا اولئك الذين يقدرون على الترجمة فقد اوتوا موهبة عالية،هي القدرة على فهـــم النص فهما صحيحا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صـــحيحـــا . مثل هؤلاء قادرون على ان يكتبـــوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المـــردود المادي للترجمة مجزيا ، فسينصرف هؤلاء الى ... الى كتابة المقـــالات ؛ وان هـــم لم يترجموا فكل ما ندعو اليه مآله الفشل . لذلك لا بـــد من حافز سخيّ يحفزهم للترجمة . واول ما يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمـــة الناجحة مبررا قويا للترقية . انني اقولها بكل ما املك من قـــوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث ... الاصيلة ، فـــان الترجمة الناجحة اكثر منهـــا فائدة وادعى للترحيب . ولـــذا فاني ادعو الى جعلها مميِّزا يُستَدعي الترقيـــة .

امـا الذين لا يقدرون على الترجمة ، فـلا ينبغي ان ندير لهـم ظهرنا ؛ ذلك ان الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومـن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولـذا فعلى المسؤولين عن أمـر الترجمة اخـذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والاناة،عساهم يغدون بعد حين احسـن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة أن تساعد على تخريج اجيـال ممن يتقنونهـا .

وبصـدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقـوّة ان يكون من مساقات كل قسم مساق واحـد على الاقل يقتضي ان يقوم فيـه الطالب بترجمة كتاب ، أو فصل من كتـاب ، او بحث في ميدان تخصصه . ويمكـن ان تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خُطّط لمثـل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبْذَل فيه من جهـد مثمرا اكثر مما نتصور .

واود ان اشير الى العـدو الرابض في المحتـل من ارضنـا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغـة بعد ان لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغـة اكثر الفكر العالمي الرصين،وكوّنوا لهـم مكتبات تنافس اغنى المكتبـات .

فـاذا تصوّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية ملء العين ، تتلمّه وتشرف عليه مكاتـب متخصصة ، في رحاب مجمـع لغوي أو جامعة ، وترجمة اخرى جـادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل مـن المصطلحات العلمية ، منهـا المعرّب ومنها المترجم ،ومنهـا القديم ومنها المستحدث ، ومن هـذا المستحدث ما قد يصمد وما قـد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضـه اللسان . ومع هذا السيل الـذي يتدفق في كل قطر ، مَن ذا الذي يضمن الاّ نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصـة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالَ السياسـي ؟ !

الـذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هـذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على المجامـع اللغوية ، كما تساعـد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلـى رفض ما لا تراه مناسبـا .

واذا كنا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطالب ان يحترموا [illegible] في ما يرونه مناسبا من تعريب او ترجمة للمصطلحات المستحدثة ، واذا كنا ندرك ان مفاهيم بعض المصطلحات يعتريها ما يعتري [illegible] ذاتها من تطور ، فينبغي الا نتردد قيد انملة في اشاعة ما تقرّه المجامع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالحاح على الالتزام بها [illegible] ياتي ما هو احسن منه . ليست الغاية التي نستهدفها [illegible] على استحداث المصطلحات ، ولكن الغاية ان نعمل على [illegible] العالم العربي .

ومكتب التنسيق ، الذي يقوم بهذه المهمة [illegible] يكون من العلميين المتخصصين الذين يشاركون في الترجمة ذاتها [illegible] ويعرفون عمّا يتحدثون . لذا ارى ان يكون هو نفسه مكتب الترجمة [illegible] ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى المجامع .

جـ — وبعد الترجمة تاتي الطباعة والنشر .

اما الطباعة فتتولّاها المطبعة ، والتكنولوجيا تولي الطباعة [illegible] اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن احدث مطبعة نجده بعد سنتين [illegible] فاته قطار التطور السريع . ومع تطور الطباعة ياتي التفنّن بالتصوير والاخراج وعرض الكتاب على نحو جذاب . ولقد اقتضت التجربة العملية والممارسة ان المطابع المحلية تجد اسهل عليها [illegible] ان تلبي الطلبات المتزايدة : من اخراج جذاب ذي الوان [illegible] باللجوء الى مطابع في اثينا او روما . وهذا امر مؤسف ، ولكن [illegible] علاجه من شان المطابع المحلية . علينا ان ندفع بها [illegible] وهي عاجلا او آجلا ستستجيب .

ولكن الطباعة غالية التكاليف ، انها تبلغ اربعة [illegible] تكلفه الترجمة . واذا كان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى [illegible] من الطلاب ، ضمِنّا ان تُستَرَدّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن [illegible] يتوافر مثل هذا العدد في غير السنة الاولى الجامعية . اما في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا يتحمّله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزات مبعثها التغيّرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يُسند بعضُها بعضا على نحو يُتفَق عليه وتُوَقَّع بصدده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تسند الدولُ العربيةُ الغنيةُ مكاتبَ الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع اعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزوِّد كلٌّ مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغيُّر السريع في الكتب .

المطلوب، على كل حال ، ان يكون بامكان كل مكتب ان يُقْدِم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف ان عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة اعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي باسره .

الخلاصة مما تقدم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزِّع فيها اعباء الترجمة ، وتُحَدَّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل انني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات باكثر من لغة اجنبية واحدة . وانا ابيح لنفسي ان انصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وانني انظر في هذا الامر نظرة واقعية ، فأرى النقاط المحددة التالية :

١ — ان طلابنا يأتون الى الجامعة بعد سنوات عديدة كانوا فيها يدرسون اللغة الانكليزية مع موضوعات تعليمية اخرى . فهم في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم اولاً لم تتح لهم فرصة التحدث بها بالقدر الكافي . ولا فرصة استعمالها في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلميـة .

٢ — في تقديري ان اي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغة الانكليزية لا يرفع من مستواهم بالقدر الملموس ، [illegible] تنصبّ على دراستهم والتحدث معهم في موضوعات تخصصهم [illegible] هذه المساقات تعرّفهم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنها كالمساقات التقليدية التي سبق لهم ان درسوها في المرحلة الثانوية ، لا تحسّن مستوى توظيفهم للغة في شؤون الحياة اليومية .

٣ — ان ما يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حد ملموس باللغة الانكليزية، تحدّثا وكتابة، هو ارسالهم للعيش في محيط انكليزي لمدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليوم للتعلم في بلد لا يعرفون من لغته كلمة واحدة ، ثم هم بعد ستة اشهر يصبحون على علم بلغته يمكّنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ — وغنيّ عن البيان اننا نتمنى ان يحرص جميع ابنائنا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننا نعلم ان هذه الامنية لا تتحقق الا بقدر محدود .

من هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة [illegible] ان تعريب التعليم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق او مساقين في اللغة الانكليزية ، يعرّف الطالب باعم المصطلحات العلمية ومعاني التعبيرات ، ثم مساقين او أكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية [illegible]

ليعدوا الاطلاع على استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيها ، يخرج لنا طلابا اكثر ممن نخرجهم الآن اتقانا لموضوعات تخصصهم، واقدر ايضا على استعمال المصادر الانكليزية العلمية . فمن شاء مزيدا من معرفة الانكليزية فليعش في جوّ يتيح له ان يتعلم المزيد من الانكليزية تحدثا وكتابة .

ولا ينبغي ان ننسى اننا اوصينا بان يكون من واجبات كل طالب في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغة الانكليزية،استكمالا لمتطلبات تخرجه .

ارجو ان اكون قد وُفّقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض الحلول .

د. أحمد سعيدان

تعريب العلوم الإنسانية

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود [illegible]

(عضو مجمع اللغة العربية [illegible])

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سِمَة من سمات التراث العربي [illegible]
فمنذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية [illegible]
ما أُنتج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت [illegible]
دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان [illegible]
وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرِّم في النصوص
القرآنية ، كما لم يُكرَّم في اي نص . فضلا عن ان [illegible]
الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد ركّزت تركيزا خاصا [illegible]
الانسان ، حتى ليصحّ القول إن من خصائصها الاولى الاهتمام
بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والاحوال
الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا ان يستعرض النتاج الفكري
لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتغلغل العميق
في احاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى ان شأن الدراسات الانسانية عند ايّة
امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات
الانسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في
حين ان الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، [illegible]
نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات
والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولهذا فان قِيَم الامم ومُثُلها وقواعد

انطلاقها ، انما تتراءى فيما يصدر عنها من دراسات انسانية ، قبل أي نوع آخر من الدراسات . ومعنى ذلك ان العلوم الانسانية لاية امة ، ينبغي أن تكون منبثقة من ذاتها ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الامة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتها حضاريا في امم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلق كل امة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فلا تطلع على ما لدى الامم الاخرى ، وانما المقصود ان يُكيَّف ما يؤخذ من الاخرين مما يُستَحسَن ويُقتَبَس، حتى يصطبغ بصبغة الامة المقتبِسة ، ويندمج في ذاتها وقيمها ، لكي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلّط وطغيان .

ولقد مرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية منذ القديم ، عندما اختلطوا في زمن العباسيين، بشعوب اخرى ذات تراث حضاري عريق ، فترجموا من كُتُب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا من كتب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانوا قادرين على أن يستوعبوا ما اخذوه عن الفرس واليونان معا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهم كانوا في مرحلة ثقة عارمة بالنفس جعلتهم قادرين على ان يطوّعوا ما يأخذونه من الاخرين لعقيدتهم وقِيَمهم ، بعد ان طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهم اذ ذاك بانهم كانوا يدينون بخير عقيدة ، ويتكلمون خير لغة .

ومع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العرب في تلك الحقبة عن الآخرين في نطاق العلوم الانسانية ، يرى انه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امر طبيعي متوقَّع، لان ما كانوا يفتقرون اليه من العلوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تُمَسّ ، كما ذكرنا آنفا ، ذوات الامم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين ان اعتزاز العرب اذ ذاك بما لديهم من قيم انسانية نابعة من عقيدتهم ، كانت تشعرهم انهم في غنى عما لدى الاخرين ،

وانهم هـم الذين يحملون رسالة انسانية عامـة ، من واجبهم ان ينقلوها الى شعوب الارض جميعـا .

والـذي ينبغي ان نتذكره الآن ، هو انـه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا ثقـة اسلافنا بالذات ، بل على النقيض من ذلك ، كنّـا ـ وما نزال لسوء الحظ ـ نحس بتفوّق الآخرين في كـل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولـذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية كثيرا ما نأخذ ، نتعرّض ، اذا لم نُحسِن التنبُّـه ، الى مخاطر احلال آراء محلَّ قواعد ، وقِيَـم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر الذوبان بشخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية اخـرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعـد ان كادت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعها ، وبعد ان وُلّدت تجربتنا الصعبة مـع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالانهزام عند الكثيرين منـا ، بكل ما ينبثق من هذا الشعور من هوان على النفس ، ونقـدٍ قاسٍ للذات يبلغ حـدّ التهديـم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربيـة :

في نطـاق الحديث عن تعريب العلـوم الانسـانية في الجامعات العربية ، قد يقال ان القضية غـير قائمة اصلا ، او هي قضية جزئيـة ، لان العلوم الانسانية : مـن فلسفة واجتماع وتربية وعلـم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه ممـا يدخل فيما اصطلح على تسميته ب « العلـوم الانسانية » ، تُدَرَّس فعلا باللغـة العربية في الاكثرية الساحقة من الجامعات العربيـة ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؛ ولا يشذّ عن ذلك الا عـدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغـرب العربـي .

وهـذا القول ، ولو انـه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انـه يغفل مجموعة من الامور التي لا بـد من توافرها ، لكي يصبح

يوسعنا القول بإن هذه العلوم معرّبة فعلا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ — ان اللغة التي تدرّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات اجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها ابناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ — ان المصطلحات التي تُستَعمَل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى اخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بالفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تَلَقَّى فيه استاذ المادة ثقافته .

٣ — في كثير من الجامعات العربية ، لم تُجرِ محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربي مقابل سَبَقَ أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن ان تتوافر في مفردة جديدة على الأذن العربية .

٤ — وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقل الخلفية الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر اوروبي او امريكي ، ولا مدى تواؤم هذه المادة مع المجتمع العربي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي ان يكون على علم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقدَّم المادة الى الطلبة ، وهم على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، وبمدى تواؤمها مع مجتمعهم .

٥ — وقد يحدث أن يكون الناقل — مترجمًا كان أم مؤلفًا — لا يتعاطف فكريا ووجدانيا مع المجتمع العربي الذي ينتمي اليه ؛ بل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمع ، وما ارتبط به من نُظُم وقواعد وقيَم ، ومن التطورات التي مر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هم مدرسو العلوم الانسانية الذين كانت جميع دراساتهم التالية للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبية لا تُعنَى اساسا بالمجتمع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط به وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي في هذه الجامعات وهو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انه يعرف بحكم دراسته اشياء كثيرة عن المجتمعات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلده ليدرّس في جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمه الى طلبته ، ان طبيعة المادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

والخطر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تداخل القيم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيم والقواعد احيانا ، يُحدثان اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوس غضّة كنفوس الطلبة ، تكون في دور التطلّع الى القيم والمثل والانتماء التي تبنى عليها الرابطة الواحدة في البلد الواحد ، او الانتماء الواحد في الامة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبة العرب ، وامة العرب .

التعريب في صورته الصحيحة :

ايّ نوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردناه تعريبا سليما بريئا من الثغرات والمحذورات المذكورة آنفا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات، كما اوضحت آنفا ، هي ، الى حد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريده للعلوم الانسانية التي

تُدرّس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، يفترض أن يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب يقتصر على أن تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة السليمة ، بل لا بـــد كذلك من أن تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، أن اللغـــة العربية يمكن أن تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شأنها في ذلك شان ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يُنشُر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه ان يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من اي نوع انـــه قادر على ان يجد المرجع الـــذي يقـــرا فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما انـــه قادر على ان يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

المـــدرس :

كثـــيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في مواد دون اخرى ، هو امنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غـــير قادر على أن يدرّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد ان تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان وما يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مُعَدًّا لان يُدَرّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر ان يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول بعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثبت كثيرا للتمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ـ اذا افترضنا اولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقاً ، لانه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد مدرسي العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاءل الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بان يستبدل به مدرسون عرب . وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوق في مادة تخصصه فلا باس من ان يدرّس جزءا من المنهاج في اطار القسم باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرّس اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية يلقيها مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مادة النصوص الاستشراقية المكتوبة بتلك اللغة .

٢ ـ اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعي على أن يدرس باللغة العربية ؛ ويُرَدّ على ذلك ما يلي :

١ — لا يمكن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمع عربي ، ودرس مدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العام باللغة العربية (هذا اذا لم يدرس بعد ذلك في اية جامعة عربية) يمكن أن يكون اعجميا غير قادر على الابانة ، لمجرد انه قضى بضع سنوات من عمره في بلد اجنبي . وحتى ان تَعَثَّر هذا المدرس في بداية تدريسه بلغته القومية ، فان الممارسة والمران كفيلان بأن يزيلا هذا التعثّر تدريجيا ، الى حين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ ما ينبني على التعليم باللغة القومية من آثار ايجابية على المتعلمين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهم القومية أضعاف تفاعلهم مع افكار تقدّم اليهم بلغة اجنبية .

٢ — وحتى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر ودقة في اللغة العربية ، يُقتَرح ما يلي :

ا — استحثاث هؤلاء المدرسين على مطالعة الكتب المكتوبة بالعربية ذات العلاقة بتخصصهم ، ولا سيما كتب التراث العربي ، التي تقدّم لقارئها افكارا ومادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بما في ذلك المصطلح الفني العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس، بالطبع ، ان يستفيد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانية .

ب — اتاحة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المواد في الجامعات العربية ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهد باستعمال اللغة العربية في التدريس ، ان يشهدوا تدريس هذه المواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسها

باللغة العربية ، وان يشاركوا هم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبة الجامعات العربية حديثة العهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرسيهم فرصة الاستماع الى مدرسين زائرين أَلِفوا التدريس بالعربية ، وهم يحاضرون بهذه اللغة .

ج ـ تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُعَدّ خصيصاً لمدرسي العلوم الانسانية ، ويُعْتَمَد فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، فتكون هي المحور الذي يُنطَلَق منه في عملية التدريس ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعثّر مشافهةً وكتابةً بالعربية ، وزيادة الالفة بالنص العربي المرتبط بالعلوم الانسانية . ويمكن ان يُدخَل في هذه الدراسات كذلك اعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغة العربية .

د ـ وقد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، ان يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للاستماع الى اساليب تدريس العلوم الانسانية التي تقع ضمن اختصاصاتهم ، اذ ان ثمة الكثير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما ونحن نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .

المصطلح :

ومن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقاً من فكرة [illegible]

مؤداها ان المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما ان مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا امكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الامة العربية ، ان تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا ان نتجاوز هذه الصعوبة كذلك اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخطّطنا لايجاد حل لها ، على اساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف التمييز بين اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والانبهار باللغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، او على اكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبثقين عن الحياة المعاصرة .

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن ان نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخصها فيما يلي :

١ — ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي ، في الواقع ، اقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ — ان تراثنا العربي ، بدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، لا [illegible] الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي [illegible] على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ [illegible] انها قد اكتُسِبَت ،عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون لالفاظ اخرى ، [illegible] انها استُخدِمَت في ظل حضارة وقيم عربية ، [illegible] في الحياة .

٣ ــ واذا عَزَّ اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الافضل ان يُنظَر في تلمُّس المصطلح العربي المقابل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات [illegible] الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح [illegible] الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح ، فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد [illegible] لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ان كانت له صبغة عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ــ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصّصه ، تُلتَمَس هذه المصطلحات في المعجمات [illegible] المتخصّصة ، ومن ثم تُلتَمَس لها المقابلات العربية .

٥ ــ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُقسَّم [illegible] فرع من فروع العلوم الانسانية تراثيّ [illegible] الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم [illegible] العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على [illegible] ويضمّ بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، [illegible]

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم كأي معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، في فترات زمنية متلاحقة عليهـا .

٦ — وغنـي عن البيان ، ان جهودا كهذه لا يمكن ان تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد عن القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربـي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم التطبيقية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي أو اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـــن العربـي كلّـه .

٧ — ولتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلّبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تَعُـدْ مجهولة لمـن شاركوا في اعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظّمهـا وتشرف عليها في العالـم العربي ؛ وهي كما يلـي :

أ — تقـدم الهيأة المحلية في بلـد عربي بجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه الهيـأة ، غالبا ما تكون مُجْمعا اللغـة العربية،إن وُجـد ، أو جامعة ، او ايـة مؤسسة معنية باعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب — ترسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة التربية والثقافة والعلـوم .

ج — تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العالم الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، وتُناقش مقترحات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثق من المؤتمر ، وتختص كل منها بمادة من المواد .

د ـ يُمثِّل ما اتفقت عليه هذه اللجان تبنيّاً على مستوى العالم العربي لمصطلحات معينة . وان تم تبني هذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلد عربي ، في جامعاته ومؤسساته المختلفة ، يكون ملزماً أدبياً بالأخذ بها واستعمالها .

هـ ـ وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم المختلفة ، ينبغي أن تُجمَع في معجم فنّي يضمها جميعاً .

ولا بدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذله مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلاً عن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق أعمق وأوسع في البلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصين ، لم يستفيدوا ، أو لم تتح لهم فرصة الاستفادة ، من محتوياتها .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الانسانية ، ان يُتَّفَق على ان توضع في نهاية كل كتاب يُترجَم الى العربية من لغة أجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية التي استعملت في الترجمة ؛ لان في ذلك فائدة لقارئ الكتاب ، ولان حصيلة هذه القوائم ستكون من الروافد التي تغني عملية التعريب المستمرة .

المنهـاج :

قـد يبـدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـوم الانسانية امـرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـا تعريب هذه العلوم بالمعنـى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـوم الترجمة ونقـل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضـوع التعريـب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـى السواء . ونحن اذا استعرضنـا مناهج التربية وعلـم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـل المثـال ، فاننا قلما نجد في هذه المناهج مـادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـة،او اشكال تطبيقها ، او عـن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أنجـز في هذا الميدان من دراسات ، او عـن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـن استخلاصه من النظرية والتطبيـق .

ثـم ان هذه المناهج ، قَـلَّ ان تُركِّز على المجتمـع العربـي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـه ، وتَلمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـرد دراسات نظرية ، بـل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، او هكـذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـون في الجامعات العربية دراسة للمجتمـع العربي في حاضره وماضيـه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعـات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفهَم منه ، ضمن مـا يُفهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـي والمجتمع العربي ، من اجـل صياغة الفكر العربي،والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـوم ، دون غيرها ، هي التي تحـدد هويـات الامـم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـي ينتمون اليها : بتراثهـا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـا نحـو المستقبـل .

واذ ندعو الى ان تعالج في مناهج العلوم الانسانية قضايا الانسان والمجتمع العربيين ، لكي لا تكون هذه المناهج نسخا عن مناهج وُضِعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوصّل اليه هذا العالم من افكار ونظريات تتعلق بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك ينبغي ان تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ؛ حتى لا يَشْعُر طالب التربية مثلا ، انه يعالج امور التربية في امريكا [illegible] ، و لا يشعر طالب الاقتصاد ان قضايا السوق الاوروبية المشتركة [illegible] تطغى على القضايا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، [illegible] الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرّس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في [illegible] منهاج مادته ، فانه مدعوّ الى ان تكون هذه المادة [illegible] الاهتمامات بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالمام بايّة نظريات او قوانين عالمية نافعة يستفاد منها جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة [illegible] الباحث للوصول الى الحقائق .

الترجمة :

عملية التعريب في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم العصر ، تقتضي ترجمة كتب اجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

وتلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليل . ولكن يبقى ان نتساءل عن نوعية الكتب التي تُترجَم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن ان يُترَك امر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤون منها ويترجموه كما يشاؤون .

ولعل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة من التصورات في هذا الشأن :

ا — تتكوَّن باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يختصّ كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضمّ اعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهات الكتب في الموضوع المعنيّ ، من اجل نقلها الى العربية .

ب — بمكان البرنامج بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثَّلة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللغة الاجنبية الشائعة فيه .

ج — تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حيثما وجدت ، ومع اية هيأة او افراد يمكن ان يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د — تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بان تقتني منها في مكتباتها ، وبأن تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ — تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من اجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و — يُوصى بأن يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها اعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز — لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد ان تنشأ في كل جامعة عربية،كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار النشر ، تتولى الاتفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ح — ايّما ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعمَّم نشرها على بقية الجامعات ، ومجامع اللغة العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، احترازا من ازدواج الجهد والنفقات .

ويجدر القول هنا إنّ لمجمع اللغة العربية الاردني تجربة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتب العلمية ، اذ اختار المجمع ، بمعرفة المختصّين في كلية العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتب التي تُدرَّس للسنة الاولى في اقسام الكلية المختلفة ، وكلّف مجموعة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ترجمتها . وقد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربية جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن الله ، قبل نهاية عام ١٩٧٩/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجم ، تضم المصطلحات الواردة في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقد أحيطت الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم علما بذلك . والمتوقّع الاّ تقتصر الاستفادة من هذه الكتب على جامعتي الاردن ، بل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فاذا استطاع المجمع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يشرف على هذه الترجمات وينفّذها ، فان الامكانيات المتضافرة للجامعات العربية كفيلة بان تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمع . والامل وطيد في ان تساعد هذه الكتب المترجَمة على البدء في اقرب وقت ممكن بالتدريس باللغة العربية في كلية العلوم في الجامعة الاردنية .

وبما ان تَتَبُّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُكتسَب بمتابعة ما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جدا ان نذكر توصيةً كانت قد اتُّخِذَت في حلقة الترجمة التي انعقدت في الكويت عام ١٩٧٢ ، ومؤداها ان تَصْدُر عن المنظَّمة مجلّة علمية ، تُنشَر فيها ترجمات البحوث التي تُتَخَيَّر لاهميتها ، ومثل هذه المجلة ، ان وُجِدت ، يشارك في الكتابة فيها الاساتذة المختصون في ايما جامعة من الجامعات العربية .

الحزن الدفين وانتم بحساسية غير عاديـــة ، تجعله يتعاطف مع احـــداث الحياة الانسانية بدرجة عاليـــة .

واللغـــة التي يستعملها عـــرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلـــة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمرّ بها دون ان نحسّ بهـــا ، واذا احسسنا بهـــا ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنهـــا في هذا الشعر دفقات قويـــة ، تنبـــه العقل ، والنفس ، والاعصاب .

ومـــن الخطأ ان نعتبر شعر عـــرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننـــا نعرف ان الشعر ذاتـــي ، والشعراء يعبّرون عن احاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحـــن في بحوثنا لا نعتمد شعـــر الشعراء وثائق نستشهد بهـــا ، وان كنا نستعين بهـــا في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعـــر ولا الشاعر : فالصـــدق الفني هو غايـــة الشاعر ، اما البحث عن الحقيقة فغاية العالـــم .

ان الشاعر لا يعرض امامنـــا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يصوّرها بفضل ملكة الخيال التي وُهِبَهـــا ، ويكوّن منها عالما جديدا . ومنـــذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعـــر ان يتأمل ويرصد المظاهر المختلفة لهـــذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحيـــاة الانسانية ، ثـــم يعبّر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء اتفقنـــا بعد قراءة الشعر إننـــا نوافق الكاتب في رأيه ، أم لا نوافقه ، لان الحيـــاة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هـــو المهـــم ، وانما المهم ان قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظـــر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنـــا في الحياة تجارب جديدة ، قـــد تكون اعمق وانضج ، حتى اننـــا لنحس ، عندما نطوي آخـــر صفحة ، اننـــا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

وانت في شعر عرار تدخل دائرة التأثر ، وتبقى فيها الى ان تصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من سقطات بعض الشعـــراء

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لــو كان الطلبة قادرين ، من الناحيــة اللغوية ، على استيعاب المــادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وحسبنا اوهنا أن اتحدث عن تجربة عمليـــة في الجامعة الاردنية ، تُتاح لكاتب هذه السطور الاطلاع عليها عن كثب ، حين كــان يشغل منصب عميد البحث العلمي والدراسات العليـــا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة تمثّلت في اتاحة الفرصــة لاساتذة الجامعـــة لأن يقدّموا بحوثا اصيلة الى مجلـــة علمية تصدر عن العمادة تحت اســـم (دراسات) . يُعتبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية . ولا شرط فيما يُقدَّم للنشر فيهـــا في اطار العلوم الانسانية ، ان يكون باللغة العربية دون غيرها ؛ كمـــا تمثّلت في اتاحة الفرصـة لأعضاء هيئة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـــم تدعمها العمادة ماديا ، في اطار ميزانية دعـــم البحوث العلمية .

وقـــد يصل الدعم،بالنسبة الىالكتب المميّزة ، الى حــدّ تغطية كلّيّـــةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية المؤلف ، وذلك في اطـــار دار النشر التي انشئت في العمــادة ، ورُصِدت لها ميزانية خاصــة . وغنــيّ عن البيان ان المؤلفات التي تدعمها العمادة تكون هي الاخرى من سبـــل الارتقاء في المراتــب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انــــه عندما يواجَهُ استاذُ علـــم من العلوم الانسانية بحاجته وحاجة طلبتـــه الى المراجع العلمية ، في ظــلّ مناهج يستلهمها هو لتسدّ احتياجات المجتمـــع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجـــع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـــة ، وحين يجدُ هذا الاستــاذ ان مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـــي والنشر ، وتهيّء لـــه اسباب الترقية في جامعته ، فـــان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـــه الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعِـــدّ ترجمات لنشرها في مجلـــة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـــادة اختصاصه وهو مطمئن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـــد من متطلبات قد يعجز الفرد عن تأمينها . والواقع أن المجلـــة التي تصدر عن عمــادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وجدت ، بعد ان يقوّمها المختصون .

فكرت هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأول إنها تجربة قابلة لان تعمّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتأليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر ان ما كان يصدر عن العمادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلّها سيغني مكتبات هذه الجامعات ، وتامينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

ثانيا الطالب :

من المسلّمات ، ان الطالب العربي يفضّل ان تكون دراسته في العلوم الانسانية ، واية علوم اخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

واذا كنا لا نحتاج الى ان ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي أن نتلمّس الدور الذي يمكن لهذا الطالب ان يضطلع به في عملية التعريب ؛ ولا سيما ان الطالب الجامعي الآن اصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، علما ان له دورا في العملية التعلُّمية ، ولم يُعد مجرد متلقٍ للمعارف من اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع اساتذة الجامعة ، يمكن الطالب الجامعي ان يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

أ — قيد يعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء اكانت كتبا تراثية ، ام كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة او بأيما مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقـد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المصطلحات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتب التراث العربي الخاصة بالعلوم الانسانية ، ثم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بها [illegible] .

جـ ـ وقـد يقوم الطالب من ناحية اخرى بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هـذه العلوم بتجريدها من كتب انجليزية او فرنسية ، حسب اللغة الاجنبية المستعملة في جامعته .

د ـ وقـد يُكلَّف ترجمة فصل او فصول من كتاب اجنبي ، ليتمرّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هـذه العلوم ، ويألف مصطلحاته في غيرما لغة واحدة .

هـ ـ ويمكـن ان يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحوث باللغة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربية واجنبية ، ثم يناقش هذه البحوث مع زملائه تحت اشراف استاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هـو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلوم [illegible] مشافهة ، مثلما يتدربون على معالجتها كتابة .

و ـ وفي نطاق الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغة العربية [illegible] يجري الآن فعلا في معظم الجامعات العربية ـ ويُحرَص على ان يهتموا في مادة رسائلهم هذه بصورة خاصة بالمجتمع العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وان يبرزوا ما انتج الفكر [illegible] الاسلامية فيما يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعطيات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن ما يعالجونه في دراساتهم ، مع الاستفادة الكاملة من اية نظريات او دراسات او ممارسات موجودة في اي مجتمع من المجتمعات العالمية .

وقد يكون من المناسب ، ان استفيد من ملاحظة وردت في ورقة قدّمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمر التاسع لاتحاد المامين العرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظة ، انه ينبغي الا نرى العالم من حولنا ، او نرى انفسنا بعيون انجليزية او فرنسية . وهنا قد نحتاج الى التذكير بان اللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانما هي كذلك طريقة احساس وتفكير .

٤ — وفي البلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغة الاجنبية ، لا بد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانوي قبل ان ينتقل الطالب في تلك البلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من المخالف لطبائع الاشياء ان نستعين بالطالب الجامعي الجديد في عملية التعريب ، وهو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافته .

القرارات والتشريعات :

— من الممكن ان يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مدّة نصف قرن حول تعريب هذا التعليم ، وان ينقسموا بين محبّذ ومعارض ، دون ان يُقدّم اي من الفريقين حججا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قد احجمنا في هذه الكلمة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيدة للتعريب ، اعتقادا منا بان تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بدّ من القول إنّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أَصْدُرَ هذا القرار عن السلطة العليا في الدولة العربية ، ام عن وزارة تعليمٍ عالٍ إن وُجدت ، ام عن ادارة كلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع اعضاء هيئة التدريس امام الامر الواقع ، فانهم سوف يواجهون متطلباته ، ويؤتون له ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونها ، ستعالَج من خلال التكيّف بعد ممارسة التجربة، لا قبلها ؛ فنحن لا

نستطيع ان نتكيف مع اوضاع لم نمارسها اطلاقا ، ولا يمكن لشخص من شيء ان يزول الا بعد ان يمارس ذلك الشيء فعلا ، وغالبا ما يتبين ان ما تهيبنا منه كان مبالغا فيه . واذا كانت التجربة [illegible] اللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجد سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يبدو من باب المتناقضات ان عالما كالعالم العربي ، بموقعه الفريد ، وامكاناته الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريقة [illegible] ، وما له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتهيب الدخول في تجربة التعريب ، مع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الامم انما تبدع بلغاتها القومية ، وان الذي يكون عالة على لغة اجنبية فيما يتكلم به ويكتبه ، يكون كذلك عالة على الناطقين بتلك اللغة فيما [illegible] بل فيما يفكر فيه .

خاتمــــة :

وفي النهايـة ، اسمح لنفسي بان استفيد مباشرة من فكرتين اوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدمه الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عقد في بغداد في اذار عام ١٩٧٨ ؛ واولى تلك الفكرتين تتعلق بالدعوة الى القيام بعمل موسوعي متكامل ، يرصد مراحل تطور امتنا دون اهواء او [illegible] لكل [illegible] على حدة ، والثانية تتعلق بتقديم النظريات العامة للحضارة [illegible] الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة الفكرية [illegible] التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، [illegible] وتشكيكه في ارضيته .

والهدف من الفكرتين واضح،فهو يتمثل في استبانة المعالم الكبرى للتطور الحضاري الذي مرت به امتنا ، حتى تتراءى تلك المعالم بصورة موضوعية في احجامها الحقيقية ، وفي ركائزها [illegible] كيلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلك في [illegible]

الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّب المزالق ، فيأخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعه دون ضرره ، مما يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة من اقتداء جاهل او تبعية غير مبصرة .

الدكتور محمود ابرٰهيم

اللغة والأسلوب في شعر (عرار)

الدكتور محمود السمرة

(نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاما توفي مصطفى وهبي التل . وقبل خمسة وعشرين عامـا صدرت الطبعة الاولى من ديوانه « عشيات وادي اليابس » في عمـان .

ورغم ان عرارا مشهور معروف في الاردن ، وهو شاعر الاردن دون منازع ، يحفظ شعره المثقفون ، ويعرفه حتى من له حظا قليلا من الثقافة ، الا انـه لا يكاد يعرفه احد خارج الاردن .

لـماذا ؟

لعلّ من اسباب ذلك ان ديوانه الاول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الاردن محدودة جـدا : فالحروف مكسرة ، والاخطاء كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثـم : ان شعر عرار مَحَلّي ، مغرق في محلّيته : محلّي في موضوعاته واشاراته ، وكثير من تعبيراته . وما لـم يتمثل القارئ هذه كلها تمثلا واضحا ، فان تجاوبه مع هـذا الشعر يبقى محدودا . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهدا طيبـا في شرح ما يحتاج الى شرح ، لتقريب هـذا الشعر الى أذواق القـراء العرب . واذكر انـه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مع اخوة عرب ، وقدّمت لهـذا الشعر بما يُعين على ادراكه وتمثّله ، الا وجدت عندهم استجابة لـه ، ودهشة لان مثل هذا الشاعر غير معروف عندهـم .

ثــم : هناك لوم يقع على ادبــاء الاردن : فهم لم يعنوا انفسهم بالتعريف بالشاعر وتقديـم الدراسات منه ، الا في نطاق محــدود .

* * *

الآن، هنا وجدتُ ان الحاجة اصبحت ملحّة لاصدار طبعة ثانية مــن الديوان ، وخاصة عندما وُضعت بين يــدي اوراق الشاعــر ، فوجدت فيها شعرا يستحق ان ينشر ، ولــم ينشر .

وهكــذا ، في سنة ١٩٧٢ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس » في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم فــن الطباعة في الاردن الحديث ، وتضع بين ايدي القــراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليــق بجمال هذا الشعر ؛ وقد زينتــه رسومات الفنان الموهوب مُهنّا الدرة ، آملين من ذلك ان نستطيع ايصال الديوان الى ايدي محبي الشعــر الجيــد ، لا في الاردن فحسب ، بــل في اكثر عدد ممكن من البــلاد العربيــة الشقيقــة .

ولكــن ما ا ردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو افتقارنا الــى مؤسسة ، او شركة ، لتوزيع الكتــاب الاردني وتسويقه . وبقيــت هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجــدّ في السعي ، من يجــد الرغبة في ذلك .

* * *

وفي رأيي انــه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديــدة من الديوان ، يقــوم المحقق فيها بايراد الروايات المختلفــة للابيات ، وترتيبها في القصائد ؛ فقــد خلصتُ من اطلاعي علــى اوراق الشاعر الى ان الصورة التي بين ايدنــا للقصائد والابيات ، ليست الا صـــورة واحدة من صور عــدة : ففي كثير من القصائد نجــد ترتيب الابيــات مختلفا ، والتغيير في الفــاظ الابيات كثيرا . ويحضرني هنــا التحقيق الممتاز الذي قــام بــه المستشرق Ritter لكتاب « اسرار البلاغة »

الكبار ، الذيـن يجمعون احيانا بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ، ويجمعون بين صورتين متنافرتين في بيتـين متتاليين .

واذا كنـا قد بدانا القول بأن من صفات شعر عرار انه شعر مُحَلّي ، بالمفهوم الذي حدّدناه ، فمـا موقف الشكليين ، والنقاد الجـدد (The New Critics) ، الذين يسيطرون على [illegible] الادب في ايامنـا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ انهم يرون ان القصيدة الجيدة مكتفية بذاتهـا ، لا تحتاج للكشف عن اسرار الجمال فيها الى أن نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من قائلها . وفي رأيي ان هذا القول صحيح ، ولكن في حـدود . وانا لست من الذين يؤمنون ايمانا مطلقا بمـا يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهـج التكاملي الذي يرى الاستفادة من كـل النظريات النقدية ، لانهـا متكاملة ، غير متناقضة ، والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤيـة .

٢ ـــ شعر عـرار شعر ملتزم .

وقـد كان عرار شاعرا ملتزما ، بكل ما في هـذا المصطلح من دلالة وابعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئـة : فقد وقف الى جانب الفقراء ، والمحرومين ، وهاجـم المستغلّين ، ودعا الى المساواة ، ونـادى بالعدالـة .

وهـذا موقف سيبقي عرارا مذكورا دومـا كشاعر [illegible] اجاد التعبير عنها في شعـره .

وهـذا يجعلنا نقف امام قضية مهمـة في الفن : قضية غاية الالتزام في الفـن عامة ، وفي الشعر خاصـة (ومـاقصر حديثي هنا على الشعر) . تساءلنا : مـا غاية الشعر ؟

يـرى البعض ان غاية الشعر هي المتعـة ، وان القصيدة [illegible] هي التي تولـد اكبر قدر منها . وفي رأيي ان المتعـة [illegible] وان غاية الشعر عرض التجربـة الانسانية عرضـا يُؤثّر في [illegible]

فيهما معاً » . واذا كانت غاية العلم تفسير الوجود ، فان غاية الشعر تقييم الوجود . وهذا ما فعله عرار في شعره .

وهذا ما عناه كولردج في كتابه القيم « سيرة ادبية » Biographia Literaria

عندما قال : ان الشعر ليس مجرد انفعالات واحاسيس ، فارخص انواع الادب قادر على اثارتها . انه رؤيا ، وكشف من اسرار الوجود .

* * *

ورغم التزام عرار العميق الحاد ، فانه كان في الوقت نفسه رومانسيا ، مغرقا في رومانسيته . واذا كان الرومانسيون الغربيون قد ضاقوا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة من ثورتهم ، وهربوا الى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما ادركوا عجزهم عن التغيير ، فقد فعل عرار مثلهم : هرب الى مضارب النَوَر ، والى حياة الريف ، حيث البساطة ، وراحة البال ، والمساواة التامة :

الكل زطٌ مساواةٌ محقّقة تنفي الفوارق بين الجار والجار

* * *

٣ ــ شعر عرار للرمز فيه دور كبير .

والحديث عن الرمز في شعر عرار حديث قد يطول ؛ ولهذا سأقصر حديثي عن الرمز عنده على ثلاثة جوانب بارزة :

اولاها : شخصية الهبر : وهي شخصية حقيقية ، ورمزية ، في آن واحد .

وقد وصفه المرحوم الاستاذ يعقوب العودات الهبر ، فقال :

« شخصية نَوَرية ، دميمة الخَلْق ، مستقبَحة القسمات ، اختارها عرار لرواية شكلها ، وحقارة شأنها ، هدفا لسهام نقده ، ومخاطبتها عندما يعلو له خطاب ذوي الشأن ، واستفزازهم » . (عرار شاعر الاردن ، ص ١٣٨) .

ويقـــول المرحوم الاستاذ محمود المطلق :

« رأى عـــرار في هذه الشخصية انموذجا كاملا لشخصية النَّوَري ، ومثالا معبّرا عن كل ما في النَّوَر من خير وشر ، وصبر واستسلام ، ولهذا فقد اتخذ منه رمزا للنَّوَر ، واداةً ادبيـــة يستعين بها على التعبير عن آرائه ومقاصده » . (المقدمة ، ص ٢٢) .

وتقـــول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي :

« لعـــل عرارًا كان اول شاعر عربـــي حديث اظهر النَّوَر في الشعر ، وجعلها رموزا لقضايـــا حيوية ، وجعل من الهبر رمزا للانسان البسيط المنبـــوذ المضطهد » . (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني) .

وحقيقـــةُ الامر ان الهبر في شعر عـــرار رمز لاكثر من معنى :

انـــه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانســـان البسيط ، المنبـــوذ ، المضطهد ، والانسان المشرد الضائـــع .

وهـــو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيـــه الانسان الذي فقد كل احساس بالكرامـــة .

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثانيا ، في شخصيـــة الشيخ عبّود النجار . وهي شخصية تُناقِض الشخصية الاولى تمامـــا : فهي رمز لفئة مزيفة متخمسة : همّها : « في الجنة الخلودُ » ، ومبدأها انها : « حِشْمةٌ من غير جيبـــه نقـــودُ » .

ومسخريته منهـــا ، ورفضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقـــاء الشعب على حالـــه من الجهل والتخلّف .

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثالثا ، في كل امـــرأة تغزّل بها ، وكلّ قرية ذكرها ، وكـــلّ وادٍ تَغَنّى بـــه . انها كلها رموز لهذا الوطـــن ، الذي أَحَبَّ كلَّ من فيه ، وما فيـــه .

٤ — شعر عرار شعر عمودي ، منظوم على أوزان الخليل ، ما عدا قصيدتين هما :

« متى ؟ » و « يا حلوة النظرة » .

ومن الخطأ الشائع ما نردده من ان كل قصيدة نظمت على وزن من أوزان الخليل فهي قصيدة عمودية ، مع أن الوزن (أو البحر) ليس سوى شرط واحد من سبعة شروط حدَّدها النقّاد العرب القدامى ، وجعلوها المبادىء التي يجب ان يقتفيها الشعراء .

وكان المرزوقيّ خير من حدّد مفهوم عمود الشعر ، وذلك في مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قوله : « انهم (القدماء) كانوا يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها عيار (اي مقياس) » . وجاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

وشعر عرار عموديٌّ بهذا المفهوم للشعر العمودي الجيد .

ولو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعر الذي يُعْرَف بأنه عمودي ، ليس عموديا .

* * *

هذه ملاحظات نقدية عامة على شعر عرار ، لعلها تصلح مخططا لدراسة موسعة .

ويبقى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عناية الدارسين ما يستحقه .

وما زال مجال القول فيه واسعا .

الدكتور محمود السمرة

قضايا تعريب الكيمياء ومشاكلها

للدكتور عادل [illegible]
(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة [illegible] تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . [illegible] التقنية اصلَ العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، [illegible] لتطبيق فكرة التعريب وممارضين لهـا ، ولكل فريق حجته التي [illegible] بها وجهة نظره .

وفي رايي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحلول الجزئية ، فهي إما ان تكون تعريبا كاملا شاملا ينتظم جميع مراحل [illegible] التعليم والدرس ، ويمتدّ ليشمل جميع الاقطار التي تتخذ العربية لغة ، او ان تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربما ادت الى ضرر ان كانت تنحصر في اقليم دون آخر ، او كانت تتناول فروعا معيّنة من العلوم،او مراحل محددة في سلّم التعليم .

واقوى الحجج التي تساق تاييدا لفكرة تعريب العلوم [illegible]

١ — من الناحية التربوية المطلقة يكون استيعاب الدارس [illegible] واشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الام ، فهو بذلك [illegible] جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، [illegible] جانبا غير يسير من جهده ووقته لفهم معمّيات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتوصل الى فهم وتحليل الموضوع العلمي [illegible] وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الصحة من نتائج [illegible] بين مجموعتين من الطلاب،احداهما تدرس موضوعا علميا باللغة [illegible] واخرى تتلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكـــن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهـــان ؛ فذلك اذا قدمت موضوعـــا علميا لطالب عربي بلغـــة عربية سليمة ، وكانـــت لديك الوسائل والقدرات على ان تعبّـــر عن هذا الموضوع بشكل يخلـــو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصـــف ، فمما لا شك فيه عندئذ ان هـــذا الطالب سيفهم الموضوع بصـــورة اسرع واكمل مما لو قُدِّم لـــه بلغة اجنبية .

اذا فان الامر هـــو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقـــة تخلو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امـــر مهـــم ساعود اليه حين احلّل القضايا والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيميـــاء .

٢ ـ امـــا الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجـــة لهـــا وجاهتها ، فهي ان الاعتزاز القومي باللغـــة العربية يفرض علينـــا ان نعرّب العلوم . وكثير من المحتجين بهـــذا يذهبون الى ان تدريس العلوم بالعربية عامل مهـــم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الامـــة تفتقر الى عوامل الوحدة ! وايـــن عامل الوحدة هذا من الديـــن الذي تنضوي تحت لوائـــه ، حيث تقف الملايين كل يـــوم تعبد ربّهـــا في صلوات خمسة ، تقرا قرآنـــا واحدا ، وتهتف باسم الـــه واحد من اعلى مآذن مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الأمـــة ستتوحد ، فهذا جمهور مساجدها ، واين من ذلك جمهور الجامعات،وهـــم قلّـــة !

علـــى انّنـــا وبسبب ذلك،لا بـــد ان نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننـــا وسنّتنا ، وادبنا وشعرنا،وخوالج نفوسنا ، وهي الوعـــاء الذي اتسع يومـــا ليكون قادرا على استيعاب نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلاميـــة ، حين كانت اللغة العربية لغـــة العلم العالمية الاولى مـــدة تقارب القرنين .

وعلينـــا ان نؤمن بان هذه اللغة التي قامت بهـــذا الدور قادرة على القيام بـــه مرة اخرى،مشروطة ان نجلـــو عن صفحتها الناصعة صدأ التخلف والانحلال بجهودنـــا ونشاطنا العلمي في العصر الحديـــث .

ويحضرني هنا قـول شـاعرنا حافظ ابرهيم متحدثا باسم اللغـة العربية :

وسعتُ كتاب اللـه لفظا وغاية   وما ضِقتُ عن آيٍ بـه وعظات

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آلة   وتنسيق أسمـاءٍ لمخترعات

بيـد انـه يضيف الى ذلـك :

انا البحر في احشـائه الدرُّ كامنٌ   فهل سـألوا الغواص عن صدفاتي ؟

نحـن بحاجة،ليس فقط الى الغوص في بحر اللغة العربية لاستخراج مكنونه من الدرّ ،ولكننـا بحاجة الى تكوين اجيال [illegible] لجمله قلائـد تزين صدر اللغـة العربية في ميادين العلوم [illegible] نريدها ان تقتحم ميدانـا تخلّفت عنه فترة طويلة دون [illegible] يزيـد من جمالها ويُغْنِيها بالممارسة . لا نريـد أن تكون تجربتنا [illegible] التعليم والنشر بالعربية عائقـا يحول بيننا وبين السير في [illegible] العلم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا ان نذكـر ان ما [illegible] محاولات تعريب في عـدد من الاقطار العربية ليس [illegible] المطلوب ، فهي تقصّر بنـا عن مواكبة اهل العلم في [illegible] دون اعتماد كبير على اللغـات ذات الانتشار العالمي [illegible] فيه ان للعلم المعاصر بضع لغـات دولية ؟ وافترض [illegible] موضوعا علميا من المواضيـع المطروقة كثيرا هذه الايام [illegible] المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عـام معين [illegible] ستخرج دون ريـب بنتيجة مفادها ان معظـم البحوث [illegible] نشرت ضمن عـدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنـت قادرا على قراءة هذه اللغات وفهمهـا خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال [illegible]

وستجـد حتما انك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدوليـة ستصل الى مـا لا يقلّ من (٧٠٪) مما نشر عـن الموضوع [illegible] ربمـا تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغـة لقراءة [illegible] عنه،الا ان ذلك امـر لا يستحق العناء ، لانك ان قيّمت المنشورات [illegible] انفراد ستجـد القيّمة منها منشورة باحدى اللغـات الدولية . [illegible]

لـــه ان توصّل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همّـــه الاول سيكون ان يصل بـــه الى جمهـــرة المشتغلين بـــه ، فنجده يلجأ الى نشره باللغـــة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشهرة العالميـــة .

مـــن واجبنا،والحالة هذه،ان نعمل على دفع لغتنـــا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهـــي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امـــر لـــن يتسنى لنـــا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولـــن يتسنى لنا الوصول اليه بين يـــوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في اغلـــب الاحيان الحماسـة والنيّـــة الطيبة . لكن ، كما قيـــل في الامثال الصينية ، فـــان رحلة الالف ميل تبـــدا بخطوة واحدة ، فلا بـــد لنا ان نخطو الخطوة الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقـــة لا تراجُع ولا نكوص بعدهـــا . ولهذا فان من واجبنـــا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الـــى الوسائل التي تضمن لنـــا التغلب على المصاعب وتخطّي العقبـــات ، حتى نضع بين ايدي اجيالنـــا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من الســـير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلـــي سامر على بعض القضايـــا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيميـــاء .

المصطلح الكيميائي : ان جهـــود التعريب لا تثمر دون مؤلفـــات كيميائية قيّمة باللغـــة العربية . ومن الطبيعي ان المحاولات الاولـــى كانت ترجمات من اللغـــات الاوروبية — ساعود الى الترجمة كقضيـــة منفصلة بعد حين — وقد تلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الآن محصورة ضمن القطـــر العربي الذي بدات فيـــه ، وفي اغلب الاحيان تتكلم لغـــات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الآن اجتهادا فرديا ، او كان يتـــمّ بالمشاورة مع اقرب محيـــط المترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجـــد اختلافات كبيرة بين مـــا يُستَخْدَم في قطر عربي وما يُستَخْدَم في قطر آخـــر . وان استمر الحال على ذلـــك سنصل الى وضع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احـــد يفهم احدا غيره . الا ان ذلك رغم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغـــم المعاجـــم التي

اوردت سلسلة من المصطلحات ، فهذه لا تشابه تعابير [illegible]
المدارس الثانوية . وكثيرا ما يوضع المصطلح الكيميائي [illegible]
متسرعة ، فلا يفي بالغرض الذي وضع من اجله ، [illegible]
عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، [illegible]
المصطلح ينتشر ويغرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى ان جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة [illegible]
وتؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :
(Ionmericum, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

ايـن العـلاج ؟ لا شك ان في عقد ندوة لهذا الغرض جهدا
ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع اسس [illegible]
على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتأليف . ولكن يجب ان
اذكر ان الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للّغة العربية ، لا [illegible]
بحاجة الى عالِم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة
التي تقول ان النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة [illegible]
اصل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد [illegible]
غيره من اهل العلم . ولا يظُنَّ احد ان هذه المهمة ذات بداية ونهاية
كــلاّ ، فهي مهمة مستمرّة متجددة ما دام العلم يتطور ، [illegible]
يكتشفون كل يوم جديدا ، ويسمّونه ويصفونه بكلام [illegible]
أكان هؤلاء العلماء عربا ام غير عرب .

لـذا فان المطلوب هو ان يقوم علماء الكيمياء واللغة [illegible]
العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات وشرحها [illegible]
ان المطلوب ان يتحوّل مكتب تنسيق التعريب الى [illegible]
هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان
التسمية ، الا ان هناك مئات الالاف من المركّبات الكيميائية التي

نحتاج الى ان نضع لها اسماء ، كما ان آلافا جديدة منها تضاف الى التراث الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلة التي يخلقها هذا السيل العرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طرق التسمية بصورة مستمرة . فماذا نفعل نحن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربية ، ام نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجادل احد في انه الافضل ، هو الاول ، مع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالة للاسترشاد به ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك ان هذه الطريقة ستؤدي بالدارس الى ان يقرأ وان يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هذه الاسماء يتوقف على فهم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلّ بنفسه ؛ فلو كتبنا الاسماء باللفظ العربي وحده لكاننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلك الاسماء باصولها ، لتصبح كنباتٍ اجتُثَّ من جذوره ، يتيما ما له من قرار .

لقد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهم الاجابة على الاسئلة التالية :

ارجو ان تجيب على الاسئلة التالية بوضع دائرة حول الجواب الذي تختاره :

١ ــ كلمة (٢ ــ ميثيل سايكلوهكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتها او سمعتها ، فما هي الطريقة التي تنتقل فيها الى ادراك المركّب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغته او كتابتها ؟

١ ــ هل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لدى سماع الكلمة او رؤيتها مكتوبة ؟

٢ ــ هل تعود بذهنك للاصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone
وتستفيد من مقاطعها الدلالة على معناها ؟

٣ ـ هل يتعذر عليك فهم دلالة الكلمة كليا ؟

٤ ـ هل تعتقد ان فهمك لها سيكون سهلا لو كانت مقاطعها قد فُسِّرت لك اولا ، كما جرى في حالة الاسم الانجليزي للمركّب ، رغم ان لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يدل عليه مقابله بالانجليزية ؟

٢ ـ التقنية التي عرضتَ في السؤال الاول ستقاد لدى تسمية اي من مئات الالاف من المركّبات الكيميائية ، في ضوء [illegible] للوصف :

١ ـ هل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالانجليزية ؟

٢ ـ هل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع لفظ الاسماء بالانجليزية ؟

٣ ـ هل تحبذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصة بالتسمية ؟

٣ ـ اذا عُرِّبت الكيمياء وأُخِذت المصطلحات والاسماء كما تُلفَظ باللغة الاجنبية،وكُتِبت بحروف عربية ، هل تعتقد ان كتابتها غير المشكولة ستخلق مشاكل ، كأنْ تقرأ الكلمة على وجوه عديدة ؟

١ ـ نعم

٢ ـ لا

وقد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجة التالية :

السؤال الاول :

الجواب	١	٢	٣	٤
النسبة المئوية	١٨٪	٧١٪	٤٪	٦٪

السؤال الثاني :

الجواب	١	٢	٣
النسبة المئوية	٣ر٥١٪	٦ر١٦٪	١٦٪

السؤال الثالث :

الجـــــواب	نعـــــم	لا
النسبة المئوية	٨٤٪	١٦٪

ومـــن جواب السؤال الاول نلمس اثباتا لمـــا قلناه من ان الطالب مضطرّ للعودة بذهنه الى الاسم بلغتـــه الاصلية ؛ فالعملية الذهنيـــة هذه ضرورية للفهـــم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقـــم ٣ او ٤ منخفضة ، الا ان ذلـــك يُعزَى الى ان المركّب المختار مألوف انطلاب . ولا شك لديّ ان مشكلةً ستواجه الطالب في فهـــم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لـــو كان يدرس باللغـــة الاجنبية ، فبالاحرى سيجدها، بشكل اشـــدّ اذا عُرِض لـــه الاسم مجرّدًا عن نظيره الاجنبي .

ومـــن اجابة السؤال الثاني نجـــد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبّذين للدرس باللغـــة العربية ومن يفضلون الدراســـة باللغـــة الانكليزية (٣ر٥١ ، ٦ر٤٨ على التوالي) . الا ان الملاحظ انـــه، حتى من حبذوا الدرس بالعربية، هنـــاك اغلبية تفضّل وضع الاسمـــاء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا اجـــد دليلا على ماهيّة هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علمـــاء الكيمياء ، فهي مسألة تُشكّـــلُ الجزء الاهم من بحثنا كما اسلفنا .

ومـــن الاجابة على السؤال الثالث تتّضح اهمية المشكلة التي تجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي التغيير في لفظـــه، نتيجة قراءة الاســـم العربي على وجوه مختلفة، ان لم يكـــن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتنـــاول المصطلح المأخوذ بلفظـــه عن اللغات الاجنبية ايضـــا ؛ وهي مشكلة لـــن يتخطاها الدارس الاّ بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعـــد سماعهما صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقَل ان تُصْرَف الجهـــود الاضافية في الطباعة لشكل كلّ من هذه الكلمـــات .

الرمـــوز والاعـــداد :

هنـــاك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتب التي تُرجمت الى العربية او كُتِبَت بهـــا ؛ وليس من الضروري ان يوجد الخلط في الكتاب الواحد ، بل انـــه يظهر على شكل اختلافات بين الكتب ذات الموضوع الواحـــد، والتي تظهر في القطر نفسه، او في اقطار اخرى .. فالامر هنـــا فيه اختلاف لا يقـــلّ عن الاختلاف في المصطلح ، ذلك ان اللغـــات الاجنبية تقدّم مجالاً اوسع لاختيـــار الرموز، من وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحروف [illegible] مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عاديّ او مائل) ؛ ورغم [illegible] اختلاطا في الرموز . وفي العربية يضيق المجـــال اذا اقتصرنا على استخدام شكل واحـــد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام اشكال مختلفة لتقدم مساحة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على ان لا تكون الاشكال المتشابِهة لبعض الحروف مصـــدرا للتشويش .

وهنـــاك مصدر آخر للاختلاف والخلط، ويعد من [illegible] المشاكل التي لا تظهر لنـــا لاول وهلة ؛ ذلك ان محاولات [illegible] لوضع رموز عربيـــة للعناصر ، واستخدام الاعـــداد ١ ، ٢ ، ٣ ، [illegible] معهـــا . وفي الحقيقة ان هذه الاعداد ذات اصل هندي ، [illegible] الاعداد ... 1'2'3'4 فهي الأعداد العربية ؛ ولا يسعنا الا [illegible] تُستخدَم مِن قِبَل العرب ، وقد اخذت بهـــا اقطار عربية كثيرة في الوقـــت الحاضـــر .

الرمـــز الكيميائي لعنصر في اللغات الاجنبية لـــم يُبنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم لـــه في تلك اللغة ، وانما جاء [illegible] من اسم قد يكون من اللاتينيـــة او اليونانية او احدى اللغات الاجنبية الحديثة، باخـــذ الحرف الاول ، او هـــذا مع حرف آخر . [illegible] نقبل ان نكتب الكلمـــة الاجنبية بحروف عربيـــة، ونطمع [illegible] نتعرّف على المسمى مـــن التسمية ، فكيف نضيق بالرمـــز الاجنبي ن، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا [illegible]

في المركّبات ، وقد يظهر الواحد منها عدة مرات ؛ فكيف اذا كان مميزًا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة او النقاط مع الالكترون او زوج من الالكترونيات كما يُرمَز لها عادة ؟

ثم اليس من مبادىء التعرف على مركّب النظر الى صورته او صيغته ؟ فما تساعد على ذلك ان غيّرنا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية الرموز ؟ والدارس منا مضطرّ الاطلاع على هذه الصيغ ، سواء اكانت بنائية أم جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون من الافضل الابقاء على هذه الرموز بدل ان نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كخطوة اولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وَجدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الاول من التعريب ، وباتفاقنا ، هو تسهيل فهم المادة العلمية انطلاقا من المبدأ القائل بان الاستيعاب باللغة الام اقوى ، فان اي عامل يساعد على الاستيعاب يجب ان يُبْقَى عليه ، واىّ عامل يقف حجر عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يُجدر بنا التمسك به .

وفي فهمي يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي عالَميّة الاستخدام ، بقرنها باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انها (الرموز والاعداد) تكتب من اليسار الى اليمين ، فهذا امر شكلي لن يضرّ باللغة العربية ولن يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم الا تُكتَب بعض الارقام الهندية من اليسار الى اليمين ؟ ٦ ، ٩ الى حد ما ، وبعض الارقام العربية الا تُكتَب من اليمين الى اليسار 9, 6, 5, 4

اي ان اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغة دون اخرى .

الترجمـــــــة :

مــن الحجج التي يتذرع بهــا خصوم التعريب عدم توافـــر المــادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُنشر بـ[illegible] من كتب دراسية ، وكتــب متخصصــة ، ورسائل [illegible] ودوريـــــات .

وفي حقيقة نجــد انفسنا مضطرين للاعتراف بهــذا ، ليس على مستوى الكَمّ فقط ، ولكن على مستوى النوع ايضــا . لذلك فــان هناك بعض التضحية في مدى الاختيــار،تفرضـها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطرّ الى اعتمــاد كتاب معين ، بينما يكون الميدان الواسع مفتوحا امامنا للاختيار لــو درسنا بلغــة اجنبية . ذلك لانه لا بد لنــا ان نعترف انـــه قبل ان تتّضح معالم الطريق امامنــا للتأليف على نطاق واسع ، فــلا بـــد ان نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب ونقلها الى العربية . ولا بــدّ ان نلاحظ ان هذه الحركة في الوقت الحاضر ضعيفة الى ابعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابهُ بِقلّــة الكتب المترجمة ، [illegible] اننــا نُقَصِّر في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديـــد .

ومنـــذ مـــدة طويلة،مثلا، قامت اكثر من محاولة لترجمة كتاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتــا طويلا ؛ [illegible] بين ايدي الطلاب،كان قد عفى عليه الدهــر في مصادره ، [illegible] كتب جديدة ذات مستويات افضل ؛ فهــل كان بامكاننا [illegible] بجهد جديد ؟ كلاّ . لمــــاذا ؟

عمليـــة الترجمة بحاجة الى عوامــل عديـــدة :

اولهــا : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتب [illegible] بأهل الاختصاص ، ثــم يُجري الاتفاقات بشان ترجمتها ونشرها [illegible] لائـــق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الاصلي . وهــذا الجهاز [illegible]

يكون فيها الاداريون والرسامين والمصورين ، وان تكون لديه مطبعة ، او ان يكون بامكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثانيها : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة، والتعبير عن المادة العلمية بلغة عربية جيّدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح، وطريقة التسيير، واساليب الكتابة الجيّدة . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد ان الكثير من اعضاء الهيئات التدريسية إمّا عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاماً او كتابة ، وإمّا غير مكترثين للأمر، فليس لديهم حماس له ؛ وتجد بعضاً منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تحوّل انتماؤهم فكرياً وعقائدياً نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تشدّقوا بالانجليزية ، واذا عَرَضْتَ فكرة التعريب هزوا رؤوسهم ونأوا بجانبهم ، وكأن الامر اثم او سبّة .

وكثيرا ما يتساءل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية الفصحى، ام ان اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات المحاضرات ؟ واذا كان الامر كذلك، فاي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة ان اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات المتداولة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسة والعاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان اضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعريب نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وساروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا يتقنون [illegible]

يحسنون التحدث بهـا .

وثالثهـا : التمويـل : اذا وُجِدَتْ المترجمين [illegible]

ان تجـد المـال الكافي لمكافأتهم بشكل مُجْزٍ على عملهم [illegible]

وكذلك يجب توفير المـال الكافي لجميع الفنيين اللازمة [illegible]

للخروج بالكتاب الى حيّز الوجود ، كما يجب توفير [illegible]

وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . [illegible]

من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة [illegible]

السابق كان حتى الآن العقبة الكأداء التي تحول دون [illegible]

وانتشارهـا .

ومـن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان [illegible]

ما يمكن تصوره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية قومية [illegible]

فهي بذلك تكفل انسياب موارد الخبرات والمال من جميع الاقطار

العربية، فتُولَد حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، [illegible]

وتنهض على اقدامها بثبات .

التأليـف :

رغـم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية [illegible]

نقل التكنولوجيا ، الا انـه ، كما في حالة التكنولوجيا [illegible]

فترة يجب ان يصدر عنا، وان نطوّر ما ينا[illegible]

مناسِبَةً لبيئتنـا ، او كتباً علمية يضعها علماؤنا [illegible]

عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية ومشكلاتنا، وغير ذلك .

ودون ان اعـود من حيث بدأت ، اقول إن متطلبات التأليف [illegible]

لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي [illegible]

علـى انـه في كلا الحالتين ــ الترجمة والتأليف ــ [illegible]

يجريا على نطاق واسع ، وبسرعة توازي مـا يحصل من [illegible]

العالم العلمي المتقدم ، حتى لا نجابه بقلة التنوع في المصادر ، وبان تصبح بعض المصادر قديمة قبل ان يتداولها الدارسون ؛ وهذا لا شك كائن إن كانت الترجمة او التاليف جهودا فردية ، او تقوم بها هيئات ضعيفة الموارد ، ونكون بذلك عرضة لعُزلة كلية او جزئية عن تيّار العلم .

ولا يفوتني ان اذكر انه، لإحكام الصلات بين العلماء العرب والاجانب، لا بد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، ان تسيرا في اتجاهين : فتنقل احيانا ما يصدر عن علمائنا من مؤلفات ومنشورات عربية الى لغة اجنبية ، ان كان لدينا ما نفخر بان يطّلع العالم عليه .

اللغـات الاجنبيـة :

اشرنا في ثنايا هذا الحديث الى ان هناك بضع لغات علمية دولية تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلك، وعلى افتراض التزام البلاد العربية بحركة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بد لنا من التوسع في تعلّم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنا عن الاطلاع على المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتها ، كما انهم لا بد مضطرون الرجوع لمصادر الدراسة الاجنبية استزادة المعرفة . كما انهم يجب ان يكونوا قادرين على فهم المحاضرين من الدول الاجنبية الذين تعتبر زياراتهم ضمن برامج التبادل امرا ضروريا في النشاط العلمي .

زد على ذلك انه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفز العلماء على تعلم العربية لقراءة ما ننشر من ابحاث ، فلا مناص لنا بين حين وآخر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هذا الحد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدّي للمهمة . [illegible] الامانة وعلو الهمة في ان لا نتخاذل امام المشاكل ، ووعورة المسالك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان ننال الدعم من الساسة واهل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرث في البحر . والمشاكل الماثلة امامنا تتطلب العمل والتنظيم والتعاون ، والا فلن نتقدم قيد أنملة نحو تعريب التعليم والنشر .

انني رغم ذلك لا ادعي ان مجرّد التغلب على مشكلة المصطلحات سيؤدي الى فيض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير من العوامل الاخرى مما لا صلة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من الطريق حافز لنا للسعي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار

مع "ديوان الأدب" لأبي ابراهيم الفارابي

للدكتور ابراهيم السامرائي
(كلية الآداب/جامعة بغداد)

كنت قد كتبت شيئا مما بدا لي وانا اقرأ الجزء الاول، ثم عقبت على ذلك بملاحظات عرضت للجزء الثاني ؛ وها انا اتصدى للجزأين الثالث والرابع، فاخص مجلة المجمع اللغوي الاردني بهذه الاشارة .

السؤال : أراد الفارابي ان يُعرض لابنية العربية كما جاءت في المعجمات المطولة ، وان يستقي من ذلك معجما مرتبا لهذه الابنية؛ فهل تراه صنع معجما كسائر معجمات المعاني ؟

الجواب : ان "ديوان الادب" معجم فريد في منهجه ؛ وفرادته هذه جعلته صعب التناول، لا يمكنك ان ترجع اليه بيسر : فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة أصواتها، ومن حيث كونها فعلا او مصدرا أو اسما مهموزا او معتلا او صحيحا . وانت ممتَحَن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريد من ذلك . ثم انك محتاج الى فهارس تستوفي هذه المادة الكبيرة من الابنية وموادها ؛ واظن ان المحقّق بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب، سيعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وجهد المحقق .

قلت ذلك في الكلام على الجزأين الاول والثاني إن المحقق قد أفاد في تحقيقه مما يصبو اليه الباحث الجادّ في اخراج النص سليما صحيحا ، مزودا بفوائد قيمة .

غير انـي تناولت مـادة الكتاب وطريقة عرضها،فوقفت علـى ذلك وقفات طويلة.وهاانا أُتِـمّ هذه المسيرة في هذين الجزاين، الثالث والرابع من الكتاب،فاقـول :

١ — لـم يكن عمل الفارابي في "ديوان الادب" عملا معجميا يتّصف بالاستقراء الوافي للأبنية،ومـا يندرج في كل بنـاء من الكَلِم . لقد خصّ هذا الجزء بالمضاعف، فبـدأ بالأسماء،فكان بنـاء « فَعْل »، بفتح الفاء وسكون العين، فاتحة هذا الجـزء،مرتِّبًا الكَلِم على حروف المعجم،فجـاء بـ « الحَبّ جمع حبة ، والخَبّ من الرمل ... والرَّبّ ممرّغا ... وهكذا في سائر الحـروف » .

اقـول : وفاته ان يذكر في حكـم هذا الترتيب « الأَبُّ » .

والابّ : الكلأ ؛ وقالوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهةً وابًّـا » .

وفاتـه ان يذكر « الخَبّ » ومعانيه،واكتفى بقولـه : « الخَبّ من الرمل »،وهو في تمام معنـاه : حبل من الرمل لاطىء بالارض . ولـم يذكر ان « الخَبّ » الخَدّاع،وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد .

وفاتـه ان يذكر « البُبّ »: الغلام السمين .

وفاتـه ان يذكر « اللّبّ » وهو اللبيب ؛ وهو ايضا اللطيف القريب من النـاس .

ويقـال : رجل لَبّ طَبّ،اي لازم للأمر ؛ وانشد ابـو عمـرو :

لَبًّـا بأعجـاز المطـيّ لاحقـًا

وفاتـه « الجُتّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجُتّ هو الجَسّ للكبش لتنظر أَسَمِـينٌ ام لا .

وفاتـه ايضا « الثَّجّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحَجّ العَجّ والثجّ . والعَجّ العجيج في الدعـاء . والثَّجُّ : سفك دمـاء البُدن وغيرها .

ولـم يشر الى « الدُخّ »؛ وفي لغـة « الدخّ » بالضم، وهو الدخان ؛ قـال الشاعـر :

وصار وصلُ الغانيات أخّـا

عند سعار النار يغشى الدُخّا

وفاتـه ان يشير الى « الزخّ » فهـو السير العنيف .

وقـال في « النخّ » : أن تُناخ الابـل قريبا من المصدِّق ليُصدِّقها » .

اقـول : ولمـا كان الباب معقودا للأسماء دون الافعال، فعبـارة « الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جـاء في « الصحاح » : النَخّ : الابل التي تناخ عنـد المصدِّق ليصدّقها » .

وفاتـه ان يذكر « الصّخّ » « وهو الضرب بالحديد على الحديـد، والعصا الصلبة على شيء مصمـت » .

وتخصيص الضرب بهـذه الخصوصية المعنوية يُخرج الكلمة عن المصدر، وهو « الصّخّ » . والمصادر ممـا ادرجها الفارابي في بـاب الافعـال .

ومـن المهـم ان اشير الى ان المصنِّف حين يذكر الكلمة يُكتفي منهـا في كثير من الاحيان بمعنى واحـد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفـه الخاصـة والعامة . ومـن ذلك قوله في « الخَـدَ » :

« وهو الخـد »، وسكت .

جـاء في « اللسـان » : والخَـدّ والاخدود: شقّان في الارض غامضـان مستطيلان . والخَـدّ : الجدول .

وقـد يختلط الامر على المصنِّف فيُدرج المصدر مع الاسماء ويحسبه اسماء، كما قـال في « الشَدّ » اي ارتفاع النهار . وعندي انـه مصدر، لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهار » ارتفـع .

وفاتـــه ان يذكر « الصُّدّ » ؟ و « الصَّدّ » و « الصُّدّ » بفتح وضم ؛ الجبل ؛ قالت ليلـــى الاخيلية :

أنابغُ لم تنبُغ ولم تك اولاً   وكنت صُنيًّا بين صُدَّين مجهلا

و « الصدّان » ناحيتا الشعب او الجبل او الوادي، والواحد « صُدّ » .

وقـــد يثبت من المعاني احدها، وقد يكون الاغرب، كما قـــد يكون الاشهر كما بيّنّـــا ؛ ومن ذكرِه اغربَ المعاني واهمال المعاني الاخـــرى قوله في « القَـــدّ » :

و « القَـــدّ » : مَسْك السخلة ؛ يقال في المثل « مـــا يجعل قُدَّك مـــن اديمـــك » . وشيء حسن القَـــدّ ، اي حسن التقطيع .

اقـــول : وفاته ان يذكر ان « القَـــدّ » القامة ، وقدر الشيء ؛ وغلام حسن القـــد اي الاعتدال والجسم .

وامـــا اثبات المصنّف في قوله « حسن القـــدّ اي حسن التقطيع » فهو اعلق بالافعال لانـــه يذكّر بالمصادر .

وقال في « النَـــدّ » : وهو « النَـــدّ » ، واكتفى بذلك، والذي جـــاء في كتب اللغـــة : ان « النَـــدّ » التلّ المرتفع، ونوع من الطيب ، كما في « الصحـــــاح » .

وقـــد يتجنّب المصنّف الخلاف وما فيه من اقوال قـــد تحمل على التضاد او غيره، ومن ذلك ما جـــاء في « الهَدّ » . قال المصنف : ويقـــال : اني غير هَـــدٍّ، اي غير ضعيف .

اقـــول : وقال ابن الاعرابي « الهَـــدّ » من الرجال: الجـــواد الكريم، واما الجبان الضعيف فهو « الهِـــدّ » بكسر الهاء لا فتحها .

وفـــات المصنف ان يذكر « وَدّ » وتعني الكلمة اسم جبل معروف . و « الوَدّ » : الوَتِد، بلغـــة تميم .

واكتفى المصنف بقولـــه : ان « الجرّ » اصل الجبل ، وهو جمـــع « جُـــرّة » .

اقـــول : وفاته ان يذكر انـــه الحبل الذي في وسطه اللُّؤْمـــة الـــى المضمـــدَة .

وفاتـــه ان يذكر « العَـــرّ » بمعنى الجرب وهو العُرّ والعُرَّة بالضم .

وذكر ان « المـــرّ » هو الحبل وفاته ان يذكر انـــه المسحاة ايضا ، وقيـــل : مِقبَضهـــا .

ومـــا أريـــد ان اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف فـــي بنـــاء « فَعْل » من المضاعف فانتقل الى بنـــاء « فَعْلَة » بفتح فسكون من المضاعف ايضا فاقـــول :

٢ — بـــدا المصنف بـــ « حَبَّة القلب » بمعنى ثمرته وفاته ان يذكر : « بَبَّـــة » وهي حكاية صوت صبيّ . قالت هنـــد بنت ابي سفيان تُرَقّص ابنهـــا عبد الله بن الحارث :

لأُنكِحَـــنّ بَبَّـــهْ

جاريَـــةً خِدَبّـــهْ

وفي « الصحاح » : « بَبَّـــةُ » : اسم جارية . و « البَبَّة » السمين ؛ وقيل : الشـــابُّ الممتلىء البدن نعمةً ، وقـــد حكاه ابو عبيد في « الغريبين » .

وفاتـــه ان يذكر في « حُبَّة » انها واحدة الحُبّ ؛ وانها اسم امراة .

وفاتـــه ان يذكر « الحُبَّة » بفتح وكسر: الطريقة من الرمل والسحاب ، وهي من الثوب شبه الطُـــرّة .

وفاتـــه ان يذكر « الدَبَّـــة » وهي التي يُجْعَل فيها الزيت والبزر والدهن وجمعها « دِبـــاب » .

واذا كـــان المصنف قد ذكر « الرَّبّ » معرِّفًا بانـــه الخالـــق ، وربّ الدار صاحبها فلِمَ لم يذكر « ربَّـــة الدار » صاحبتها !

وفاتـــه ان يذكر « « السُّجَّة » وهو صنم كان يُعبَد من دون اللـــه .

وبـــه نسّر قوله ـــ صلى اللـــه وعليه وسلم ـــ : أخرجوا صدقاتكم فان اللـــه قد اراحكم من « السُّجة » و « البُجَّة » .

و « البَجّة »: الفصيد الذي كانت العـــرب تاكله في الأُزْمة .

وقالـــوا : و « زخُّةُ الانسـان وَمُزَخَّتُه ومِزَخَّتُه »: إمراتـــه ؛ ولـــم يشر الى ذلك المصنـــف .

وفاتـــه ان يذكر « القَلّة » وهي النهضة من عِلّة او فقر . وفاتـــه ان يذكر « العَمّة » مؤنث العـَـمّ .

واكتفـــي بهذا القدر، وانتقل الى بنـــاء « فُعْل » بضم فسكون، من المضاعف، فاقـــول :

٣ ـــ لقـــد فات المصنف ان يدرج « الخُبّ » وهو الغامض من الارض .

وفاتـــه ايضا ان يذكر « الأُسّ » وهو الاساس، اي اصل البنـــاء .

وفاتـــه كذلك ان يذكر « الأُصّ » وهـــو الاصـــل .

وفاتـــه ان يدرج « السُّلّ »، وهو الـــداء؛ وفيه ثلاث لغات: الضم والفتح ثـــم السُّلال .

وفاته ان يذكر « القُـــلّ » وهو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :

ومـــا كنتُ قُـــلًّا قبل ذلك ازيَبـــا

وننتقل الى بنـــاء « فُعْلَة »، بضم الفاء وسكون العين، من المضاعف، فنجـــد « الجُبَّـــة » .

اقـــول : واجتزا المصنف من معاني « الخُبَّـــة » فذكر الشرقة تُخرِجُهـــا من الثوب فتعصب بهـــا يـــدك .

وفاتـــه ان يقول ايضا : ان « الخُبّة » الخـــدّ في الارض . « والخُبّة » طريقة لينـــة ميثاء، ليست بحزنة ولا سهلة، وهي الى السهولة ادنى .

واغفل ذكر « الدُبَّـة » انثى الدب .

وفاتـه « العُجّة » لضرب من الطعام اختلفوا في مادتـه واجزائه، فقالوا: الدقيق بالسمن، وقالوا شيئا آخـر .

وقـد تجـد عبارة المصنف معوزة؛ فهو يقول في « الكُرَّة »: البعـر العفن ؛ قال النابغـة يصف الدروع :

مُلِينَ بكدْيَونٍ وأُبطِنَّ كُـرَّةً فَهُنَّ وِضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

اقـول : وقد تعجب من مجيء الشاهـد في الدلالة على المعنى الذي اثبته المصنف، وهو البعر العفـن . ولكن الحقيقة تنجلي بعبـارة « الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بقولـه : « تُجْلَى بـه الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قـول النابغة .

ومـن ذلك ايضا قوله : « والحُزَّة لغـة في الحُجزة » .

اقـول : واذا راينا عبارة « الصحاح » : ان حُـزّة السراويل، وحُجزتها التي فيها التكّة ، ادركنا تقصير الفارابي في ايجازه المُخِـلّ .

ومـن ذلك قوله في : « المُـزّة »: الخمر . وهي في « الصحاح » : الخمر التي فيها طعـم حموضة .

وقـد ياتي بشيء من المناكير مما لا نجده في اي من كتب اللغـة ؛ ومن ذلك قولـه : « وهي اللُطَّة » .

اقـول : وليس في « اللسـان » او « القاموس » او « الصحاح » او « الجمهرة » شيء من ذلـك .

واذا كان الكلام على بنـاء « فُعْلَة » وما جاء منه في العربيـة ، فاين « الأمّـة » وهي كلمة شهيرة تنصرف الى دلالات عـدة ؟

ثـم اين « الحُمَّة » وتعني معظم الحرّ ؟ وايـن « السُّمّة » وهي حصير يتخـذ من خوص الغَضَف ؟

وفي « التهذيب » : والقَمَّة شبه حُصر مربعة تتخذ من الخوص وتُبْسَط تحت النخلة اذا صرمت ليسقط مـــا تناثر من الرطب والتمر عليها .

ثـــم اين « القُمَّة » وهي المزبلة ؟

واذا انتقلنا الى بنـــاء « فُعْلي » بضم الفاء من المنسوب المضاعــف، وَجَدْنا المصنّف يذكــر اربعة الفاظ هي عدة ما جاء على هذا البنـــاء .

٤ ــ اقـــول : وليس فيها « العُمِّيّ » وهو العـــام يقابل القُصْريّ ، وهـــو الخـــاص .

واذا تجاوزنا هذا البنـــاء المنسوب المضموم الفـــاء الى نظيره المكسور الفاء، نجـــد ثلاثة الفاظ ليس غـــير .

٥ ــ اقـــول: وفاته « عِلِّيّ » وجمعها « عِلِّيُّون » كما في قوله تعالـــى : « ان الابرار لفـــي عِلِّيِّين » .

٦ ــ وفاتـــه ان يذكر « الحُمُم والصُمُم » وليس لـــه ان يحتج بالمصدرية، فقد ذَكَرَ البَلَل والمَلَل والزَلَل والقَصَص وغيرها وكلهـــا من المصادر . وايـــن « الدُبُبُ » وهو الشعر على وجـــه المـــرأة ؟

٧ ــ ويعمـــد المؤلف كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البنـــاء الذي يشير اليـــه من غير ان يذكر شيئا من دلالته مع انـــه يستحق ذلك؛ كقوله في « الحُظَظ » : انـــه لغـــة في « الحُظُظ » بضم ففتح وبضمتـــين .

اقـــول : وقد وردت بضادين وبظاءين، وبضاد بعدها ظاء، كما في كتب اللغـــة الاخرى . والحُضَض دواء من ادوية العـــين . . .

٨ ــ ونأتي الى بنـــاء « فُعَلَة » فنجد ستة الفاظ، وليس بينهـــا « هُمَزَة » و « لُمَـــزَة » و « ضُحَكَة » و « هُزَوَة » وكثير غيرهـــا .

٩ ــ ولـــم يذكر في بنـــاء « أُفْعول » الا « الأُخْدود » ؛ فايـــن « الأُنْبـــوب » ؟

١٠ — وفاتــه ان يذكر « الإرزيز » على بنــاء « إِفعيل » وهــو الرعدة ؛ و « إِزميم » وهو ليلــة من ليالي المحاق .

١١ — وفاتــه ان يذكر « المَدَبّ » وهو مكان جريان السيــل . و « المَحَــلّ » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثــير .

١٢ — قلــت : انــه يوجز، والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام، فقد قالوا : البلاغة الايجاز . غــير ان الايجاز يصبح مأخذاً على صاحبه اذا لم يَــفِ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « المِـدَكّ » على « مِفْعَل » مثل « مِبْرد » : انــه شديد الوطء، إنّ قوله « شديد الوطء » معوز، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عــدة ؛ فاذا قرانا « الصحاح » ووجدنـــا فيه : انــه قويّ شديد الوطء للأرض ، انتفى اللبس وزال الغموض .

١٣ — ومــن ايجاز المصنّف المُخِلّ قوله : « وهو المخطاط » . ولا يعرف القارىء مــا المخطاط، فيستشير مصادر اللغــة، فيجد الجوهريّ يدرجه في « الصحاح » قائلا : انــه عود يُسوّى عليه الخطوط .

١٤ — وفاتــه ان يذكر في بنــاء « فَعّال » المضاعف « الدَقّــاق » و « السَلّال » من اسماء الرجــال، وكذلك السَفّاح والسَفّاك من القابهــم . ومن اعلامهم « زَبّان » وبــه سمي ابو عمرو بن العلاء، ومن هذا كثير .

١٥ — وفاتــه ان يدرج « الدبّابَة » في بنــاء « فَعّالة » من المضاعف .

و « الدَّبّابَــة » التي تُتّخَذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثــم تُدفَع في اصل حِصن ، فينقبون ، وهــم في جوفها ؛ سميت بذلك لانهــا تُدَفَّــع فتَــدِبّ .

و « حَبّابَة » من اعــلام النســاء المشهورة .

١٦ — وذكر في بنــاء « فُعّال » بضم الفاء مع تشديد العين، ثلاثة اسمــاء، اولهــا :

« رجال سُحّاح » اي سمــان .

اقــول : والضبط في « الصحاح » بكسر السين مـع التخفيف ، وفي « القاموس » بكسر السين وبضمّها مـع التخفيف ، ومثله في اللسان . ولم يرد في اي منها تشديد الحاء . والذي اراه ان قـول المصنف « رجال سُحّاح » وهو جمع « ساحّ » لان « فُعّال » مما يطّرد في جمع « فاعـل » .

ولـم يذكر « الدُبّاء » وهو القرع؛واحدته « دُبّاءة » ولا « المُسّاء » لجنس من الطير؛وغـير ذلك .

١٧ — وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكـر المصنف اربعة الفاظ بداهـا بـ « ماجوج » .

اقــول : والرواية فيه الهمز"ماجوج"،وقُرِىء « ماجوج » بتسهيل الهمزة ايضا ؛ فاذا ذُكر « ماجوج » فما بالــه لم يذكر « ياجوج »،وهـو مثله ويسبقه في الآيــة الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكـر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »؛وهو مثله وقريب منه في الدلالــة .

١٨ — وفي بـاب « فَعال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقتـه الزيادة من حروف المـدّ بين حرفي تضعيفه؛فاتــه ان يذكر « اليَباب » وهو الارض القفر ، و « الحَزاز » من الرجال؛وكذلك الحزيز،الشديد على السّوق والقتال والعمـل .

١٩ — وفي باب « فَعول » من المضاعف قال المصنف : « وهو الذَرور » .

اقــول : وجاء في القاموس : ما يُذَرّ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ — وذكـر المصنف : « سنة حسوس،اي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة المَحْـل .

٢١ — وجــاء في « الزَفوف » : انهــا فرس كان للنعمان بن المنذر .

اقــول : قد يكون هذا ثابتا،غير ان في « اللسـان » : ان « الزُنوف » هي النعامة . وقــد اغفل ذكرها صاحب « الصحـــاح » .

٢٢ ــ وذكــر المصنف ان « السَّموم » شدّة الحر . والــذي في « الصحاح » انهــا الريح الحارة . وقال في « الهُموم » مــن البحــار، الكثــير المــاء .

اقــول : وجاء في اللســان : ان « الهَموم » البئر الكثيرة المــاء . وسحابة هموم،صبوب للمطــر .

وقـــال ابو عمرو : « الهُموم » الناقة الحسنة المشية ، والقرواح التي تعاف الشرب مع الكبــار ، فاذا جاءت الدَّهداه شُرِبُت معهنّ ، وهـــي الصِغار والهَموم : الناقة تهمم بفيها الارض وتُرْتَع ادنى شيء تجــده ؛ قال : ومنه قول ابنــة الخس : خير النوق الهموم الرموم التي كــان عينيها عينا محمــوم .

اقول : وقول ابنـــة الخسّ : خير النوق الهَموم الرَموم ، التي كانّ عينيها عينا محموم . اقول : وقول ابنـــة الخسّ يشير الى « الرَموم » التي ندّت عـــن الفارابى فلم يذكرهـــا .

٢٣ ــ لقــد افرد المؤلف بابًا لبناء « فعيل » المضاعف،واغلبـــه من الصفات التي كـــان من منهج المصنف ان تندرج في باب الافعال؛نحـــو : الحبيب ،والربيب، واللبيب، والشحيح، والجديد، واللذيذ، والضرير، والعزيـــز، والخسيس، والخفيف، والدقيق، والجليل، والدميم،والضنين؛ومثل هذا كثـــير في هذا البـــاب .

٢٤ ــ وجـــاء في هذا الباب « النطيطة » فقـــال المصنف : وهي اللطيطـــــة .

وليس اللطيطة في « الصحاح » او « اللسان » او « القاموس » . وقـــد وُجِــد في هذه المظانّ : لَطَطتُ الشيء : الصقته ؛ ولططتُ حقَّـــه : جحدتُه ؛ ولطّ الستر : ارخاه ؛ ولطّت الناقة بذنبها،اذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ — وقال المصنف : « هي البُليلة » . واكتفى بذلك . وهي ريح باردة مع ندى او مطرة ضعيفة، كما في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ — وجاء الكثير من بناء « فُعال » بضم الفاء المضاعف، صفاتٍ ونعوتا، ممّا يجب ان يندرج في قسم الافعال .

٢٧ — وفات المصنّف ان يدرج « الطُّفاف » في عدة هذه الالفاظ التي جاءت على هذا البناء .

٢٨ — وفات المصنّف في بناء « فُعالة » بضم الفاء مع التضعيف، « الطُفافة » ، وهي ما فوق المكيال، ومثلها « الطُفاف » الذي اشرنا اليه .

٢٩ — وجاء من المنسوب على بناء « فُعال » بضم الفاء، لفظ واحد هو « القُساسيّ » ، وذَكَرَ المصنّف انه السيف .

اقول : وفي « الصحاح » ان القُساس معدن الحديد بارمينية ، و « القُساسيّ » منسوب اليه .

٣٠ — وجاء في بناء « فِعال » مكسور الفاء من المضاعف « الجِداد » ، فذكر المصنّف انه لغة في « الجُداد » بفتح الجيم .

اقول : والجِداد والجُداد مثل الصِرام والقِطاف، كما في « الصحاح » .

٣١ — ومن ايجاز المصنّف انه ذكر « الصِرار » بكسر الصاد، وقال : الخيط الذي يُشدّ به ضرع الناقة .

اقول : وزاد في « الصحاح » ، لئلا يَرْضَعها ولدها ؛ وهذه الزيادة مفيدة وواجبة .

٣٢ — وفي مادة « تِمام » بكسر التاء، ذكر المصنف : وَلَدَ تِمام وتَمام (بالكسر والفتح) ، وقَمَرٌ تِمام وتَمام .

اقول : والذي في « اللسان » الكسر وحده، ليل تِمام وليل التِمام وليلٌ تِمامي .

٣٣ ــ وفاته في بنــاء « فِعالة »بكسر الفاء من المضاعف،« الكِمامة » وهي ما يجعل على مِنخَر الدابّة لئــلا يؤذيها الذباب،كما في « اللســان » . و « الكِمامة » ايضا وعــاء الطلع،وغِطاء النَّور،كما في « الصحاح » .

٣٤ ــ وفاتــه ايضا « الدِلالة »، بكسر الدال،وهو ما يعطــى للدَلّال او الدليــل .

٣٥ ــ وجــاء في بناء « فُعْلَى » المضموم الفــاء والمضاعف،ثلاثة الفــاظ هي : « الرُبَّى » ، و « الحُمّى » و « الغُمَّى » .

اقــول : وفاته شيء كثير،منه:« الحُبّى » من اعلام الاناث ، و « الدُبّى » : موضع بالدهناء ليّن يألفه الجراد فيبيض فيــه ، و « الجُلّى » للأمــر العظيــم .

٣٦ ــ وفــات المصنف في بنــاء « فُعْلاء »،بضم فسكون مــن المضاعف:« الدُبّاء » وهو القرع،واحدته دُبّــاءة .

٣٧ ــ وفــات المصنف في بنــاء « فُعْلان » من المضاعف:« زُبّان » من اعلام الرجــال ، وكذلك « بُلّان » .

٣٨ ــ وفــات المصنف أن يذكر « الحَبْحَبة » على بنــاء « فَعْلَلَة »، بفتح الفاء،وتعني جري المــاء قليلا .

كمــا فاتــه « الخَبْخَبة »،وهي رخاوة الشيء المضطــرب .

ومثــل هذا « الدَبْدَبة » وهي العُجروف من النمــل . و « الدبدبة » كلّ صوت اشبهَ صوت الحافر على الارض الصلبة . ومثل هذا « الذَبْذَبة » وهي تردد الشيء المعلّق في الهــواء . ومن ذلك « الجُلْجُلة » للصــوت عامّــة . وهذا قليل من كثير مما قَصَّر فيه المصنــف .

٣٩ ــ وفــات المصنف « الصُرْصُر »،بضم الصاد من مضاعــف الرباعي . والصُرْصُر، بالضم والفتح؛والصُرصور مثل الجُرجور،وهــي العظام من الابــل .

٤٠ ـ وقد فاته في بناء « فُعْلُلَة » بضم الفاء واللام: « البُلْبُلَة » لضرب من الكيزان في جنبه بُلْبُل يَنْصَبّ منه الماء .

٤١ ـ وذكر في بناء « فِعْلِل » بكسر فسكون من المضاعف : ورجل صِمْصِم اي غليظ .

اقول وزاد صاحب « الصحاح » : ويقال الجريء الماضي .

٤٢ ـ وقد قصّر المصنف في بناء « فُعالِل » بضم الفاء وكسر اللام وقد فاته « البُسابِس » و « الكُباكِب » و « الدُبادِب » و « الحُباحِب » للكثير الصِياح ، وغير ذلك كثير .

٤٣ ـ وقد فاته كثير مما جاء على « فَعْلال » بفتح الفاء من المضاعف ومنه « الدَبْداب » و « الرَحْراح » وشيء رحراح اي فيه سَعة . وغير هذا كثير .

٤٤ ـ وقد فاته في بناء « فَعْلالَة » بالفتح « الطَبْطابَة » وهي خشبة يُلعَب بها في الكرة .

ومن هذا ايضا « البَسباسَة » وهي بَقْلَة ، وهي ايضا من اعلام الاناث .

٤٥ ـ وفاته في بناء « فُعْلول » « الطُرْطور » وهو الوغد من الرجال .

وينتهي المصنف من باب الاسماء من المضاعف ويعود الى باب الافعال من المضاعف فيبدأ بـ « فَعَلَ يَفْعُل » بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع . ويعقبه بـ « فَعَلَ يَفْعِلُ » بفتح ثم كسر ، ثم « فَعَلَ يَفْعَل » بفتحتين ، ثم « فَعِلَ يَفْعَل » بكسر ففتح . وهو في مجموع هذا يذكر المصادر . ولا تحسبنّ انه يستوفي الكَلِم او يستوفي الدلالات ، فقد فاته الشيء الكثير . وهو يوجز في كثير من الاحيان ايجازا مُخلاً .

وهـو حين يذكر « فَعِل يفَعَل »،بكسر ففتح،يعرض للنعوت التي وردت على" افعل" من الافعال المضاعف،نحـو: الأَخَصّ والأثَمّ وغيرهما .

ثـم يدخل في باب الزيادات،مبدأ بـ « أفْعَل » من المضاعف،نحـو: أَحَبّ وأَلَحّ . ثـم يعقب ذلك بـ « فَعَّل » المزيد،ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة وغيرهـا ، وينتهي من المضاعف فيعود الى الافعال غـير المضاعفة،ويتبـع منهجه نفسـه ، في المجرد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقـات .

ولا بـد من القول ان المصنّف مقصّر غير مستوف لمادتـه في هذه الجمهرة الكبيرة من المـواد .

وهـا نحن نبدأ الكلام على الجزء الرابع،والمنشور منـه القسم الاول ؛ ولعلّ القسم الثاني خاص بالفهـارس .

يبـدأ هذا الجزء بـ « كتاب ذوات الاربعة » ؛ وقد يخيَّل اليك ان « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي،فأقول،ليس الامر على هـذا النحو،فهو يأتي بباب « فَعْل »بفتح فسكون،مما آخره واو،كالرَّبْو والنَّحْو والفَرْو والدَّلْو،وغير ذلك . والمصنف على نهجـه لا يستوفي عدّة الكَلِم ولا يستوفي دلالاتها ؛ وقد يوجز ايجازا يحمل الضيم على المعاني . ثـم انـه يخلط الاسماء بالمصادر،مع ان البـاب مخصوص بالاسماء دون المصادر،التي يعدّها من بـاب الافعال .

فـاذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها،عـاد الـى الباب نفسه مما آخره يـاء .

ثـم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالبَوّ والحَيّ . ويستمر في ابنيـة الاسماء المنتهية بأحد الحرفين الواو والياء،كبناء « فَعْلَة » بالفتح،و « فِعْلَة » بالكسر و « فُعْلَة » بالضـم و« فُعْل » بالضـم،و « فِعْل » بالكسر،و « فَعَل » بفتحتين،و « فَعَلَة »

بفتحتين، و « فِعَل » بكسر ففتح، و « أفْعُل » و « أفْعُلة » و « أفعُول » بالضم، و « أفْعُولة »، و « أُفْعُلان » بضم الهمزة والعين . و « مُفْعَل » و « مُفْعَلة » بفتح العين، و « مُفْعُل » و « مُفْعُلة » بضم الميم، و « مِفْعَل » بكسر الميم، و « مِفْعَلة » بكسر الميم . وهكذا في سائر المشتقات من الاصل المجرد او المزيد ، وكل ذلك مما آخره واو او ياء . ثم عرض للمهموز في الافعال ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه .

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع، والدارس لهذا الكتاب ممتَحَنٌ اشدّ الامتحان في معرفة الغرض الذي رمى اليه المصنّف، اهو معجم للأبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الالفاظ ؛ أم هو معجم للأبنية والكَلم ؟ واذا كان هذا ، فأين جمهرة من الكلم التي فاتت المصنّف ؟

ولم أُرد ان آتي على ما فات الفارابي من الكَلِم المندرج في ابنيته المختلفة، فيكون للمستدرك الذي اتيت به صفة الاستقراء الوافي ؛ بل اردت ان آتي بنماذج واضحة مما فات المصنف، ومما اخلّ به او قصّر او اخطأ، لاقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجمية العلمية الدقيقة .

على أن من الحق ان اقول في الختام إن المحقّق قد قدّم من الفوائد ما اغنى الكتاب، فيَسَّره واجزل فائدته . ولا يضير هذا العمل الجادّ هفوات عرضتُ لها في الكلام على الجزء الاول ؛ وهل تعدم الحسناء ذاما ؟

د. ابرٰهيم السامرائي

تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبد الحق فاضل
(بغداد ، العراق)

الـذي اريد اليه : هو (تعريب) بمعنـاه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا اخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبْت الاسم الاعجمي واعربته، بمعنـى : نطقت بـه على نهج العرب ، على تعبير المعجـم . وبتعبير اوضح : استعملته فـي عربيتك ونطقته على طريقة لغتـك . ومن ثم اطلق اللغويون « المعـرَّب » — زنـة المظفر — على الدخيل في العربية . امـا اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بهـا على الاغلب على النهج الاجنبي ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. اي ينطقونها بالحركات الممالة الاجنبية والحركات الاجنبيـة .

ثـم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتأخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هـذا الكتاب تعريب فلان ، او عرَّبـه فلان ، اي ترجمه من لغـة اعجمية الى العربية . وهـذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعنـي اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله فـي العربية بدلا من ترجمتـه . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقـل الكتاب الاجنبي الى العربية ، ان يسمى العمل (تعريبـا) اذا عبّر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هـو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وان يسمى (ترجمـة) اذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيـره .

وانقلـب (التعريب) قلبة اخرى يـوم استعملوه في قولهـم (تعريب التعليم) مثلا، بمعنى ترك اللغـة الاجنبية في التعليم واحـلال

العربية محلها . ولو سمعها احد العرب القدامى لتساءل متعجبا :
هل المقصود هو التعليم باللغة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج
العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليم)
تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمعناه
الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربي ، الى طرد اللغة
الاجنبية واحلال العربية محلّها .

وبما ان هذا المعنى الاخير المستحدث هو الشائع الدائر على
الالسنة والاقلام اليوم ، وهو الذي يعرفه ابناء الجيل الجديد ،
فلستُ اجد مناصا من الاخذ به في حديثي هذا ، ولا اجد مناصا
كذلك من ان استبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمة اخرى ترفع
اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انها (الاقتباس) .

* * *

كثيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هي،
بدلا من صوغ الفاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أجلّة
العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربية وإكبارهم لشأنها . ومن
حُجَجهم ان العلم صار يتطوّر بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثر؛
فكلّ يوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلوم والصنائع في
مختلف اقطار العالم . ومن حججهم ايضا ان اقتباس المصطلحات
الاعجمية يساعد الدارس العربي على فهمها حين يقرؤها في لغة
اجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديد . وثالثة هي ان
العرب قد اكثروا من الاقتباس قديما، ولا سيما في عصر الازدهار
الحضاري على العهد العباسي ، وعَدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء
العرب وحسن تدبيرهم .

وجوابنا على كثرة المولود يوميا من المصطلحات عند الفرنجة،
ان معظمه لا شان له بنا من العلوم التقنية الحديثة التي لا نعرف
عنها شيئا ، او لا نعرف عنها الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن،لعلّـــه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عنـــد مختلف الامم،مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغـــة الاغريقية أو اللاتينية، لكيلا تختلط — ولا سيما اسماء المخترعات الحديثة — بالفاظ لغتهـم اليومية من قبيــل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزيــة أي : صوت من بعيــد ، و telegraph بـــدل script afar أي : كتابة من بعيـــد .

بـــل صاروا الآن،لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا،يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغـــة قومه ؛ احيانا يصوغ اسمها الطبيــب المشتغــل بهـــا،واحيانا المهندس،أو حتى العامل . في معجم النفـــط — مثلا — الذي عُمِلْتُ في وضع مصطلحات عربيـــة للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على اجهزة القسم الاعلى من البئـــر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِـــد) ؟ انـــا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه،فاخترت لـــه كلمة (الهامة) لانـــي وجدتهـــا اوفـــى بالمـــرام .

واحـــدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبـــدو أن هذه لم تكن مـــن وضع عالم او مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احـــد العمال،وَجَـــدَ راس الاداة او ذيلها أو شكلها العـــام يشبه العنزة فـــي تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كـــوت : goat) ثم ننطقها — على منهاج العرب (قـــوت) بالفتح ، او (جوت) بالنطـــق المصري ؟ (نسيت الاسم العربـــي الذي وضعته لهـــا) .

واذا كانت اللغـــات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغـــة من الاغريقية او اللاتينية،كالذي ألمحنـــا اليه ، فان بعضها يتغاير حتـــى في هذه ، كالالمانيـــة التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير مـــن هذه المصطلحات المشتركة . فامـــا المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغـــة قومه فلا يمكن بحال ان نقتبس واحدة منها من لغـــة الا لنخالف الاخريات .

فهذا الإشكال الذي يبتغي انصار الاقتباس ان يُجلّوه للعربية قد اخذت تعاني منه جميع لغات الارض ! حتى الفرنجة لم يبق لهم محيد عن الترجمة ، كل الى لغته : الفرنسيون يترجمون الى لغتهم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانية والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانية والايطالية ، الخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، اي الترجمة ، بل التعريب — وان بين الكلمتين لَفَرقاً نُوَمْنا بشيء منه آنفا ، وسيعود الينا نموذج منه بعد —

وبالاضافة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكر ان اللغة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلها ؛ فشركات النفط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منها المصطلح الذي يعنّ لها للآلة الواحدة، او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفية او غير ذلك .

فماذا نحن اردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغة نتبع ، ولكلّ لغة ، واحيانا لكلّ شركة معجمها ؟

اما الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسوا الالفاظ والمصطلحات ، فمن باب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكاء . فالاقتباس سجيّة جميع اللغات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منها ؛ فكلّما زادت اللغة إملاقاً وقلّت مقدرةً على التعبير، كثُر اقتباسها من اللغات الاخرى التي تحتكّ بها . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقة اللغوية ، لا محلّ لها هنا).

وقد تكاثرت المقتبسات في عهد الترجمة العباسي حقا ، لكن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغة المترجمين، وضآلة بضاعتهم من

العربية ـــ وقد كان بعضهم من غير العـــرب الفصحاء ، فشاعـــت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيـــف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجـــم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية أو غيرها) او لم يَهْتَـــدِ الى الكلمة العربية المقابلة لهـــا ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمه العربيـــة .

لكـــن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعـــد ، ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بـــدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بـــدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بـــدل الجغرافيه ، والحساب بـــدل الارتماطيقا ...

ولامـــر ما ثُبِتَ بعض المصطلحات الاعجمية بـــدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكـــن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربيـــة التي لا تحصى فـــي الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرهـــا .

ولـــو قد اخذ العلماء العرب عهدئذ كـــل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهنديـــة .. لضاع علينا من لغتنـــا هذه العربية خير كثـــير .

ولئـــن كنت اعاضد (التعريب) واعارض (الاقتباس) فلســـت اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفـــاظ اعجمية تبحث لنفسها عـــن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجـــد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربيـــة ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعـــد زمـــن طويـــل .

عَمِلْـــتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ـــ في الربـــاط ـــ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريـــب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبـــت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت ان العقبة الكبرى في طريقي هي انـــي احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرها . امـا الكلمات المعجمية التي اعلم انـي لا اعرفها فما اوفرها عددا ! وما مرّت بي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنا الماسّة الى معجم للمعاني الى جانب هاتيه المعاجم الكثيرة للالفاظ . فعندما كتبتُ (في مجلـة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدني) ، مثلا ، عَرَضَتْ لي انواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، اعلم ان اسماءها موجودة في العربية لكنني لا اعلم كيف اجدها . كذلك كتبتُ عن المعجم العسكري الموحّد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثنـاء تحبيرها لو كان تحت يدي معجم للمعاني يتناول كل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافل والكراديس ، وكل مـا يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقـال عن معجم النفط ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه المعرّبون في علم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغـة العربية الشديد الغنى . لكن كيف نعثر عليها ؟

من فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصّص) ابن سيدة . انـه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضرير عبقري حقا ــ لكنه قديم ، لم تكن اشتات اللغـة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؛ فقد ظهرت بعده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همُّه ان يستعرض الالفاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخـول في تشعّبات اشتقاقاتها ومختلف معانيها . يضاف الى ذلـك ان (المخصص) لا يستوعب كل المواضيع ، فضلا عن ان تبويبـه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقـة ولا واضحـة .

ولـو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـا يتعلق بالاحلام في مكان آخـر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـق بالدرس والحصاد في رابـع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات ان نجـد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـة احيانا ، مما سبق للعـرب ان استعملوه واودعوه معاجمهـم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـه .

ازجـي بعض الامثلة من معجم صغير ترجمْته عـن الانكليزيـة والفرنسية باسم « معجـم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـوم في نصحانا مقابلاتها العربية . نذكـر منهـا falconry fauconnerie) بالفرنسية) ويشرحهـا المعجم بقوله إنهـا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنـا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـذا، ولكل لغـة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـى . افليس الامثل ان نؤثر كلمتنـا العربية التي استعملها العرب قديمـا بالفعل لهذا المعنـى وهي (التَّصقُّر) ؟

ثـم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يعرِّفه المعجم بانـه « نوع او سلالة من نباتات او حيوانات متخلفـة من فصيلة سالفة اكبـر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الامـة الباقية بعد الامـة السالفـة » ؟

كذلـك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـا العرب مقابلها (عاصفـة ترابيـة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـى هـي (السافية) اي « الريح التي تحمل التـراب » .

---

(١) نشر المعجم بلغتيه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة (اللسان العربي) . العـدد (١٢ ـ ج ١ ـ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثـم mass mortality (بالفرنسية mortalité massive)

.. بأيــة صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيـا بكلمتـي (المــوت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامــور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين أو التسمم) . ومعنى هذا انــه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمـــة واحدة تؤدي هذا المعنى لهــم . فمـا الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنــب ــ الروسي او غــيره ــ او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَّوَاف) ــ زنــة الطَّواف ــ اي : « المــوت يقع في الابل او الماشية » ؟

مــا علينا الا ان نبحث في لغتنـــا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبِّره عما نروم بالدقة او بمـــا يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيــان اغنـــى حتـــى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . مــن ذلـــك مثـــلا eulitteral (بالفرنسيـــة Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تُغْرَق دوريًّا لوقوعها بين حـــدود تَغَيُّر مستوى المــاء »[٤] اي تقع بين مستوى صعود المـدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمـــة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هـــي تعني لغويا عندهـــم (الساحلي) فحسب . وما كـــل أرض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحـــو ، لكنهم استعملوها لانهم لـــم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هـــذا المعنى الطويل . فهنا لم (أترجم) لفـــظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمــــة (الساحلي) او ما يماثلها . بـــل (عرّبته)[٥] اي وضعت مقابله الكلمة العربيـــة التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَّقَّة) ــ زنـــة البَطَّة ــ ومن معانيها : « الارض يغمرها المـــاء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملـــة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنـــى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على أن ثمـــة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكني لا اتذكرها عنـــد الحاجة اليها . واكثر مما اتذكـــر او لا اتذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفهـــا . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجـــم

المعاني ، مصري ، يتمّ فيه جَرْد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به او القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، ايـة مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى امام والى اعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم — حلاّل المشاكل التعريبية — موجود ، لكنه غير مطبوع ، كان قد ألّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل فيه اكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أحبّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات — ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية — قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording,

... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد امامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعني الكتابة بمختلف انواعها ، وبضمنها الكلمات الآنفة (٢) .

* * *

لكني لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة في المصطلحات العلمية إبّان ازدهارها حضارةً وثقافةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالميّ ، ايضا .

ذلك بأنني صرت اعتقد ــ بعد طول تأمل في هذه العربية ومقارنة لها مع غيرها ــ انها هي ام اللغات الآريات ، بالاضافة الى الساميّات والحاميّات ، كما اعلنتُ مرارا ؛ بل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت في الانكليزية مثلا ان كلمة river (نهر) يعود رسّها (= جذرها الصوتي) الى قول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هذا على الانكليزية طبعا،فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات اخريات كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا ان اللغويين الاوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات لغاتهم ؛ لانها ــ اي العربية ــ ما زالت نقية تحتفظ وحدها بين

---

(٢) من حسن الحظ ان وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت على عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّـات .

والمصطلحـات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهمر علينـا ـ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـا ـ افسدت نقـاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـل .

الاقتبـاس اسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـة ، لكنْ لتضييع اصالتها ايضـا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـات الارض،لانها دابت على اختطاف كـل مصطلح او لفـظ اجنبي يعرض لهـا ، دون ان تحاول اشتقاق صيغة لهـا من مفرداتها ، حتى غدت اوفـر اللغات ثروة،واوفاها بحاجـة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ـ كلغـة ـ من افقـر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـة . وليس ثمة لغـة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـة المحلية (الوازية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـات اوروبيات اخريات . ثـم جاء عهد الاقتباس ـ الاستعماري ـ مـن كل لغـات الناس .

* * *

المصطلحـات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـي . اذكر من امثالها ما يأتـي :

تلفزيـون :

وهـي اهـم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـا الآن ، لشيوعها في كـل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـاز (television) المركب من vision (رؤيـة) و tele (من بعيد) . امـا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـه ؛ و (الشّوّاف) من الناس : الحديد البصر ، والشّيفة (زنَـة السيدة) والشيفان (زنـة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشتاف) لهم ، اي يستطلع حركات العدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون) اي الرؤية من بعيد ، او بالاحرى اداة الرؤية من بعيد ، وهي ادق واصوب . وقد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في اكلاتهم ، لكنهم غير كثيرين ايضا .

غير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منها ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهاز ، و (التلفزة) على فن البث منه ، و (تُلْفِزَت) المسرحية : اعدّتها للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَزَة) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لي ، الى اثل عربي قديم . اما tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتلا بعد قومه : تأخر وبقي .. واتلاه : سبقه او أخَّره . واصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا ينمّ عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيها ، شأن الكثير من الالفاظ العربية . ثم ان كثرة ما نجده من الالفاظ العربية متسربةً من اللغات الاعجمية، تدعونا الى البحث في العربية عن اصول الالفاظ الاوربية التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريات . لهذا لا نستبعد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدرة من فعل (تلى) بمعنى التخلّف والتأخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتباع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) — المناقض للاتباع — في العربية نفسها .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاثلها من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالايطالية . ومرادفها (face) منطوق (فاجِه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجه) العربية اوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجـــه نجدها في العربية ايضـــا ، حيث اشتقوا من الوجــه (المواجهة) بمعنى الملاقاة، والزيارة عنــد المحدثين . اما المعجـم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجــه . و وجّـــه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليـــه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحـــال) .

فعلـى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية اصلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبهـا العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالمِشْواف او غـيره ؟

سوناتـــا :

لهـا معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجـع رسّهـــا (جذرها الصوتي) الـى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الـذي منه قال العرب صأى الفرخ : اي صات . ومنـــه اشتقوا : صاء ، ثـم صاح ، ثـم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزيـة shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصـــورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيـــا :

هـي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : (gé (ارض) و logia (كـلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنـا هذا : (علـم الارض) ، وقد عرّبوه بـ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا اطلقت على هـذا العلم اسم (الأرْضانيّات) قياسا علـى (الأحيائيّات) بمعنى علـم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المســح الارضاني والمعهد الارضانية؛بمعنى المســح الجيولوجي والمعهد الجيولوجيـة .،

ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : logia) اي الكلام ، ترجع باثلها العربي الى (لغـة) .

وامـــا ge فتعني بالاغريقية الارض ، كمـــا تقدم ، وتقول المعاجم التاثيلية أن الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) ..

وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضـــا ، بالنطق البدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربـــة (الجزيرة العربية) بوجه عـــام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو معجميّـــا : الارض السهلة المستويـــة ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات العربيـــة يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهـــو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) اقرب الـــى الاغريقية (gé) ، وقـــد وردت في الآيـــة « كسرابٍ بقيْعة يحسبه الظمآن مـــاء » اي كسراب بارض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغـــة جمع فقط للقاع ، بينمـــا وردت في هذه الآيـــة بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآيـــة : « كسراب (باراضٍ) يحسبه الظمـــآن مـــاء » .

ثـــم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانـــت تعني الارض بعامة ايضا،فيمـــا ارى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكـــر ، مثل مرادفة المساءة للمســـاء،أو النجمة للنجم، والليلـــة لليـــل .

لهـــذا يغلب على الظن ان (gé) اثلهـــا (قيعة) و (gaia) اثلهـــا (قاعة) — بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيهـــا .

وامـــا نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقـــد جـــاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيـــا،كما لا تزال تنطقـــه بعض الدارجات متخلفا من القبائـــل القرشية ومن تأثيرها . امـــا سائر القبائل العربية فكانت ومـــا زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همـــزة) ..

بمعنى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology) المؤلفة اصلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قدمى) اثيلة بمادتها،اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى اجدني مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات،التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفـــون :

هـــذه الكلمة الاجنبية قاومت مـــدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات مثل (تلغـــراف : telegraph) الذي صار يدعـــى (برقيـــة) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حـــاكٍ .

بالرغـــم من ان بعض الاقطار العربية عربت (التلفـــون) باسم (الهاتف) بقيت اقطار اخرى محتفظة باسمه هـــذا الفرنجي،واشتقت منه (تَلْفَنَ يُتَلْفِن) ؛ على حين ان (الهاتـــف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنـــى تلفنت . كما أن تسميته العربية هـــذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقـــه ان يدعى (مهتوفا بـــه) ، امـــا (الهاتف) فالانسان المتكلـــم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكـــان الصواب ان تؤخذ لـــه احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتف ، مِهْتَفَة ، هاتوف ! . .

لكـــن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاهـــا الاكثرون،حتى في العـــراق الذي بقي حينـــا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربـــي .

و (التلفـــون : telephon) مركب،كما هو معلـــوم، من (tele) التي سبق انـــا تأثيلها و (phon) : صوت ، التي يطيب انـــا ان اثلها الاعربي (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي الفـــم الذي تنطقه الدارجة المغربية بالضم (فم) وبعضهم يسدّه على علة

المغاربة في مـد بعض الحركات : (فوم) .. وهي ظاهرة نطقيـة متخلّفة من عـادة اعربية لبعض القبائل القُدْمى . وقد استعملت العرب (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم:فـاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهَ القـوم : تكلّموا . وليس بمستبعد ان تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـم ، او (الفَوه) بالفتح : مصدر فعل"فـاه يفوه"، اي ينطق .

تكنولوجيـــا :

technology .. امـا (لوجي logy) فقد تحدثنا عنها ، وامـا (تكنـو : techno) فاثلها الاغريقي (تخنـه : techné) اي الفـن . واثلها العربي هو (النَّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع ،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ نِقْنِـه»اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ـــ اي الموهبة او ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (النَّقِن) زنـة الشَّرِس ، هو « المتقن الأشياء،الحاذق فـي العمـل » .

اذن فـــ (التكنولوجيا) ايضا عربية اثـلا . ولكن ... اذا اخذنا بها فـلا ينبغي ان نفرّط بصيغة (النِقْنِيَات) و (النِقْن) وانمـا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المُواطـن التي لا تفي (النقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـن .

بنزيـــن :

هـذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اثـل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا صلة لمعناها الحالـي بمعناها الاصلي . فهي من مولَّدات العهـد الاسلامي اولا،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاثل هو (... جاوي) وهو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العرب من (جاوة) ... ولا علاقة لـه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات ونحوها ...

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم فيما يظهر انـــه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثـــم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثـــم تطور معناه ايضـا حتى صـــار (بنزين : benzin) .

جغرافيـــــا :

امـــا هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفـــاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفـــظ عربي مبين ، لانها شـاعت وفرضت نفسهـــــا بالرغم من ان العـــرب سبق أن عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثـــم اختصروها الى بلدانيـــات .

وهـــي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) اي علـــم الكتابة عن الارض .

امـــا (كيه : gé) فقد اثلناها عند كلامنا عـــن (الجيولوجيا) ، وامـــا (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنـــا انها من العربيـــة ايضـــا .

ذلـــك بأن العرب قالت خرفش شيئا : خلّطه (بالتشديد)،وهي من قولهم خربش الكتـــاب (اي المكتوب) : افسده . وهذا المعنـــى مستحدث في الكلمة،سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينهـــا تُطلُّبا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المصاغ من الكلمة نجـــده في قولهم:قرمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالـــوا:قُرمُط الكتاب . ومـــن هذه الفصيلة قولهم،خُرفُمَن في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هـــو الافساد ، في لفظ (خربش) الشتق مـــن (خُرِّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعنـــي التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعـــا من الافساد . وليس ببعيد ان

فكـون graph الافريقية بمعنى الكتابة تعربها تطوريا لكلمـة (خرنش) او (خرّب)،بمعنى الكتابة المتقاربة اولا،ثم الكتابة مطلقا . وقد راينا ان التحريف كان أكبـر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخـل العربيـة الام .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ فـي المدونـات العربية ، لم يعـد في الامكان تعريبه،اي استبدال لفظـة عربية بـه ، حتى لو قرّرنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التـي يرجع نسبها البعيد الى العربيـة .

فونوغـــراف :

ولـقـد وردت بصيغتي (phonograph و(gramophon) ، وكلتاهما تتالف من مادتـي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تَقدّم تاثيلهما — بمعنى تسجيل الصوت . امـا هذا المصطلح فقد انقرض مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعـد نقرأ لاحد تعبير (الفونوفراف) أو (الغرامافون)،كمـا انقرض (التلغـراف : telegraph) الذي حَلّت محلّـه (البرقية) . ولم يعـد بالامكان احياؤه حتى لـو اردنا ؛ اي انـه اصبح (معرَّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشـانـه عكس شان (الجغرافيا) مثلا — المعرّبة بالمعنى القديـم .

علـى ان الانكليزية ايضا اهملت المصطلح بصيغته،وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شـاع في الدارجات العربية ولغـات اخرى .

طـــــر :

مَتَرْتُ الحبل : مددتـه . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحـات الاراضي بالحبـل ، ومن هنا نشا (المتـر : meter) ومعـل (measure) اي يقيس طولا او ثقـلا أو حجما أو اي شـيء — في الفرنسية والانكليزية من طريق اللاتينيـة .

و (المتـــر) ايضا اصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعــد بالامكان الاستبدال بها ، لـــو اردنا .

* * *

لا حاجة بـــي — بعد الذي تَقَدَّمَ — الى اعادة القول إنـــي من انصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هـــذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنـــا التأثيل عن محتـــدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضهـــا ؟

ام نقبلهـــا ، لا اقول مباهاة بها بين الأمـــم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربـــي ، وتدليلا علميًّا على امومة العربية لكثير مـــن اللغـــــات ؟

فهـــذا الامر الذي لا ازال ارانـــي مترددا فيـــه .

عبد الحق فاضل

من مزالق الترجمة بين العربيّة والفارسيّة

للدكتور يوسف حسين بكّار

(جامعة اليرموك ، الأردن)

- ١ -

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جدا ، اذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى) ، ثم الفارسية الاسلامية (الدريّة الحديثة) من اكبر منابع الترجمة ومصادرها الى العربية . وقد اثبت ابن النديم ــ فيما اثبت من فهارس ــ « فهرسا » ، باسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نوبخت (١) ونشط الدكتور محمد محمدي ، في الستينات ، ايام كان مستشارا ثقافيا لايران ببيروت ورئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعتها اللبنانية ، في جمع « ما نُقِل من الآثار الادبية الفارسية الى اللغة العربية في القرون الاسلامية الاولى ، وخاصة في اوائل العصر العباسي ، مما امتزج بالادب العربي حتى اصبح جزءا منه » (٢) ، واصدر الجزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية ــ في القرون الاسلامية الاولى » الذي افرده لكتب « التاج » و « الآيين » (٣) بعد أن جمع

---

(١) الفهرست ، ص ٣٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

(٢) محمد محمدي : الترجمة والنقل من الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٤ .

(٣) هكذا تتناقلها المصادر العربية ، وقد كانت تعرف باسم « آيين نامه » في الادب الفارسي الساساني . و « آيين » لفظة فارسية بهلوية معناها : القاعدة ، و الطريقة ، او القانون ؛ قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » : « تفسير آيين نامه كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتاباتهم بشكلها الفارسي .

(محمد محمدي : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ وما بعدها) .

ما نثار منها في المصـــادر العربية الاسلامية بشتى انواعهـــا .

واخـــذت حركة النقل والترجمة تقوى في الاعصر الاسلامية التالية ، ولم تعـــد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها الى العربيــــة ، انما امتدت جهود المترجمين الى ترجمـــة بعض الآثار العربية الـــى الفارسية ، مـــن مثل : « تفسير الطبري » و « تقويـــم الصحـــة » ، و« الشاهنامة » و « تاريخ بخـــارى » .

وأمـــا في الاعصر الحديثة ، فاتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعا كبيرا ؛ اذ ترجـــم العرب عددا من أمهات كتب تراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانة » ، و « ديـــوان حافـــظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « مثنـــوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شاهنامة » الفردوسي ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامة » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لهـــا اكثر من عشرين ترجمة عربيـــة بالفصحى والعامية) ، و « قابوس نامـــة » (كتاب النصيحة) ، و « سياست نامـــة » (كتاب السياسة) ، و « عطار نامـــة » ، و « سندباد نامـــة » ، و « بختيار نامة » ، و « تاريخ البيهقـــي » ، و « جامـــع التواريـــخ » .

وترجمـــوا عددا لا يستهان بـــه من مؤلفات الايرانيين المعاصرين وآثارهم . وممن تُرجِم لهـــم مثلا : الدكتور زادة شفق ، علـــي دشتي ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعي ، رشيد ياسمي ، ابـــو القاسم حالت ، ايرج ميرزا ، بروين اعتصامي ، والدكتور غلامحسين يوسفي (٤) .

---

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة من الفارسية ، راجع :

ا — يوسف بكار : جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي ، مجموعة سخنرانيهاي دومـــين كنكره تحقيقات ايراني ، جلـــد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٢ م) ، ص ٤٢٧ — ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبيات فارسي در كشورهاي عربي ، للدكتور جعفر شعار .

سخن ، دوره ٢٣ ، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٣ شمسي .

امــا الايرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنــا العربــي ، وعددا آخر من آثارنــا المعاصرة ؛ وهو ــ على ايــة حال ــ اكثر مما ترجمنا لهــم من اعمال معاصرة . ومن كتــب تراثنا التي تُرجمــت الى الفارسية في العصر الحاضر : تاريــخ الطبري ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبي ، الاخبار الطوال ، سني ملوك الارض والانبيــاء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابــن خلدون ، رحلة ابــن بطوطة ، ورحلــة ابــن فضــلان .

ومــن المعاصرين العرب الذين تُرجم لهــم شيء او اشياء من آثارهم واعمالهم الــى الفارسية (٥) : قاسم امين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طــه حسين ، أحمد امين ، زكي محمــد حسن ، بنــت الشاطىء ، محمد أبو زهرة ، محمد عبد الغني حسن ، جورج جــرداق ، سيد قطب ، محمــد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البياتي ، محمــد الفيتوري ، غسان كنفاني ، فدوى طوقان ، محمــود درويش ، سميح القاسم ، وتوفيق زيــاد .

=

٢ ــ يوسف بكار : الفارسية وادابها في البلاد العربية ، نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامي دانشكاه مشهد ، شمارهٔ ١٢ ، پائيز ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٤ م) ، وترجمته الفارسية : زبان وادبيات فارسي در كشورهاى عربى ، للانسة مليحة شريفي .

سخن ، دوره، ٢٦ ، شمارهاى ٩ و ١٠ ، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

٣ ــ الدكتور طلعت ابو فرحة : اضواء على الدراسات الفارسية في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصــر وايران (ص ١٩٦ ــ ٢٢٦) ، القاهــرة ١٩٧٥ .

٤ ــ نصر الله مبشر الطرازي : الكتاب الايرانــي في مصر ، في الكتاب السابق اعلاه (ص ١٤٥ ــ ١٨٤) .

(٥) راجع ايضا : مرتضى آيت الله الشيرازي ، جولة حول الروابــط المعنوية بين ايران ومصر والكتاب المصري في ايران ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصــر وايــران (ص ١٨٥ ــ ١٩٧) .

ليس عبثاً ان يُعنى العلماء والباحثون ، من هوراس * الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لها ، وتقعيد قواعدها ، وتبيين اهميتها ودواعيها ، ووضع الشروط لمن يتصدون لها على انها « فن » كغيرها من الفنون . غير انه بات معروفا أيضا ، ان الترجمة لم تعد تنحصر ، فقط ، في دائرة « الفن » الدقيق الذي لا يستطيعه الا اولو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، انما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغوية ، الى دائرة « العلوم الوصفية » لوضوح الجانب « الوصفي » فيها .ومن هنا انبثقت الدعوة وجاء التخطيط الى « علم للترجمة » ، من غير انكار لما فيها من عناصر فنية ، على يد يوجين . ا. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحو « علم للترجمة » * . وبهذا اضحت الترجمة ، كالنقد تماما ، تجمع بين « الفنية » و « العلمية » .

ان حركة الترجمة الحديثة النشطة من العربية الى الفارسية وبالعكس ليست بدعا بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليها ؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطها ، كما أن زُمَر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض له غيرهم من المترجمين من صعوبات ومشاق ومزالق . وقد تكون مزالق الترجمة ومشكلاتها بين العربية والفارسية اكثر من غيرها ، لما بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرض ، وان لم تجمعهما اسرة لغوية واحدة،فيما هو معروف .

ولقد قُيّض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهد الايرانية (١٩٧٠ — ١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابها في جامعتها ، ان اتعلم الفارسية ، ثم ازاول تدريس الترجمة،واجرب حظي فيها عمليا من الفارسية الى العربية،بترجمة « سياست نامة »،لنظام الملك

(*) Horace.

(*) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربية ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى * ومن العربية الى الفارسية (مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفي) بترجمة « قصّتي مع الشعر » ** لنزار قباني، و « مختارات من الشعر العربي الحديث» *** كما قيض لي ان أطلع على كثير من ترجمات الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ، يسّر لي أن اكتشف ، من كثب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعترض المترجمين من العرب والايرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها .

— ٣ —

لعل من اهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء بسواء . فقديما اوجب « جاحظنا » على الترجمان « ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٦) . ويزيد وديع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذّها وشواردها . ولا بد قبل النقل من اجادة اللغة التي يُنقل اليها النصّ » (٧) .

---

* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي » و « سمات الادب الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفي ، و « الحسام الشاعر » لعلي دشتي .

** — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

*** — الكتاب معد للطبع .

(٦) الحيوان ١ : ٣٨ ، المطبعة الحميدية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٧ نقلا عن : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

وقد اكّد « اتين دوليه Etienne Dolet » (١٥٠٩ — ١٥٤٦) ، الذي يُعَدّ واضع اول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازم في بحث له عن مبادىء الترجمة ، وجعله واحدا من مبادىء خمسة اساسية للترجمة ، فقال: « لا بد ان يكون المترجم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ، وان يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغه التي يترجم اليها » (٨) .

هذا الشرط من ابرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرس معا ، فضلا عن عدم تمكّن اغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة : فان جمهرة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها وانخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الاولى ، او اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة ، قد اضحت لبعض المترجمين الايرانيين حقائق مسلّمة ، صَرَفتْهم حتى عن استشارة « معجمات » اللغة، مع انها من واجبات المترجم في احسن الاحوال . يقول يوجين نيدا : « يتمثل اول واوضح مستلزم يحتاجه اي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؟ فلا يكفي ان يكون المترجم قادرا على فهم (المغزى العام) للمعنى،او ان يكون ماهرا في استشارة القواميس (فمن المفروض انه سيفعل ذلك حتى في احسن الاحوال) ... ان ما هو اهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي ... ، التضلّع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل . ان اغلب الاخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون،تنشا في المقام الاول من افتقارهم الى المعرفة الشاملة بلغة المتلقّي » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابَه بسيل من الفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معاني غير معانيها في لغتها

---

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٥ ، ثم انظر ايضا : ٢٨٥ — ٢٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٦٢ — ٢٩٤ .

الأم . وليس مبالغة ان يقـال إن النصب والمماناة المتاتيين عنها اكثر مما يتأتى من جانـب مفردات الفارسية نفسهـا .

ان مـا اشار اليه هؤلاء الثلاثة يُصْدُق على ما نجده عنـد بعض المترجمين الفرس والعـرب من اخطاء واوهام . وهـذه بعض النماذج :

١ ــ كـان المرحوم محمد رضا تجدد آخـر من حقَّق « الفهرست » لابن النديـم (طهران ١٩٧١) ، وهو الذي ترجمـه الى الفارسية أيضا ، وطُبعت الترجمة مرتين الى الآن ، وهي لا تخلـو من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربـي من اخطاء كثيرة » (١٠) . فلقد اعتاد ابن النديم أن يصف الكتـاب الذي كان يراه بنفسـه بانه ((كبيـر)) او ((لطيـف)) اي « صغير » وفقـا لحجمه . يقول في الكلام على ابـن سعـدان « . . . ولـه من الكتب : كتاب الخيل ؟ رايتـه . لطيـف)) (ص ٨٧) ، ويقول فيإخبار محمـد بن داود الجراح : « ولـه من الكتب . . . كتاب (الشعر والشعراء) . لطيـف » (ص ١٤٢) ، ويقول في اخبار جعفـر ابـن حمدان الموصلي : « فاما كتبـه الادبية ، فهي : . . . كتـاب محاسن اشـعار المحدثين،لطيـف » (ص ١٦٦) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن أبـي منصور الموصلي : « ولـه من الكتب : . . . كتاب الطبيخ . لطيـف » (ص ١٦٦) .

لكـن ، ما الذي فعله المرحوم تجدّد حين ترجـم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجـم لفظة ((لطيـف)) في كل الموارد السابقة،بمعناها المعروف في الفارسية : « خوب » أو « نازك » * ، والاكثر شيوعا فـي العربية : جميل ، أنيق ، جيـد . فكانت ترجمة المثال الاول : « ازكتابهاي

((١٠)) راجع في نقد الكتاب : يوسف بكـار ، نظرات في فهرست ابن النديـم ، مجلة كلية الالهيات والمعارف الاسلامية ــ جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣ م)) .

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحلية بالمعنى نفسـه . ومن الطريف أن المحقق فسرها بالعربية بقوله « ونزك كلمة فارسية بمعنى الناعـم » (ص ٢٨٤،الحاشية) .

اوست : كتاب الخيل كـه بسيار خوب است » (١١) ، وترجمة الثاني « وايـن كتابها ازاوست : ... كتاب (الشعـر والشعـراء) . نازك اسـت » (١٢) ، وترجمة الثالث « وكتابهاي ادبـي او بدينقرار است : ... كتاب محاسن اشعـار المحدثين . نازكست » (١٣) ، وترجمة الاخير « وايـن كتابها ازاوست : ... ، كتاب الطبيخ . نازك است » (١٤) .

فلـو استشار المحقق — المترجم المعجمات العربية واستنجد بهـا ، على الاقل — لوجـد ان لفظة « صغير » من معاني كلمة « لطيف » (١٥) ، وربما كان يعنيه ابـن النديم مقابل لفظة « كبـير » ، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « ولـه من الكتب : كتاب اخبـار خلفاء بني العباس . كبـير » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنهـا السابقة وغيرها بلفظة « كوچـك » الفارسية ، ليس غير .

وربمـا ان لفظة « ملطّفة » التـي تلقانا بكثرة في المصـادر الفارسية التاريخية،من مثـل « سياست نامـة » و « تاريخ البيهقي » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتـب في الحالات الفوريـة ، أُخِذَت من الاصل العربي « لَطُـف » نفسه ، لان المعجمات العربية لا تذكرها .

٢ — في ترجمـة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهـود عربية معاصرة في خدمـة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة « نفـر » فـي هذه العبارة،« قـام (نفـر) من اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعـة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)،الذي كتـب فصوله اساتذة مـن المستشرقين » بشخص واحـد ، وهو معناها في الفارسيـة وفي بعض

---

(١١) الفهرست ، ص ١٣٢ (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسي .

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفسـه ٢٤٧ .

(١٥) انظر مثلا : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطـف) ، والدكتور حسين نصار : المعجم العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهجاتنا المحليـــة . قال « **يكي ازاستادان** (معهـــد اللغات الشرقية) در دانشگاه قاهره بـــه ترجمه كتاب (تراث فارس) برداخته اسـت » ، بيـــد ان المعنى اللغوي الصحيح للّفظة موءجماعـــة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٦) . فالترجمة الصحيحة اذن « **چندتن ازاستادان** . . . »

والحـــق ان مترجمي القـــرآن الكريم الى الفارسية ترجموا اللفظة عينها في قولـــه تعالى « قـــل اوحي الي انـــه استمع نفر من الجن ، فقالوا : انـــا سـمعنا قرآنا عجبا » (١٧) ترجمة صحيحة . وهذه ترجمـــة الاية الكريمة « بگـــو : وحى آمده كـــه گروهي ازپريان استماع (قرائت مـــن) كردند وگفتند : مـــا قرآن شگفت آور شنيديم » (١٨) .

٣ ـــ يستعمـــل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات « اغراض الشعر » و « موضوعات الشعـــر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه اكثر الايرانيين ، ان لم يكونوا جميعهم ، من هنا وَهـــمَ الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في ترجمة لفظة « الاغراض » بمعناها المعجمي « اهـــداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتور محمـــد مصطفى بـــدوي « مختارات من الشعر العربـــي الحديث » .

جـــاء في مقدمة الدكتور بدوي « ومـــا زالت موضوعات هؤلاء الشـــعراء هي **الاغراض** التقليديـــة من مديح للحكام ، وتقريظ للاخوان ، وتاريـــخ للمناسبـــات . . . » (١٩) .

---

(١٦) لســان العرب ، مادة (نفر) .

(١٧) سورة الجن ، آية (١) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة ابي القاسم پاينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسي ، وترجمة المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٣٦ شـمسي (١٣٧٧ هـ) .

(١٩) مختارات مـــن الشعر العربـــي الحديث ـ المقدمة ، ص ج ، دار النهار ، بيروت ١٩٦٩ .

وترجم الدكتور كدكني العبارة كالتالي « موضوعات شعرى اين گروه نيز ، همان **هدفهاي** كلاسيك بود ، از قبيل مديح حاكمان ، وتقريظ براى دوستان ، وتاريخ مناسبات » (٢٠) .

٤ ــ لست ادري لماذا ترجم صديقنا الدكتور ابرهيم الدسوقي شتا لفظة « **لحاف** » في قول صادق هدايت « **لحاف** را جلو چشم نگه ميدارم » (٢١) بلفظة ((**غطاء**)) : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ، مع ان اللفظة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية ، وهي اخصّ من « الغطاء » ؟ فاللحاف غطاء ، ولكن ليس كل غطاء لحافا .

٥ ــ وردت في فصل « خيام شاعر » (الخيام الشاعر) من كتاب « دمى باخيام » ، وهو الفصل الذي ترجَمْتُه الى العربية ، الجملة التالية : « كشيدن رباعيات اصيل خيام از اين (**بازار مكاره**) كارآساني نيست » (٢٣) . وقد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعيات الخيام الاصيلة من (**سوق المكارة**) هذه ، ليس بالامر الهين » .

اقول ، لقد اغرتني لفظة ((**مكارة**)) العربية في هذا الاصطلاح الفارسي المركب ((**بازار مكاره**)) ، فترجمته كما اثبتُّه اعلاه ، وهي ترجمة مفهومة ولا غبار عليها لدى القارىء العربي . غير أن معناه الدقيق ، الذي اطلعت عليه فيما بعد في المجمعات الفارسية المعتبرة ، يوحي ، فيما يبدو لي ، بترجمته بلفظة « معرض » ؟ لان معنى (بازار مكاره) : « السوق التي تقام عدة ايام مرة في السنة ، وتجلب اليها البضائع من اقطار مختلفة للعرض والبيع ايضا » (٢٤) .

---

(٢٠) دكر كونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب القبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ١٨ ــ ٢٨ .

(٢١) زندهٔ بگور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٢) قصص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٦ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ .

(٢٣) دمى باخيام ، ص ٧ ، امير كبير ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٤) انظر مثلا : محمد معين ، فرهنگ فارسي ــ بازار ، ودهخدا : لغتنامه دهخدا ــ مادة (بازار) ايضا .

— ٤ —

ومـــا يندرج في موضوع اللغـــة ، ما يعرف بالتراكيب اللغوية التي يُعَــدّ التغلب عليها في اي لغتين من اهـــم وظائف المترجم الذي يُشْتَرط فيــه « ان يكون ملمّا المامـــا كاملا بمعاني تراكيب الجمل ، ففي هذا المجـــال الخاص ، غالبا ما يُظْهر المترجمون ضعفهم الكبير ، ومع انهـــم يمكن ان يفهموا بشكل جيـــد تماما معاني الكلمات والعبارات منفردة ، فغالبا مـــا يفتقرون بشكل شنيع الى التقييـــم الاساسي للمعاني والابنيـــة اللغويـــة » (٢٦) .

هـــذا الامر ، من اهـــم مشكلات الترجمة بين العربيـــة والفارسية خاصة ، لكثرة ما بينهمـــا من فروق في الخصائص الاصيلة ، من حيث التراكيب والمجازات ، والتذكير والتأنيث ، والإفـــراد والتثنية ؛ وكلها تدخل في دقائق اللغـــة وقواعدها التي يتحتم على المترجـــم ان يتفطّن لهـــا ؛ ولكن ما اكثر ما ينزلق فيهـــا المترجمـــون !

ومن امثلة هذا المزلـــق ، ما وقع فيه الدكتور محمد شفيعي كدكني ايضا في ترجمـــة النص التالي من مقدمـــة الدكتور احسان عباس : « **لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر الا** وقد ظهر ضرب جديد من الشعر يتميز بشيء من التعارض والتوتر بـــين الشكل والمضمون » (٢٧) ، او اختلط عليه معنى « **لم يكد ينصرم** » ، فكانت ترجمته « **هنوز قرن نوزدهم به بايان نرسيده بود** كه نوع تازه اى از شعر به ظهور بيوست ... » (٢٨) والصحيح « **مدتي از قرن نوزدهم نگذشت بود كه نوعي** جديد در شعر عربي پديد آمـــد ... » .

---

(٢٥) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٣١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢٧) مختارات مـــن الشعر العربي الحديـــث ، ص و .

(٢٨) دكر گونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب النيـــا ، ص ٢٧ .

ومـن اخطر المزالق التي قد يساق اليها المترجـم غفلته عن « لغـة عصر » ما يترجم . وبديهي أن ما يُتَوَخّى من لغـة وأسلوب واصطلاحات في ترجمة مثـل : « تاريخ البيهقـي » و « الشاهنامة » و « سفرنامة ناصر خسرو » و « سياست نامه » و « رحلة ابـن بطوطة » غير ما يُتَوَخّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الايـام » و « قلمرو ادب سعدى » (آفاق ادب سعدى) و « دمى باخيام » (وقفة مع الخيـام) لعلـي دشتـي .

مراعـاة روح العصر في لغتـه واساليبه واصطلاحاته ومفرداته واجبة اذن ؟ لـذا ابقيتُ الالفاظ والمصطلحات العربية التي افـاد منها صاحب « سياست نامه » كما هي لتناسب الفترة التي أُلِّـف فيها الكتاب ، ولم أحاول أن استعيض عنهـا بألفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هُجِـر كثير من تلك الالفاظ وترك منذ زمن بعيـد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفي ، الشحنة ، العسس ، وخريطة * . وقد راعى مترجمـا « تاريخ البيهقـي » هذا الصنيع ، فقال أحدهما « وقـد تعمدنا أن نترك الالفاظ العربيـة التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّـر عن مدلولاتهـا في العصر الذي كُتبت فيـه » (٢٩) . بيـد انهما جانبا هذا الشرط في ترجمـة اصطلاح « گشادنامه » (نامـه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٣٠) . وقـد ترجمتُه بـ « رسالة مفتوحة » في « سياست نامـه » .

واذكـر اننـا حين ترجمنا (الدكتور يوسفي وانـا) المقطع التالي من قصيدة (عيـد ميلادها) لنزار قباني (٣١) :

(*) الخريطة : كيس من قماش . وما زالت تستعمل في انحاء من الاردن وفلسطين .

(٢٩) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقـي ، ص ٢٩ . الانجلـو المصرية (دون تاريـخ) .

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، ص ١٢٨ .

(٣١) مختارات مـن الشعر العربي الحديث ، ص ١٤٩ .

باي شيء أَبِـدُ

اذا يَهِلّ الأَحَـدُ

بخاتـمٍ ؟

بباقـةٍ ؟

على النحـو التالي اولاً :

با چه هديه اى بروم ؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى ؟

بادسته گُلـي ؟

رأى الدكتور يوسفي انـه من الافضل ان نترجم « بخاتم » الى « **با انگشتر** » بدلا من « **با انگشترى** » لان الاول هو المستعمل في الوقت الحاضر . وهكذا كـان .

— ٦ —

لـم يكن اعتباطا ان تقسم الترجمة ، مـن حيث الطريقة والكيفية ، الى انواع من اهمهـا الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنوية) . ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كـل الاحيان ، خاصة في ترجمـة المصطلحات والامثال والمجازات ؛ وهنـا تكمن الحيرة ويكون المزلـق ؛ الحيرة في ترجمة هذه الاشياء كما هي من اللغـة الاجنبية ، مهما يكـن وقعها في الذوق العربـي ، او وضع ما يقابلها في العربيـة مما يؤدي معناها الاصلي دون تقيّـد بحرفية ما يترجم (٣٢) . ومن الشق الاول ـ اي الترجمة الحرفية ـ تنبعث المزالـق التي يدعو اكثرها الى الضحك ،

---

(٣٢) انظر ايضا : محمد عبد الغني حسن ، فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٠٦ و ٥٩ . الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ .

وتقود في أحيان كثيرة الى البتر والتشويه والحذف الـذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهلــه .

اقــول هذا ، لان للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينـا كل الغرابة ، وربما لا نجـد مثلها في اللغات الاخرى . ولقـد سُئلتُ مـرة ان اترجم المثل الفارسي « **گُل پشت ورو ندارد** » ، فاحترت فـي امري ، أأترجمه ترجمة حرفية لا مـاء فيها ولا رونق ، فاقول « **ليس للورد ظهر ولا بطـن** » !! ، ام ابحث عن معادلة لــه في عربيتنا ؟ وكان مـن الطبيعي ان ابحث عـن المعادل ، غير انني لم اجده في تراثنا الضخـم من الامثال الفصيحة . ومن يدري ، فربما انني أنـا الذي لم استطع الاهتداء اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنـا الشعبية ، فاهتديت الـى المعـادل الدقيق ، وهو المثل « **كُلَّهْ وَجْه** » الذي يستعمل في الحـالات عينها التي يستعمل فيها المثـل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضـا على المثـل الفارسي « **كبوتر باكبوتر بازبا باز** » اذا ما ترجمناه ترجمـة حرفية سقيمة « **الحمامة مع الحمامة ، والبازي مـع البازي** » وتركنـا المثـل الرائع « **ان الطيور على أشكالها تقـع** » الذي لا يعدو المثـل الفارسي فيـد انملة . هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفي وأنـا) بالمثل العربي نفسه الذي ضَمَّنه عبد الوهاب البياتي المقطـع الآتي من قصيدته « سـوق القريـة » (٣٢) :

وبنادق سود ، ومحراث ، ونـار
تخبو ، وحدّاد يراود جفنه الدامي النعاس .
« **ابـدا على اشكالها تقع الطيور**
والبحر لا يقوى على غسل الخطايـا والدموع

اذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق « **كبوتر باكبوتر ، باز با باز** » .

ومـن المترجمين العرب الذين انساقوا في حماة التيار الحرفي في

---

(٣٢) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦ .

ترجمة **الامثال** ، المرحوم الدكتور ابرهيم الشواربي ، الذي اثبت في احـد كتبه (٢٤) طائفة من الامثال الفارسية ، وترجم اكثرها ترجمة حرفية،مع أن لهـا في العربية نظائر واشباها تكـاد تكون ترجمة لهـا . فقد ترجم المثل « **صبر مفتاح كارها است** » بـ « **الصبر مفتاح الامـور** » وعزف عن المثـل العربي « **الصبر مفتاح الفرج** » ؛ كما ترجم المثـل « **صدا از يكدست بر نيايد** » بقولـه : « **اليـد لا تصفق وحدها** » وترك مقابله الدقيق,« **يـد واحدة لا تصفق** » .

أمـا مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقـد راعى نوع الترجمة الذي ندعو اليـه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيرا ، وسلك سبيل الترجمـة المعنوية والبحث عن المعـادل في ترجمة المثل « **صدقهم سنّ بكره** » (٢٥) في نص ابـن بطوطة : « ثم ان النَّوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، معد التوبة ليلـة النوبة ، وعزم اصلاح حاله مع ربـه ، وقال في نفسه ان **قلت لاصحابي** انـي قد تُبْتُ قبل اجتماعهم عندي،ظنوا ذلك عجـزا عن مؤونتهم . فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب،وجعل الخمر في الزقـاق . وحضر اصحابه ، فلما ارادوا الشرب فتحوا زقـا ، فذاقه احدهم فوجده حلوا . ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ، ثم ثالثا فوجدوه كذلك . فكلموا الشيـخ في ذلك ، فخرج لهـم عن حقيقة أمـره ، **وصدقهم سن بكره** . . . » « رحلة ابـن بطوطـة ، ص ٣٨٧ » .

فترجمـه ، وما أحسن ما ترجمه ، بقوله « شهاب الدين **راز** خود **بر آنان فاش ساخت** . . . » (٢٦) . اي خرج لهـم شهاب الدين عن سرّه .

---

(٢٤) القواعد الاساسية لدراسة الفارسية ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعـة الرابعـة ١٩٦٤ .

(٢٥) راجع قصة هـذا المثل مفصلة في : لسان العـرب ، مـادة (صدق) .

(٢٦) سفرنامه ابن بطوطة ، ص ٣٩٥ ، ترجمة محمد علي موحـد ، طهران ١٣٣٧ شمسـي (١٩٥٨) .

ومـــن المشكلات التي تعترض المترجـــم من الفارسية ، مسالة رد المترجمات الفارسية عن العربيـــة الى اصولها الاولى . ففي المصـــادر الفارسية المختلفـــة مترجمات كثيرة من القـــرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واقوال الصحابة والخلفـــاء المشهورة ، والشعر والكلـــم المعروف . واحسب ان الدقـــة والامانة معا توجبان على من يترجـــم اثرا فارسيا فيه اشياء مما ذكـــر ، ان يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى،وإن يكـــن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصـــة ، وهو ما قد يضطر اليـــه اذا ما اعيته الحيلة ، واضناه التقصي والاستقـــراء والتنقيب دون جـــدوى .

واعتـــرف صادقا انني بذلت جهدا كبيرا في استنطاق كتـــب الحديث من صحاح وغيرهـــا ، والبحث في معجماتها ، وخاصة « المعجـــم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف » للاهتداء الى نص ترجمة الحديـــث : **« داد كنندگان را اندر بهشت سراها باشد از روشنايي ، با اهل خويش ، با آن كسها كه زير دست ايشان باشند »** (٢٧) الذي استشهد بـــه نظام الملـــك مَرْوِيًّا عن ابن عمر ، رضي اللـــه عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصعت باخرة الى ترجمتـــه بلغتي الخاصة : **« للمقسطين و ذوي قرباهم ومن هـــم تحت ايديهم قصور من نـــور في الجنة »** . وليست هذه المشكلة خاصـــة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انمـــا تلقانا في كل لغـــة اجنبية استشـــهد بها صاحب الاثر بنصوص عربيـــة وترجمها الى لغتـــه دون ان يثبتها . ولقد عانى منها نفـــر من المترجمين العـــرب ، فتغلب عليها بعضهم ، واخفق آخرون احيانـــا . يقول الدكتور ابراهيم امين الشواربي،مترجـــم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الانجليزي ادوارد بـــراون (A. G. Browne)

« اعتمـــد براون في تاليف كتابه على كثير من المراجـــع الشرقية ، واستشـــهد ، بالطبيعة ، بالتاليفـــات العربية والفارسية والتركية ، ولكنه

(٢٧) سياست نامه ، ص ٨٧ . تحقيق الدكتور جعفـــر شعار ، طهران ١٣٤٨ شمسي .

لـم يستطع ، في الغالب الاعم ، أن يورد لنـا شواهده في نصوصهـا الاصلية في هذه اللغـات ، واكتفى بايراد ترجمتها الـى الانجليزية . ولم يكن من المستساغ عقـلا او المقبول فنيـا ان اعود فاترجم هـذه الترجمات الى العربيـة ، لان الترجمة عن ترجمة ـ لا شـك ـ تضلل المترجـم ، وتبعده عن الاصل . ومن اجـل ذلك الزمت نفسي باثبات الشواهد العربية بنصهـا الذي وردت بـه في الكتب العربية ، اللهـم الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، وليست لـه نسخة في دُوْر كتبنـا » (٣٨) .

وكـان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العـرب يواجـه مثل هذا . يقول في مقدمة ترجمتـه لكتاب « ابن رشد » لارنست رينان الفرنسي : « وهنا ننبـه القارىء الى ان العلامة رينان اقتطف كثيـرا من العبارات العربيـة الموجودة ، فأعدنا معظمه الى اصله العربـي . وأمـا الذي لم نتوصل الى نصـه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ، فقـد ترجمناه من الفرنسية ... » (٣٩) .

وابتُلـي محمد عبد الغني حسن بكثير من هـذا في ترجمة كتاب « المـرأة والدولة في فجـر الاسلام » للباحثة العربية المتأمركة « نابية أبوت » (نابية عبود) الذي نشره عـام ١٩٤٢ (٤٠) . وهو يرى أن هـذا الامر ناحية واحدة من نواحـي صعوبات الترجمة من غير العربية الى العربيـة ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بـل هي صعوبة فيما حول النص المترجـم ،ومحاولة ارجاعه الى اصلـه (٤١) .

ومن مزالـق ما حول النص التي تعترض المترجـم عن الفارسية ايضا ، كثرة التحريفـات والتصحيفات والاخطاء في الاصول العربيـة

---

(٣٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الـى السعدي ـ المقدمة ، ص س . مطبعة السعادة ، القاهـرة ١٩٥٤ .

(٣٩) ابن رشد والرشديـة ، ص ٧ . القاهـرة ١٩٥٧ .

(٤٠) فن الترجمـة في الادب العربـي ، ص ٨ .

(٤١) المرجع السابـق ، ص ٩ .

في المؤلفـات الفارسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والاقـوال المأثورة ، والاعلام والاماكن والكتـب ، لاسباب قد يعود أكثرها الـى تلاعب النُسّاخ وجهلهم — او جهل اكثرهم — ، والى توانـي المحققين وتقصيرهم، وعـدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثهـا .

وكتـاب « سياست نامـه » اكبر شاهد ودليل على ما اقول ، لان فيه تحريفات وتصحيفات واوهاما كثيرة ، فـات معظمها عن أعين المحققين والمصححين ، والمترجمين غير العـرب ايضا ، مع انـه طُبع اكثر من خمس طبعات مختلفة في ايـران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفـر شعار التي تَرجَمْتُها الى لغـة الضاد ؟ فقد حُرِّفَت فيه لفظـة ((الحـق)) في قوله تعالى: « يـا داود انـا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكـم بين الناس بالحـق » (٤٢) الى ((العـدل)) (٤٣) ، وصُحِّفَـت ((وتصدق)) في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (٤٤) الى ((فتصدق)) (٤٥) ، واضحى اسم زعيـم الديالمة « اسفار بن شيرويه ورداوندي » ، فيما اثبتـه المسعودي (٤٦) وابـن الاثير مثلا (٤٧) ، اضحى ((سيّـار شيروى ورداوندى)) (٤٨) ، وحُرِّف اسم كتـاب الاسماعيلية ((البلاغات السبعة)) الذي نص عليه ابـن النديـم (٤٩) الى ((بلاغـة

(٤٢) سورة ص ، آيـة ٢٥ .

(٤٣) سياست نامه ، ص ٢٧٦ .

(٤٤) سورة يوسف ، آيـة ٨٨ .

(٤٥) سياست نامـه ، ص ٩٠ .

(٤٦) مروج الذهـب ٤ : ٣٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبـد الحميد ، الطبعة الثانيـة ، القاهـرة ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٩ — ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ .طبعة صادر ، بـيروت ١٩٦٦ .

(٤٨) سياست نامـه ، ص ٢٢٨ .

(٤٩) الفهرسـت ، ص ٢٤٠ .

السابـع »(٥٠) . وغير هذا كثير في أشيـاء شتى لا حاجة لذكرها (٥١) .

أيجـوز للمترجم ، والحال هذه ، أن يسكت ـ اذا ما عرف ـ عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والاوهام التي وجدت ، فيزيد الطين بلـة ويشارك المحتفين فيما انزلتوا اليه ولـم يكتشفوه ؟ ! وهل كان عبثا أن يحتدم الجدال بين المهتمين بالترجمة حـول « تخصص » المترجـم فيما يترجم ، أو « معرفته » بـه ؟ أحسب أنْ لا ، لأن قـدرة المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبـرز واضحة هنـا ! وهو ما يدل على أن الترجمة ليست نقـلا وحسب ، فيما يتصور الكثيرون ، بل هي ، فيما يذهب صاحب « المقتطـف » الدكتور يعقوب صروف ، « صعبـة وأصعب من التأليـف » .

* * *

وبعـــد ،

أفـلا تستحق مقولـة الايطاليين « الترجمة خيانة » أو « المترجـم خائـن » (٥٢) مزيدا من التفكير والتقديـر ؟

أوليس يوجين نيـدا محقا في قولـه (٥٣) : « فان مهمة المترجـم مهمـة صعبة في الاساس ، ومهمـة لا يشكر عليها في اغلب الاحيـان . فاذا ما ارتكب غلطة انتُقِـد بشدة ، ولكنه لا يُمتَدَح سوى امتداح تافـه عندما ينجح في عمليـة ... » ؟ ! .

د. يوسف بكّار

(٥٠) سياست نامه ، ص ٣٥٢ .

(٥١) راجع التفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياست نامه ، نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامي مشهد ، العـدد (٢٤) ، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨) .

(٥٢) Tarduttore Traditore نقـلا عـن :
الدكتور محمد عوض محمد : فن الترجمة ، ص ٢٦ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٥٣) نحو علم للترجمـة ، ص ٣٠٢ .

دراسات في النظم والعقائد الأباضية

للدكتور عوض خليفات
(الجامعة الاردنية)

١ — تمهيـــد *

الولايـــة كلمة مشتقة من الفعل "وَلِـــيَ"، ولها معان مختلفة (١)، منها المحبـــة، والمناصرة، والمؤازرة، والقرب. والبـــراءة تعنـــي ضد هذه المعانـــي، اي: الجفوة، والبغض، والعداوة؛ وهذه المعانـــي هي التي تعنينـــا في هذه الدراسة الاولية لنظام الولايـــة والبراءة عند اتباع المذهب الاباضي. وقد استعمل العـــرب الكلمتين لتدلاّ علـــى المعاني الآنفة الذكر منـــذ الفترة الجاهلية، واكتسبتا مع مرور الزمـــن دلالات اجتماعية وسياسية ودينيـــة. وسنحاول في هذه اللمحة أن نوضح هذيـــن المصطلحين حتى اصبحـــا — بمدلولهما الفقهي — من اهـــم الدعامات التي ارتكز عليها المذهـــب الاباضي في مسيرته منـــذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هـــذا.

كانـــت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمـــع العربي البدوي، وافرادهـــا متكافلون، متآزرون، يتولى بعضهم بعضـــا، وعلى كل فرد منهم نصرة اخيـــه ظالما كان او مظلوما؛ فاذا وقـــع لاحدهم سوء سارع الجميع لمد يـــد العون والمساعدة له، بحكم هذه الولاية العصبية. ويصف احـــد الشعراء هذا الحال فيقـــول :

(*) اشكر الاستاذ محمد المغربي الذي اعارني بعض المخطوطات، والذي اشار علي بكتابة التمهيد لهـــذا البحث. كما اتوجه بالشكر الجزيـــل للاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري لما اسداه لي مـــن آراء وملاحظات قيمة.

لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا (٢)

ويقول شاعر آخر :

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لاية حرب ام باي مكان (٣)

كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بعادات القبيلة وتقاليدها واعرافها ومعتقداتها ، أما اذا ظهر من الفرد خلاف ذلك ، فان قبيلته تنبذه ، وتتبرأ منه،فيصبح طريدا او مخلوعا ، وقد يصبح صعلوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخلعه لاسباب متنوعة : كان يخرج على إجماع القبيلة ، او يَقتُل احد افرادها،ولا يقبل ذوي المغدور الدية ؛ او ان يقتل شخصا ينتمي الى قبيلة اخرى بينها وبين قبيلته حِلف او عهد او جوار ؛ او يصبح سيّىء الخُلُق،مذموم السمعة والسيرة ، او يضحي مبذّرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما يقدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبدو أن معاملة القبائل العربية لافرادها المنبوذين كانت الاساس الذي تَطوّر عنه هذا المبدا الذي عرف بـ « البراءة » (٤) .

ولما بُعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استخدمت قبيلته ، قريش،هذا المبدا ضدّه ، اذ وجدت في دعوته خروجا عن اعرافها وتقاليدها ومعتقداتها،فدعت الى نبذه والبراءة منه . وتعرّض الرسول عليه السلام — تبعا لذلك — لكثير من الاذى والاضطهاد ، ولم تلبث قريش أن قاطعت الرسول وبني هاشم الذين حموه طبقا لمبدا الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهدا فيما بينهم علّقوا نصوصه في جوف الكعبة،لتأكيد قداسته ووجوب التقيّد به . وقد تعاهد القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم،وعدم التعامل معهم ؛ فلا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلّمونهم ؛ وبقوا على هذه الحالة قرابة ثلاث سنوات (٥) .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدا الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الاسلامية ، فكوّن الجماعة الاسلامية

التي عرفت باسم الامـة وجعل افرادها اولياء بعضهم من دون الناس ؛ وبذلك احلّ رابطة الديـن والعقيدة محل رابطة الـدم والنسب . واصبح المسلم اخـا المسلم ووليّه . واوجب الاسلام على كل فـرد ان يُحبّ اخاه في اللـه وبناصره ويساعده ، كما أوجب على كل فـرد من الامـة البراءة من أعداء اللـه ورسوله . وبهذه الوسيلة اصبـح جميع افراد الامـة وحدة متجانسة متكافلة متضامنة ، وبذلك استطاعـوا ان يصمدوا امـام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم،ويحرزوا النصر المبين . امـا اذا احدث احـد افراد الامـة الاسلامية حدثا يضرّ بالاسلام واصحابه ، او قصّر في آداء واجباته الدينيـة الاساسية، فان الرسول، عليـه السلام،لم يتردد في الدعوة الى البراءة منـه وبغضـه ومقاطعتـه (٦) .

مثـال ذلك ما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن الجهـاد في غزوة تبوك ، وهـم،كعب بن مالك،وهلال بن امية ، ومرارة بن الربيع ؛ فقـد امر الرسول المسلمين بـأن يقاطعوهم ولا يتكلموا معهم حتـى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ؛ ثم انزل اللـه كلمته فيهم بالتوبة عنهم،فعـاد المسلمون الى ولايتهـم وموادعتهم (٧) .

وقـد اتخذت الفرق الاسلامية فيما بعد ـــ على اختلافها وتنوّعها ـــ من هذا المبـدا وسيلة للتبرؤ من اعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعـم بانها وحدها التي تمثل الاسـلام الصحيح كما جاء بـه محمـد،صلوات اللـه وسلامه عليه ، وبالتالي فان لهـا الحق في أن تتبرأ من مخالفيها باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويـم . وعلى هذا الاساس قـام الثوار ضدّ عثمان بن عفان،رضي اللـه عنه،بالتبرؤ منه ثم قتله، لانه ـــ حسب زعمهم ـــ حاد عن الصواب،وخالف سنّـة الرسول الكريم وسنّة الخليفتين الراشدين من بعده . وتبـرا المحكمة من علـي بن ابي طالب ـــ كرّم اللـه وجهه ـــ بعد قبوله التحكيم لانه ـــ طبقـا لوجهة نظرهم ـــ حكّـم الرجال في امـر من امور اللـه،وبذلك خلع نفسه من منصب الخلافة الذي بايعه المسلمون عليـه .

والحقيقة ان الامثلـــه في هذا الشان كثيرة ولا حصر لها [illegible]
اوردناه من امثلـــة يكفي للتدليل على وجود هذا المبـــدا عند العرب منذ فترة سحيقة ؛ ولم يكن الاباضيـــة مبتدعين في هذا المضمـــار ، ولكنهم اعطوا لهذا المفهـــوم اهمية خاصة،وبعدا سياسيا ودينيا دقيقـــا لا نجـــد لـــه شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الاخـــرى .

لقـــد التفت ائمـــة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هـــذا المبـــدا،وضرورة استخدامه في سبيل تطويـــر حركتهم ونشر دعوتهم ؛ ولا نبالغ اذ قلنـــا : ان هذا المبـــدا كان من اهـــم العوامل التي ادّت الى الحفاظ على وحـــدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبـــر العصـــور .

بدات الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقرًّا لهـــا ؛ وكان ذلك خلال النصف الثاني مـــن القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني الهجـــري،حيث كان الامويون يتربعون على عـــرش الخلافة الاسلامية ، وكـــان ولاتهم في العراق ــ مثل زيـــاد بن ابيه،وابنه عبيد الله،والحجاج بن يوسف الثقفي ــ يشتدّون في ملاحقـــة اتبـــاع الفرق الاسلامية المناوئة للحكـــم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فـــراى الاباضية أن يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضـــة المسلحـــة ضد الحكم القائـــم . وفي الوقت نفســه أوجدوا الوســـائل الكفيلـــة لنشر دعوتهم في الامصـــار الاسلاميـــة،فاستعملوا التقيـــة الدينية،واوجدوا تنظيما سريا دقيقا ــ كانت الولاية والبراءة احـــد عناصره ــ [illegible] في نجـــاح الحركة وتحقيق اهدافهـــا (٨) .

لقـــد نظـــر الاباضيون الى الحكم الاموي على انـــه غير شرعي، واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدّين ، ولذا لا بـــد من ايجاد حكـــم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمـــن الرسول الكريم والخليفتين ، ابي بكـــر وعمـــر . وحتى يتمكن الاباضية من الوصـــول الى هذا الهدف ، راوا انـــه لا بـــد من اعادة تحديد مفهوم الامـــة الاسلامية على اسس جديدة تتفـــق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كـــل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة ــ الأمــة ان يعلن الولاية لكل اتبــاع الحركة الاباضية جملة وافرادا ، وان يتبــرأ من اعدائهم ومخالفيهــم ، مشركين كانوا أم موحدين . وتورد المصــادر الاباضية امثلة كثيرة فــي هــذا الشأن ، منها ما يذكره ابــو سفيان حول اعتناق ابــي النظــر ، سلطان بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . لقــد كان ابــو النظر صفريا من اصحاب شبيب ، وفــرّ من الحجاج،ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لمذهبهم وقالوا لــه : « ندعوك الى ولايــة من قــد علمته يقول الحــــق ويعمــل به (اي الشخص الاباضــي) والى بــراءة من قـــد علمته يقول بخـــلاف الحق ويعمــل به ، والوقوف فيمــن لا تعلــم حتى تعلــم » . ففعل ابــو النظر ذلــك، واصبح مــن مشايخ الاباضيــة المرموقين (٩) . وقــد اصبحــت هذه الدعــوة قاعدة هامــة نادى بهــا ومارسها الاباضيــة في كــل زمان ومكــان ، بحيث لا يُقْبَــل في الجماعــة الاباضيــة احــد الا بعــد ان يعلن انــه ولــيّ وليّهم وعدوّ عدوّهم (١٠) . واصبح مبــدأ الولايــة والبراءة فرضا دينيــا واجبا ، على كل اباضي ان يتقيــد باحكامــه وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبّقهــا مشايخ الاباضية الاوائــل . وقــد قــام علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكــام ، والّفوا الكتب التي تبحث في هــذا الموضوع ، بحيث اصبح للاباضية نظرية خاصة في هــذا الشأن لا نجــد لها مثيلا عند اتباع الفــرق الاسلامية الاخرى * . وسنستعرض في الصفحات التالية قواعد الولايــة والبراءة ــ كما اوردتها المصادر الاباضية ــ مستعينين بأمثلة عمليــة واضحة حيثمــا تقتضي الضرورة

(*) من هذه الكتب : الجيطالي ، قواعد الاسلام ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، الشماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، السالمي ، مشارق انوار العقول . بالاضافة الى كتب اخرى تحوي نصولا خاصة من الولاية والبراءة يلحظها القارىء في هوامش هــذا البحث .

٢ — الولايـــة

الولايـــة عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمصافاة والمناصرة والثناء ووجوب الترحسم والاستغفار للمسلمين (أي الاباضية) . وتُجْمِع هذه المعاني كلّهـا عبارة الحب في اللـه وفي العقيدة الاباضية (١١). والولاية واجبة على كـل اباضي لاخيـه في المذهب اذا كان مطيعا لاوامر اللـه ، قائما بواجباته الدينية على اكمل وجـه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكـر ، ممتنعا عن كل ما حـرّم اللـه (١٢) .

وللولايـة قواعد واحكام يمكن اجمالها بمـا يلـي :

١ — ولايـة الجملة : وهي فريضة على كل مكلّف عندمـا يصل الى سن البلوغ (الخامسة عشرة للذكور، والثانية عشرة للاناث) . وعلـى المكلّـف ان يوالي جميع المسلمين الاباضية من غير قصد الى احـد باسمه . والعمل بهذا المبـدأ توحيد ، والترك لـه ، او الجحود ، او الجهل بانـه فرض، يُدخِل صاحبه في دائـرة الشرك (١٢) .

٢ — ولايـة المعصومين ، وتشمل ولاية الانبيـاء والرسل والملائكة وغيرهم من أوليـاء اللـه المذكورين في القـرآن الكريم، سواء بالاسم او بالوصف . وهي على نوعـين : ولاية الجملة ، وولاية الافراد . امـا ولاية الجملة فتشمل جميع الانبيـاء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها او وصفُها في القـرآن الكريم ؛ مثل أهـل الكهف ، واصحاب الاخدود واشباههم . وولاية الافـراد على نوعين : مسمى ، مثـل آدم وابرٰهيم ومريم بنت عمران وغيرهم ، وغـير مسمّى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هـؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ — ولايـة الاشخاص ويقصد بها ولاية الافـراد من اصحاب المذهـب الاباضي ! وهي عبارة عن حـق متبادل بين اتباع العقيـدة الاباضية . ويجب أن تتوافـر في الشخص الذي يتولاه الاباضيـ ـ الشـروط التاليـة :

١ ـ أن يكون اباضيا في القول والعمـــل .

٢ ـ أن تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضيـــة .

٣ ـ أن يكون المكلّــف مقتنعا بان الشخص المتولى يستحق الولاية .

ويمكـــن التحقق من توافر هذه الشروط بالوسائـــل التاليـــة :

١ ـ الخبرة بالشخص المتولى على انـــه موافق للاباضية في القـــول والعمـــــل .

٢ ـ الشهرة التي لا تُدفَع ، اي ان يكـــون مشهورا بالخير ، فمـــن عرفـــه لا يعرف عنه الا الخـــير والفضيلـــة .

٣ ـ ان يُشهـــد على احقيته في الولاية شخصان اباضيان عـــدلان .

ويكتفـــي بعض العلماء بشهادة شخص واحـــد عدل (١٥) . ويبدو ان الاباضية كانوا احيانـــا يقبلون شهادة المـــراة . وتذكر المصادر الاباضية امثلة كثيرة تشير الى صحة هذا الـــراي ، منها ما يـــورده الشماخي من ان ام عمروس ، احـــد علماء الاباضية في جبـــل نفوسة ، اوصت اليه في المهـــد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصية والدتـــه وجد فيها الحج ، اي الطلب منه أن يحج عنها ويدعو لهـــا . فسأل عمروس اقرانه من الاباضية عن احقية والدتـــه في الولاية ، فلم يجد من يتولاها بـــه (اي يشهد بانها كانت اباضية المذهـــب ومن اهل الولاية) الا امـــراة،فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لهـــا واستغفر » (١٦) .

واذا تحققت ولايـــة الشخص،فعلى من يتولاه ان يضمر لـــه الحب في الجنان ، ويعلن الترحـــم والاستغفار لـــه باللسان ، « فمتى ما ظهر من احـــد الوفاء بدين اللـــه قولا وعملا ، فعلى من شاهـــد ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب لـــه ، والاستغفار لـــه ، وتحريـــم بغضه وشتيمته وغشه وغيبته وسوء الظن بـــه .. » (١٧) .

وتشمل ولايـــة الاشخاص الانواع التاليـــة :

١ — ولايــة ائمــة الاباضية ، وتعتبر فريضة على كل اباضي يعيش في القطر الذي يوجـد فيه الامام ، كما انهـا فريضة على اي اباضي آخر يسمع بوجود الامام . وتنسحب الولايـة ، في هذه الحالة على جميع الاباضية الذيـن يعيشون في ظلـه وينضوون تحت سلطانه . ويسمى هؤلاء : أهـل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمي الاباضية هذه الولاية بـ « ولاية البيضة : أي العاصمة أو مركـز الحكم . وفي ذلك يقول الجيطالي . « ولايـة البيضة هي ولاية الامام العادل ، امـام المسلمين (الاباضية) ومن اتبعه على طاعة اللـه ، الا إن ظهر من احـد ما يبرأ بـه منه ، وذلك ان كل دار يكون اهلها الغالبون عليها هـم العاملون بما جاء بـه التنزيل ، المتبعون لمـا شرعه الرسول عليه السلام ، الناهون لمـا نهى عنه الشرع ، الداعون الى السنّة والعمل بهـا ، الرادّون للبدعة على مـن جـاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الاجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسميهم اهـل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهـم فيسميها دار العدل والحـق » (١٨) .

ويقول الامام افلـح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان امام المسلمين (الاباضية) عدلا فكل مـن جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منـه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينـه ، ويتولون جميع من في البيضة جملـة وقصـدا » (١٩) .

ويرى الاباضية انه لا يجوز التجاهل او الجهل بوجـود الامـام ؛ فمعرفة الامام واجبة على كـل من يعيش في البيضة . ولا يجوز ايضـا لاي فـرد اباضي أن يتبرأ من احـد الائمة بشهادة الشهود ، علـى خلاف الاشخاص الذيـن يُتَوَلَّون ويُتَبَرَّأ منهم طبقا للشروط التـي شرحناها آنفـا ، ومنها شهادة العدول . ويشرح الجيطالي هـذه القاعدة ويقول : « امـا ائمة الدين والهدى ، وقادات المسلمين من اهـل المروؤة والتقى ، فانهم يتولون عند اصحابنا بغير حجة لانها بمنزلة الديانة ،

وليست بمنزلة ولايـة الاشخاص وبراءتها . الا ترى انـك تنتقل من ولاية الاشخاص وبراءتها بشهادة الامنـاء ؟ وليست كذلك ولايـة الائمـة،لانك لا تنتقل عليها بالشهـود وان كثـروا » (٢٠) .

ب ــ ولايـة الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الاباضية الشخص الذي يعتنـق الاسلام ، ويشهد ان لا الـه الا اللـه وان محمـدا رسول اللـه ، ويعلن وحدانية اللـه تعالى وقدرته ، ويبتعد من المعاصي والكبائر . ويـرى بعض علماء الاباضية ان المستجيـب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبـرأ من الجبابرة،اي الحكام والسلاطين غير الاباضية ، واذا لـم يفعل ذلك فانهم يتوقفون عن الحكم عليـه (٢١) .

جـ ــ ولايـة الخارج من مذهب اهـل الخلاف الى مذهب اهـل الصواب : اي ولايـة المسلم الذي كان يتبع مذهبا اسلاميا معينا ثـم اعتنق المذهب الاباضي . وهذه الولايـة على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمدين الشخص العالم المجتهد المتبحـر في شؤون الديـن ، الذي يستطيع ان يعطي رايـا فقهيا،او يُصدر فتوى في شأن من شؤون الديـن . وفي هذه الحالة فعلى الشخص ان يعلن توبته عن آرائـه الخاطئة ، اي التي لا تتفق مع المذهـب الاباضي ، ويعلن ايضا ان مبادىء الاباضية وعقائدهم هي وحدها التي تمثـل الاسلام الحق . واذا فعل ذلك فعلى الاباضية حينئـذ ان يتولوه ويعتبروه واحـدا منهـم (٢٢) .

واذا كـان المخالف متدينا ، ولكنه صاحب بدعة،اي انـه ينادي بآراء مخالفة للعقائد الاباضية ويدعـو الناس لاعتناق ارائـه،واستجاب لـه عدد من الناس ، ثم راى خلاف ذلـك واراد ان يتوب ويعتنق المذهـب الاباضي ، في هذه الحالة يجب عليه ــ قبل ان يتولاه الاباضية ــ ان يذهب الى اصحابه ومـن استجاب لدعوته ، ويخبرهم ان ما دعاهم اليه ضلال ، وانـه تاب الى اللـه وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح (الاباضي) . وبعـد ذلك تُقبَل توبتـه ، ويتولاه الاباضية كواحـد منهـم (٢٣) .

امـــا اذا كان المخالف متدينا وكان صاحب بدعـــة ، ودعا اليها الناس، فأضَلَّ بهـــا خلقا كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبتـــه ، ويعلمهم ان ما دعاهم اليه كـــان ضلالا ، فعليه في مثـــل هذه الحالة ، ان يتـــوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهـــب الاباضي ؛ عند ذلك تُقبَل توبتـــه ويتولاه الاباضية (٢٤) .

امـــا المخالف غير المتديّن،او ما تسميه المصادر الاباضية :المخالف المقلّـــد ، فان الاباضية يتولونه بمجرد توبتـــه،واعلان انضمامه اليهـــم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هـــذه الحالة ان ينطق العبـــارة التالية مخاطبا بهـــا الاباضية : « انـــا منكم ، وليُّ وليِّكم ، وعدوّ عدوِّكم » (٢٥) .

٤ ـــ ولايـــة الاطفال . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من اتباع حركتهم، على ان يتوفّر في الطفل احـــد الشروط التاليـــة :

١ ـــ المعرفـــة لدى الجماعة ان الطفل وُلِـــد على فراش ابيه . ومعنى ذلك التيقن من ان الطفل ولـــد لأب اباضي .

٢ ـــ اقـــرار الأب الاباضي ان الطفل ابنـــه اذا حضر . ويرى بعض العلماء ان شهـــادة الأب غير كافية ، بـــل يجب ان تتوثق بشهادة رجـــل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ ـــ شهادة الامنـــاء الموثوقين (الاشخاص العدول) بان شخصا اباضيا معينا لـــه اولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولايتهـــم،حضورا كانـــوا ام غيابـــــا .

امـــا الاطفال المخالفون فان الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم، ثـــم يجري عليهم حكـــم الوقوف . فاذا ظهر منهم الوفـــاء للمذهب الاباضي تولوهم،وان ظهر منهـــم خلاف ذلك تبراوا منهـــم.وحكمهم في ذلك حكـــم آبائهم من الموحدين المخالفـــين .

أمـــا اطفال المشركين فان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليهـــم حتى يبلغوا الحلـــم ، فاذا اسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهـــب الاباضي فانهـــم يتولـــون .

امـــا اطفال العبيد الذين يملكهم شخص متولى،والموالي الاطفال اذا أعتقهـــم المتولى،ففيهم قولان : احدهما يقول بوجوب توليهـــم ، والآخر يقضي بالوقوف حتى سن البلوغ ؛ فاذا بلغوا واتبعوا الطريـــق القويم والمذهب السليم (الاباضي) فعند ذلك يتولـــون .

امـــا الطفل الذي يولد لامراة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاهـــا الاباضية،فولايتـــه واجبة . اما اذا ولـــد الطفل لابوين مسلمين،احدهما اباضي والآخر غير اباضي، فـــان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليـــه حتى سن البلوغ . فـــاذا اعتنق المذهب الاباضي تولوه،وان لـــم يفعل تبراوا منه . ويـــرى بعض العلماء أن ولاية الطفل الذي وُلِـــد لأب اباضي واجبة،باعتبار ان الولايـــة تورث من الاب دون الأم .

ومـــن اصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكـــم الطفل ، اذا كان ابوه ممن لهم حـــق الولاية فانه يتولى،وان كان مشركـــا او منافقا وقف عنـــه .

واذا ارتـــد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فان اولاده الاطفال يبقون في منزلتهم من الولايـــة (٢٦) .

٣ — البـــــراءة

البـــراءة عند الاباضية تعني عكس الولايـــة تماما ، اي المعاداة والمنابذة والبغض ووجوب الشتم واللعنة للكافر ، وعـــدم الترحم عليه او الاستغفار لـــه . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلـــوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » (٢٧) .

وكما ان الولاية قواعدها واحكامهـــا فان للبراءة ايضا قواعـــد واحكاما يمكن اجمالها كالآتي :

١ — بـــراءة الجملة : وتعني وجوب البـــراءة من المشركين بشكل عـــام ؛ فعلى كل اباضي — تبعا لذلك — أن يبرأ من اعداء اللـــه من الاولين والآخرين،من الجن والناس اجمعين الى يـــوم الدين ، معروفين او غير معروفين ، احياء كانوا ام امواتـــا . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بان الله أَمَـَر بها شِرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك ايضـــا (٢٨) .

٢ — بـــراءة الحقيقة او براءة اهـــل الوعيـــد ، وتعني وجوب البراءة من اولئك الذيـــن توعّدهم اللـــه في كتابه العزيز ، وهـــم المذمومون في القرآن،والموصوفون بالاساءة والعصيان (٢٩) وهـــم قسمان : جملة وافراد . ومن امثلة الجملة قـــوم نوح ولوط وعاد وثمود،واصحـــاب الرس وغيرهم ممن ذكرهم القـــرآن بالسوء . اما الافراد فهم نوعـــان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وابي لهـــب . وغير مسمى مثل الذي حاج ابرهيم ، وحمّالة الحطب ، وامراة لوط وغيرهـــم .

وبكلمـــة فان البراءة من جميع من نص اللـــه عليهم باسمائهم واوصافهم والقابهـــم من الرجال والنساء المنعوتين بالاساءة توحيـــد ، وولايتهـــم شـــرك (٣٠) .

٣ — بـــراءة الاشخاص . يعتقـــد الاباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكـــاب الآثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الاول يشمل اولئك الذيـــن يرتكبون الكبائر ؛ والكبيرة عندهم من الخطـــا الذي يوجب الحـــدّ في الدنيا والعذاب في الآخرة،مثل الزنـــا ، وشرب الخمر ، والتولّي يـــوم الزحف،واشباه ذلك . والثاني يشمل اولئـــك الذيـــن يرتكبون الصغائر ويصرون على الاستمرار في الخطـــا رغم تحذير اقرانهـــم لهـــم (٣١) .

وتجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه احـــد الشروط التالية :

١ — أن يعترف الشخص انـــه اقترف احدى الكبائر ، او انـــه استمر في ارتكاب الصغائر مدعيـــا ان هذه الامور لا تتعارض مـــع مبـــادىء العقيـــدة .

٢ ــ ان يشاهـد الشخص وهو متلبس باقتراف احدى الكبائر، مثل الزنـا وشرب الخمر واشباه ذلـك .

٣ ــ أن يشهـد رجلان اباضيان عدلان ممن تقوم بهـم الحجة في الولاية والبراءة على أن شخصا مـا يستحق اللعنة والبراءة (٢٢) . ويبدو من مطالعة المصـادر الاباضية أن هذه القاعدة قـد وُضِعت في وقت مبكر جـدا من عمر الدعوة الاباضية ؛ اذ تروي المصادر أن جابر ابـن زيد (ت ٩٣هـ) سمع رجلين من أصحابه يتحدثان حتى ذكرا رجـلا فلعناه . فقال جابر : « لعن اللـه من لعنتما ، قالا : كيف تلعن رجـلا لم يثبت عندك لعنـه ؟ فقال : واي ثبات اثبت من اجتماعكما علـى لعنـه ! » (٢٣) .

٤ ــ الشهرة التي لا تُدفَـع ، أي ان يكون الشخص معروفا بالسوء مشهورا بـه ؛ اذ ان المشهور بالشر يُبَرَّأ منه بغير شهادة (٢٤) .

والبـراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلـي :

أ ــ البـراءة من السلطان الجائر ، اي البراءة مـن الحكـام المخالفين . ولا تشمل البـراءة جميع من ينضوي تحت لـواء السلطان ، لان بعضهم قد يكون من أصحاب المذهـب الاباضي،ولكنهم اخفـوا معتقدهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يبطش بهـم السلطان واعوانه . والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوما يعيشون تحت حكـم « الجبابرة »،ومن هنـا كانت البراءة وقفا على السلطان ومن ثبتـت طاعته لـه بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطـان دار الجـور والظلـم (٢٥) .

ب ــ البراءة من المرتـدّ من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة يستتاب المشرك ثلاثة ايـام ، فان لم يعـد الى صوابه ورشده فيجب أن يجاهد ويقتل ، ولكن لا تُسبَى لـه ذرية،ولا يغنم لـه مـال (٢٦) .

جـ ــ البـراءة من الخارج من مذهب اهـل الحق الى مذهب

اهـــل الخلاف ؛ اي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهـــب الاباضي الى اي من المذاهـــب الاسلامية الاخرى . امـــا اذا تمادى هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهـــب الاباضي ، بل اخـــذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتلـــه . يقول الجيطالي : « فمن خرج مـــن مذهب اهـــل الحق الى مذهب اهـــل الخلاف ، فتولى ائمتهم ، وتبـــرا من ائمـــة المسلمين (الاباضية) كان واجبـــا على المسلمين (الاباضية) بغضه وعداوته ، وخلع ولايتـــه ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمـــين (الاباضية) فيتولّى وليّهم ويعادي عدوَّهم . وان خرج من مذهـــب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهـــم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله باي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتلـــه » (٢٧) . وقصة خردلة التي ترويهـــا المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جـــاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيـــد ، وساله عن افضل انواع الجهاد ، فقـــال الامام،قتـــل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه،فاراه اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخنجر مسموم فمـــات،وقبض على الشاب الاباضي واتي بـــه الى الوالي فقتلـــه . وكان خردلة من الاباضية ، ولكنـــه خرج عليهم واخـــذ يطعن في دينهم ويدلّ على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيـــد دمـــه ، وتـــمّ قتله على النحو الذي ذكرنـــاه (٢٨) .

د ــ البراءة من الاباضي المبتدع ، اي الذي يقول براي ديني او فكري مخالف لمـــا يعتقده علماء الاباضية وفقهاؤهم ، ويدعـــو الناس اليه ، مثال ذلك ما يرويـــه المؤرخ ــ الامام ابـــو سفيان من ان شخصا اباضيا من مشـــايخ الكوفة كان يقول بالقدر،ويدعى حمزة الكوفـــي،وقد جاء الى الامام ابي عبيدة في منزله ، فقال الامـــام : « من جـــاء بك اني لا ... والى مَن اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني اريـــد ان اذكرك ببعض هذا الامر . قـــال فعليك بمنزل حاجب (الطائي) قال : وما اصنع بـــه وانا ... حاضرا ؟ قـــال : فاني آتيك هناك ، قـــال : فخرجا حتى اتيـــا منزل حاجب . قـــال : فدخلا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . فكان آخر مـــا سُمع من ابـــي عبيدة ان قال:يـــا حمزة على هذا القول فارقت فلان ،

قال : فخرج ابـو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قـال : فكان هيبته من حاجب اعظم من هيبتـه من ابي عبيدة؛ قال : فقال حمزة : انما اخـذت هذا الكلام (اي القول بالقدر) من عنـد المسلمين (الاباضية) قال : فقال لـه حاجب ، لم تدرك احـدا الا وقد ادركته ولقيته الا جابر فمن من اخذت هـذا القول ؟ قال : منك اخذته . قال : فقال لـه حاجب فاني ارجع عنه ،فارجع عنه كما رجعت . قـال : فقال ، ارفق بـي يـا ابـا مودود،واقبل مني ما اقول لك . قـال : هات . قال : اقول ما اصابك من حسنة فمن اللـه،وما اصابك من سيئة فمن نفسـك ؟ فالحسنات من اللـه والسيئات من العباد . واقـول : لا يكلف اللـه نفسا الا وسعها . قـال : فقال له حاجب : امـا من غيرك فمقبول منه هذه الجملة،وامـا منك فانا اعرف مذهبك فيه اولا . قـال : فخرج حمزة من عنـده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارفقوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قـال : فمكث بذلك ما شاء اللـه.ثم بلغهم انـه مشى الى النساء فكلمهن في ذلك ، والى الضعفاء . قـال : فلما بلغ ذلك ابـا عبيدة وحاجبا ، امـر ابو عبيدة حاجبا ان يجمع لـه الناس؛فمشى اليهم واعلمهم ووعدهـم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد ابـو عبيـدة وحاجب . قـال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلمـا تكلم حاجب حمد اللـه واثنى عليه ، ثم قال : ان حمزة وعطية والحارث (الشخصان الاخيران وافقـا حمزة في مقالته) احدثوا علينا احداثا،فمن آواهم او جالسهم فهو عندنا الخائن المتهـم . قال : فتفرق النـاس وطردوهم من المجالس ولم يقربهم احـد (٣٩) .

وقبـل ان ننهي حديثنا عن البراءة واحكامها يجدر بنـا أن نشير الى ان علماء الاباضية يوجبون استتابة الشخص قبـل التبرؤ منه ، فان تـاب بقي على ولايته،وان لم يفعل تبرأوا منـه ؛ ويرى بعض المفكرين الاباضية ان البراءة لا تتـم الا بعد طلب التوبة ثلاث مرات،فاذا اصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منـه (٤٠) .

٤ — الوقـــوف

الوقـــوف يعني الامساك من امضاء حُكـــم — بحق ولاية شخص او مجموعة أو البراءة منهـــم — لعدم توافر الادلـــة والمعلومات اليقينية التي توجب الولايـــة او البراءة . ويرى الاباضية تبعا لذلـــك — الناس ثلاثة فرقاء : فريق عُلِـــم منه الخير ، وهو الموافقة في الدين والعمل ، وهذا هو الولـــيّ المستحق للولاية . وفريق عُلـــم منه الشر وهو المخالفة في الديـــن بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحق للبراءة والعداوة ؛ وفريق ثالث لم يُعْلَم منه شر او خير ، وهو الموقوف منه حتى يثبت عليه مـــا يوجب الولاية او البراءة (٤١) .

والموقوف عنه صنفـــان :

١ — كل شخص بالِـــغٍ لا يُعْرَف منه كفر ولا ايمان . فالفرض فيه الوقوف عن الحكـــم عليه حتى يُعرَف حاله من خـــير أو شر فيستحق حينئذ الولاية او البراءة ؛ ومن امضى فيـــه حكما ، سواء بالولاية او البراءة ، بغير علـــم ، فهولاشك مشرك هالـــك (٤٢) .

٢ — اطفـــال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلـــم ؟ فاذا شوهد منهم الايمان والصلاح فانهـــم يُتَوَلَّون ، وان شوهد منهم الكفر والضلال فيُتبَرّا منهـــم (٤٣) .

ويشـــير العلماء الاباضية الى اشكال مختلفـــة من حالات الوقوف مـــن اهمهـــا :

١ — وقوف الديـــن ، او ما يسميه البعض وقوف السلامة . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم علـــى شخص غير معروف عنـــه خير او شر ، كفر او ايمان.وهـــذا اشمل انواع الوقوف (٤٤) .

٢ — وقوف السؤال . وهـــو ان يقوم شخص اباضي بعمل سيء ، ويعرف عنه بعض اقرانه ذلك،فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليـــه

حتى يسألوا اهـل العلم والمعرفة من مشايخ الاباضية عـن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيـه . مثال : ان يرى الشخص متوليا لـه على معصية مثل الزنـا ولا يدري ما قول المسلمين (الاباضية) فيـه . فياتي اليهم ويقول :ما تقولون في رجـل ممن تتولونه رايتموه يزني ؟ (ولا يحق لـه ان يقول رايت فلانا بالاسم ، لانه اذا فعل ذلك برىء منه لكونه رمى متولّى لهـم بكبيرة) فاذا اخبروه انـه يُبرا منه برىء منه ، امـا قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فانه يتوقـف عن الحكم عليـه (٤٥) .

٣ ــ وقوف الاشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتولّيَيْن ، اذا قَتَـل احدهما الآخر ولم يُعرف المحقّ من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي اللذين تزعّمـا الحركة الاباضية في شمال افريقية بعد مقتـل رئيسهم عبد الله بـن مسعود التجيبي نحو عـام ١٢٧ هـ . وقد وُجِـدا مقتولين وسيف كل منهما مغمـد في جثة صاحبه . ولمـا لم يتمكن الاباضية من معرفة الباغي منهما على الآخـر ، فقد رجح لدى العلماء الوقوف على الحكم عليهمـا . واصبحت هذه الحالة مثالا يحتذى بـه في الحكم على قضايا مشابهة (٤٦) .

٥ ــ اهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الاباضية

يـرى الباحث أن لنظام الولاية والبراءة الاثر الاكبر في تطـور الحركة الاباضية واستمرار بقائها الى وقتنـا الحاضر ، ويمكن اجمال اهمية هذا النظـام في التاريخ الاباضي في النقاط التاليـة :

١ ــ لقـد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الاباضيـة على اقامة مجتمـع متماسك قائم على المحبة والاخوّة والمساعـدة . ولمـا كانت الولاية عند الاباضية فرضا واجبا فاننا نرى الاباضي ــ تبعا لذلك ــ يقدّم اخاه في العقيدة على اخيه في النسب . وتشير المصـادر الاباضية الى امثلة متعددة تؤكد هذا المبـدا ، منها ما يرويه الامام ــ

المؤرخ الاباضي ، ابـو سفيان الذي يذكر ان شخصا اباضيا يدعى المعتمر بن عمارة جاء الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي، ثاني ائمـة الكتمان في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين ـ وقال لـه : انك لأُحبُّ الي من ابي . فقال ابـو عبيدة : « هكذا ينبغي لـك يـا معتمر ان تكون ، لانك بذلت لي ما لم تبذل لـه ، اي الولاية » (٤٧) .
وهناك امثلة اخرى كثيرة في هـذا الصدد؛ منها ما يرويه ابـو سفيان ان أبـا الحر ـ احد مشايخ الاباضية في الحجاز في القرن الثاني الهجري ـ كان في المسجد جالسا في حلقة لـه، فقدم اخوه الحسن من العـراق . فاقبل يريده حتى جـاء الى الحلقة فسلم على اخيـه ، ولكن ابا الحر لم يقم من مجلسه، واكتفى بان اخذ بيـد اخيه وهو جالس، على الرغـم من انـه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هـم كذلك، اطلَّ رجل اباضـي من اهل عمان ، فلما نظر اليه ابـو الحر، هبَّ قائما وخرج من الحلقـة، فتلقاه وعانقه وقبَّل صفحتي عنقه، ورحّب بـه ترحيبا كبيرا . فتأثر اخوه لمـا رآه ، وعاتب ابـا الحر على الاستقبال الفاتر الذي ابداه نحـوه، مقارنة بما فعل مع ذاك الاباضي العماني . فقال ابـو الحر « مودة هذا (اي الاباضي العماني) على غير مودتك ! لان مودة هذا على الديـن والولاية، امـا مودتك فعلى النسب » (٤٨) .

ولـم تقتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الاباضية على مثل هذه المظاهر التي اشرنـا اليها، بل تعدتها الى النواحي العملية الاخرى ؛ فقد كان الاباضية الاغنياء يتسابقون في مـدّ يـد العون للمتولى الفقير منهم . وهناك امثلة كثيرة في هـذا الشان تزخر بها المصادر الاباضية ؛ منها ما يقوله ابـو سفيان :« سمعت بعض مشايخ من ادركت يقولون : انـا لنذكر اذا دخل شعبان، إن كان الفقراء من المسلمين (الاباضيـة) لتاتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهـر رمضان، ولا يعلمون من بعث بهـا . ياتي الرجل بالجمال حتى يقف بـه على باب الدار فيقول : ادخـل ، فيكتب في خرقة كلـوا واطعموا » (٤٩) . ويروى ان شخصا من الاباضية يدعى ديال بن زيد « كـان يستاجر الاكسية مـن

البرد الشديد .. بالف درهم او اقل او اكثر ، وليس عنده منهـا شيء ، وانما يتكل على اللـه ، وعلى المسلمين (الاباضية) ثم يفرقها بين الفقـراء،ويجمع ثمنها بعد ذلك من اغنيـاء المسلمين (الاباضيـة) وكرمائهم » (٥٠) . وكـان الداعية الاباضي ، ابو الحر ، موسرا جـدا ، وتدر غلته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين (الاباضية) وفي معاونتهم » (٥١) . ولـم تقتصر الموالاة بين اتباع المذهب الاباضي على الاحياء منهم،بل تعدتها الى الاموات . فاذا كـان الميـت متولى لهم ومات وعليه دَين،فان اصحابه يتسابقون في دفـع الدَين عنه . يقـول ابـو سفيان : « مـات حاجب وعليه ديـن مئتـان وخمسون الفـا او اكثر (دراهم) قال : فدخل قرة بن عمر وجماعة من المسلمين ايغسلوه ... فقال لهم قرة : يـا قوم ، ما تقولون في ديـن هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال،وقرة رابعهم،وضمنوا دينـه . ودخل الفضل بن جندب،وكـان من خيار المسلمين (الاباضية) وكـان موسرا فاخبروه ، فقال لهـم الفضل : دينه عليّ دونكم حتى اعجز عنـه ، ولا يبقى لي مـال » (٥٢) .

وهكـذا فان نظام الولاية وما يوجبه من مساعدة ومؤازرة ومؤاخاة قد جعل من الجماعة الاباضية اسرة واحدة متماسكة متضامنة،تسيطـر على افرادها روح المحبة والمـودة والتفاني في خدمة العقيدة والمؤمنين بها .

٢ ــ لقـد ادى نظام الولاية والبراءة الى ان يتّخـذ الاباضيـة موقفا متعنّتا جـدا من الصحابة الاوائـل ، فانكروا أن بعضهم مبشّر بالجنة ، وكفّروا آخرين كفر نعمة وليس كفر شرك ، وتبرأوا منهـم ، كما فعلوا مع عثمـان وعلي وطلحة والزبير (رضي اللـه عنهـم) وغيرهـــم (٥٣) .

٣ ــ ساعـد نظام الولاية والبراءة الاباضية في شمال افريقيـة على المحافظة على عقيدتهم رغـم التحديات الكثيرة التي تعرضوا لهـا منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على ايدي الفاطميين نحو عام ٢٩٧هـ

وبدلا من التخاذل والياس والخضوع لمخالفيهم فقد انسحب الاباضية الى مناطق نائية،واستغلّوا مبدا الولاية والبراءة الى ابعد الحدود، واقاموا مجتمعات اباضية متماسكة،تسودها المحبة وتسيطر عليها روح الجماعة .

وانشاوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهام مشايخ البصرة في طور الكتمان،ابّان القرنين الاول والثاني الهجريين (٥٤) . وكانت العزابة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيوخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون ان يشذ منهم شاذ ، او يتكبر عليهم متكبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ احكامهم مبدا الولاية والبراءة . ولولا هذا المبدا لظهر التمرد عليهم والاستنكار لهم (٥٥) .

د. عوض خليفات

الهوامش :

(١) حول مزيد من التفاصيل من معاني الولاية ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) ابو تمام ، الحماسة ، ج ١ ، ص ٩ (نقلا من يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص ٩٢ ، ملاحظة رقم (١) .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٦ — ١٠٣ .

(٥) ابن هشام ، السيرة ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالاة بعضهم بعضا والبراءة من اعدائهم وان كانوا اقرب الناس اليهم . مثال ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٣ .

(٧) في شأن هؤلاء الثلاثة قال الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله تواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ — ١١٧ .

(٨) حول التنظيم السري الاباضي في القرنين الاول والثاني الهجريين انظر كتابنا : نشأة الحركة الاباضية ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٩) شماخي : سير ، ص ١١١ — ١١٢ .

(١٠) جيطالي ، قواعد الاسلام ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٧ .

(١١) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٢ — ٨٤ ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٦ ، جيطالي ، قواعد الاسلام ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٢) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .

ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .

(١٣) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٦٥ ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٢ .

(١٤) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٤ .

(١٥) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٢ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(١٦) شماخي ، **سير** ، ص ٢٢٨ ، انظر مثالا آخر ص ٢٣٢ .

(١٧) جيطالي : **قواعد** ، ص ٤٨ — ٤٦ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(١٩) الامام افلح ، **جوابات** ، ق ٢ ، ص ٥ (نقلا من نسخة مصورة يملكها الاستاذ محمد المغربي) .

(٢٠) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٢٢) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢٦) من ولاية الاطفال انظر ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٠ — ٥٣ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٧٥ .

(٢٧) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٤٨ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٢٨) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ — ٥٧ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٩) عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ .

(٣٠) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٨ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٦ .

(٣١) السالمي ، **مشارق انوار العقول** ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ ، ص ٢٧٠ وما بعدها ، ص ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦١ — ٦٢ .

(٣٣) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٣ .

(٣٤) **جيطالي** ، **قواعد** ، ص ٦٢ (عن ابي المؤثر) .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٣٨) شماخي ، **سير** ، ص ٧٥ — ٧٦ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٣٩) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨١ (من ابي سليمان) ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٢ — ٦٤ .

(٤١) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٩ .

(٤٢) المصدر نفسه .

(٤٣) السالمي ، **مشارق** ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٧١ .

(٤٦) ابو زكريا ، **السيرة** ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧٠ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ .

(٤٧) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٩) شماخي ، سير ، ص ١١٤ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

(٥٢) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٥٣) التلهاتي ، **الكشف والبيان** ، مخطوط ، ورقة ٨٥ — ١٠٦ ، الازكوي ، **كشف الغمة** ، مخطوط ، ورقة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ٥٣ وما بعدها ، شماخي ، سير ، ص ٣٠ وما بعدها ، انظر كتابنا ، **نشأة الحركة الاباضية** ، ص ٥٧ — ٦٣ ، ١٧٢ — ١٨٠ .

(٥٤) يقوم المؤلف باعداد بحث عن نظام العزابة سوف ينشر في **مجلة المؤرخ العربي** التي تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .

(٥٥) علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، ج ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٦ .

الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي

للمستعرب الايطالي الأستاذ أومبرتو ريتستانو

ترجمه عن الايطالية : عيسى الناعوري
(الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني)

تمهيـــد

هـــذه المراجعة الموجزة لمشاركـــات الباحثـين الايطاليين في حقـــل (التاريخ العربي) خاصـــة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفـــات ذات الطابع السياسي والديني ، لان ذلك اكثرُ اتصالا بموضوع الاســـلام بحدوده الواسعة ـــ والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم ((الاستعراب الاسلامي)) ، الواسع الاستعمال ـــ غير ان وجود فصل في هـــذا البحث حول (الدراسات الاسلامية) ، كان القصـــد منه ان يُحول دون اي تحديـــد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة ـــ كالحضارة العربية الاسلامية ـــ كثيرًا ما يتعذّر معهـــا فصل المسيرة التاريخية عن تطوّر العقيـــدة ونموّهـــا .

وبالنسبـــة الى الاساس الذي سرنا عليـــه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر انـــه ، من اجل ترتيبٍ افضلَ لهذا البحث ، كان لا بـــدّ من التضحية بالتسلسل التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، محافظين على تسلسل الفترات التي أَلِفْنـــا تحديدها زمنيًا ؛ واعني ان تلك الفتـــرات التي تبدأ بالعهد الجاهلي ، ثم تمـــرّ بالنبي محمـــد ، وخلفائه الراشدين الاربعة ، والخلافة الامويـــة ، ثم العباسية ، الـــى سقوط الخلافة في

بغداد عام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، او الركود ، الذي غلب على العرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في بعض الاقطار العربية ، الافريقية والآسيوية، تباشير عهد النهضة . وعند عصر النهضة يتوقف حديثنا .

• • •

حُوليّات الاسلام :

في الوقت الذي تتناوله مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب الزمني ، تَبرُز بين المستعربين الايطاليين والاوروبيين شخصية عملاقة ، هي شخصية ليوني كائيتاني . ففي الاعوام التي تَلَت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد الى عمله في (حُوليّات الاسلام) التي كان قد انقطع عنها بتطوّعه في الجيش . ونحن نحيل من يَوَدّون معرفة شيء عن اسرة كائيتاني الشهيرة ، وابنها العبقري الفذّ ، الى كتاب فرانشيسكو غبريلي (آخر آل كائيتاني) ، كما نقترح على من يدفعهم الفضول الى معرفة البيئة التي وُلِدت وتطوّرت فيها تلك (الحوليات) ان يقرأوا — ان لم يقرأوا بعد — الصفحات الرائعة ذات الطعم الغَسَقيّ ، التي كرّسها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا في كتابه (سقف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتمّ ذلك العالم باللغات السامية والمؤرخ الشهير للاسلام ، بالاصالة والدِقّة اللتين عُرِفت بهما ابحاثه ، بأن يُبْرِز المزايا العديدة والهَنات الضئيلة لعمل كائيتاني الجبار ، والنتائج العميقة والحواشي النيّرة التي أُلّفَتْ معا تحليلا ناقدا من ادقّ الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله الى ذلك اطّلاعُه التاريخيّ والدينيّ العجيب ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من انه كان ، هو وبعضُ المستعربين الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كائيتاني تعاونا فعالا . ولهذا نرى انّ من الادّعاء الذي لا يُغتَفَر ان نحاول اضافة شيء افضل او اكثر مما جاء في الكتابين المشار اليهما ، ونعترف باستحالة فحص كل محتويات (الحوليات) ، لان هذا لا يستطيعه الاّ مَن قرأ قراءةً كاملة كلّ الصفحات الـ ٧٠٠٠ من تلك الحوليات . ولذلك نكتفي بأن نذكر في هذا المقام ضمن اية حدود زمنية وتاريخية يَجري القسمُ الاكبرُ

من عمل ذلك المؤرخ ، دون ان نتغاضى عن إبراز بعض مزاياه الكثيرة ، رغم ما نخشاه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار ما احسن كتابتَهُ ليفي ديلاّ فيدا وغبريبلي .

ونحن نتّفق تماما مع ليفي ديلا فيدا في اعتبارنا انه « اذا كانت أُولى نوايا كائيتاني التفكير في جعل عمله يقتصر على جمع المواد وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بدافع لا يُقاوَم الى التمحيص والبناء ، فاضاف بذلك الى عملِ جامعِ الوقائع : عملَ المؤرخ » . والواقع انه منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهلية ، وقسمٍ لا بأس به من سيرة الرسول ، بدا جليًّا ان كائيتاني كان يعتزم ان يجعل عمله اكثر اتساعًا واحاطةً مما كان العنوان يسمح بافتراضه . وهذا التمحيص للمصادر الذي التزم به المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقته في الأَجزاء التالية التي زوّدها بكثير من التنبيهات المثيرة والمفيدة ، وذات الطابع البنائي . ولقد شَجَّعه ما لقيه من تأييد كبار الباحثين ، ولم يُثَبِّط همته ما لقيه احيانا من النقد الذي لا بدّ منه . ومضى كائيتاني يعمل بهمة نشطة وحماسة متواصلة في نشر الجزاين الثالث والرابع ، وهو يزداد يقينا من ان الخطّة الجريئة التي اختطّها ليجمع في عشرة اجزاء احداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة من التاريخ (اي حتى احتلال العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ٩٢٩ هـ . ١٥١٧ م .) كان لا بدّ من تعديلها تعديلا اساسيا . وقد عَبَّر عن تلك الضرورة بصراحة في مقدمة الجزء الخامس حيث يقول : (ان وفرة الموادّ تستمرّ في قلب التوقّعات المتكررة حول عدد اجزاء الحوليات . . . وسيجد البعض حجة لانتقاد الابعاد التي ما تني تأخذها . . . لان استمرار العمل على قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازه . . .) .

ويتبع كائيتاني تصريحه هذا بتوقّعٍ ، لا شك في انه اكثر واقعية من ذلك الذي سبق ان تكوّن لديه حين شرع في تنفيذ تلك المهمة الموسوعية ، وهو انه من الممكن ان يصل بعشرين مجلّدا أخرى الى نهاية العهد الاموي . « لقد عَمِلتُ حسابا — كما يقول بعدئذ — بالنسبة

لـو استطعت الثقة من ان اعيش عشريـن عاما اخرى مـن العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يُقدِّمها لـي بعض المعاونين القديرين ، فلربما استطعت ان أقـدّم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الآن . . . مستمرًّا على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة او النوع . ان النتيجة واضحة : فحياة انسان بكاملهـا ، اذا كُرِّسَت لهذا العمل ، قـد تبلغ بالحوليات الى بدايـة الخلافة العباسية فقط ، دون ان تمسَّ كلّ عصور التاريخ الاخـرى ... لهذه الاعتبارات وسواها ، مما أريحُ القارىءَ من سرده ، توصلتُ الـى ان أقرِّر الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، او على الاصح ، مُكَمِّل ، يُكون الصـورةَ او الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر ... » . ومـن هناك نشأت (الوقائع الاسلامية) التي استُخدِمَتْ فيهـا ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلاميـة ، الجزازاتُ التي لا عَـدَّ لها مما جمعه خلال إعداده لعمله الكبير . غـير ان كائيتاني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمـة الجديدة التي وقَفَتْ عند عـام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، ان يُحقِّق ما كان قد حَزم امره عليه من الوصول الى حدود عـام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت نيّتـه الحازمة ، بل ظَلَّ ذلك مرةً اخرى طُموحـًا وهْميًا . ولم تكن اقـلَّ وَهْمًا كذلكـ كما تَجلَّى بعدئذ في ما يتعلـق بالحوليات ـ توقعاتُ المؤرخ حول (الوقائع) ، فانـه لم يُكمل بَعْدَ ذلك من عمله العظيم اكثر من خمسة اجـزاء اخرى ، بلغ معها العمـل الى الجزء العاشر ، الـذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م (نهاية خلافة علـي) . وهذا يعني اقـلّ من ثلث ما كان قد خَطَّط لـه بجراة حماسية .

ان هـذه الحوليات ، التي اعاد كائيتاني نشر بعض موادّهـا في جزأي كتابه (دراسات في التاريـخ الشرقي) ، سرعان ما لقيَتْ تقدير الاوساط العلمية الاستعرابية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخـارج ، وليس فقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئـة وخمسين مرجعا تاريخيا ،وتاريخيا ادبيـا ، وفرْزها (واغلبُها ما يزال غير مطبوع) بـل لاعتبارها ايضا مرجعـا لا مثيل لـه في الحقيقة ، لمعرفة العهـد الاسلامي الاول «

وللاعتبارات النقديــة والتمحيصية المديــدة ، والحدس المبتــري ، والفرضيات المغرية المنبثّة في ثنايا ترجمات النصوص او تلخيصاتهــا . ولئــن كانت مواقفُ الباحث المتساهلة جــدًّا مع الايجابية التاريخية ، ونَقْدُه العنيد لقيمة الابحاث التاريخية التقليدية في شؤون الاســلام . لم تُلْــقَ اصداءً حسنة لدى المختصّين ، فــان هؤلاء انفسهم ، حتــى في عــدم اتفاقهم معه ، قد ابدوا اعجابهم الشديد بمواهبه ومقدرتــه العلمية ، واثنوا دائما على المثابرة والداب اللذين ابداهما في قيامــه بتلك المهمــة التاريخية ، مُشِيدِين بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه على البحث الدائب ؛ ناهيك بالثناء علــى الروح التي تَحَلّى بهــا في اعادة صياغة المــادة الخام التي كان يعثر عليهــا .

لختــام هذا الحديث نضيف الى ما تقدم ان (حوليّات الاســلام) ، حتى في نموها المحــدود في هذه الوقائع باجزائها العشرة ، قــد رَدّت الاعتبار والفضل الى الدراسات العربية والاسلاميــة في ايطاليا ، بعد ان فَقَدَت قيمتَها الصحيحة في حقــل الحوليات التاريخية منذ (الحوليات الاسلامية) العشوائية التي كان قد جمعها (ج . رامبولدي ــ ميلانــو ١٨٢٢ ــ ٢٥) والتي لا يستطيع حتى النقــدُ المتساهل ان يُضفــي عليها ولــو قيمةً ضئيلة من الاصالــة .

وفي ســنــة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الاخير من الحوليــات ، كان قد صَحَّ عــزم كائيتاني على مغادرة ايطاليا ، لاسباب مختلفــة . وقد نَفَّــذ عزمه ذاك ، ولكنْ بعد ان قرّر ان يَعْهَــد بمؤلفاته وموادّه الدراسية الاخرى الى (مؤسسة كائيتاني) التــي أُنشئت في الاكاديمية الايطالية (اكاديمية الفهــود) وكان الغرض من ذلك رغبته في ان يتيح للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمــره لدراسة التاريخ العربــي . وربما كان يامل ــ املاً لم يتــمّ ، مع الاسف ــ ان يقوم غيره باكمال عملــه .

ـــع التسلسل التاريخي :

ونمضـــي نحو الهدف الذي رمينا اليه واعربنا عنـــه في ما تقدم ، من ان نستمر في دراستنـــا السريعة ، مُتَوخّين قبل كل شيء تتبُّع الاحداث التاريخية ، فنرى من المناسب ان نبـــدأ بإبراز الاعمال التي تجسد فيها جميع قرون التاريخ العربي الثلاثة عشر ، او الاربعة عشر ، او قسما كبيرا منهـــا موجزة في رؤية اجمالية . ومن هذه نستدلّ علـــى المنشورات الثقافية الجديرة بالاعتبار ، والتي تقوم الجدّية العلميـــة ، وثقافة المؤلفين الواسعة ، ضمانةً كافية لصلاحها واهليتهـــا .

اولُ محاولـــة لجمْع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيّقة ، قامت بها السيدة لاورا فيتشيا فاليري . ففـــي الفصل الذي عقدته على (العـــرب) والمنشور في كتاب (حضارات الشرق) ، وضعت خطوطا لرسمٍ سريع وكامل لتاريخ ذلك الشعـــب ، واستطاعت ان تُجرِّد التاريخ مما لا حاجةَ اليـــه في مثل هذه الابحاث التاريخية . وكان اهـــمَّ من ذلك كثيرا اهتمامُ مستعربتنا هذه في كتابهـــا (الاسلام ، من محمـــد الى القرن السادس عشر) بأن لا تستعرض تاريخ العـــرب فحسب ، بل توجـــز خصائص الاسلام التاريخية ، والدينية ، والثقافية ، وكذلك الادبية والفنية . انهـــا لدراسة واسعة للعالَم الاسلامـــي ، دون استثناء لعناصره الفارسية ، والبربرية ، والتركية . وهذه الدراســـة تجـــد ختامها المنطقيّ في بدايـــة القرن السادس عشر ، فتلتقي زمنيًّـــا بمُقَدِّمَة العالم العربي المتوسِّطي . وهذا ما لم تستطـــع ان تصل اليه (حوليات الاســـلام) ، كما اوجزنا في ما تَقَـــدّم .

امـــا فرانشيسكو غبرييلي ، الذي ستتوالى في هذه الدراســـة الاجمالية وفي غيرهـــا الاشاراتُ الى جهوده الجبارة في حقـــل الدراسات الاستعرابية ، والاسلاميـــة ، والفارسية ، فقد صادفَ بكلّ جـــدارةٍ نجاحا كبيرا بكتابه (العـــرب) ، الذي يستحقّ التقدير الكبير لحســـن توزيعه للمـــواد ، ووضوح عَرْضه حتى للاحداث العربية التي لا يتـــاح الوضوح في عرضها الا لقلّـــةٍ من المتفوقين ، وكذلك لبعض اللمحـــات

الشخصية التي لا يصل اليهـا بسهولة غير العالِم المتخصّص . ومزايـا هذا الرسم الجانبيّ الكامل للتاريـخ ، المرسوم في ضوء رؤيـة دؤوبـة ممحّصة نقادة ، من اقـدم العصور الى ايامنا هذه ، يؤكدها ان هـذا الكتاب سرعان ما تُرجِـمَ الى الانكليزية والفرنسية والالمانيـة . ولا يختلف عن هـذا الكتاب ، من حيث التقسيم التاريخي ، كتابٌ آخـر هو (العرب ، من العصر الجاهلي الى اليـوم) ، لأومبرتو ريتـتانو . فبعد استعراض وافٍ لا بـدّ منه للأحداث التاريخية العربيـة مـن الوثنية الى العصر الحديث ، نجـد احدثَ الظروف والشؤون العربية معروضة عرضا وافيـا ، ومنها ما لا يزال الى اليـوم يفرض نفسه على اهتمام العالم الغربـيّ ـــ غير الواعي دائما ، مع الأسـف ـــ . واخيرا سنذكر في هـذا العرض السريع للملامح الشاملة لأحداث الشعـب العربي التاريخية ، ان لفظة (عـرب) والفقرات الخاصة بعِلْم الأعْراق ، وبتاريخ اسم (الجزيـرة العربية) في (دائرة معـارف بريكّاني) قد حرَّرَها جورجيو ليفـي ديلاّ فيدا ، وهي تحمـل الخصائص المتميزة للمعلومات السريعة الحسنة التبويب ، والتي لا تعرف التعميمات السهلة .

الجزيـرة العربيـة :

مـن السهل ان يُدرِك المـرءُ ان الجزيرة العربية ، قبل ان يُجَدِّد الاسلامُ مجتمعاتِها القائمة على البنـاء البدويّ ، والخاملة الى حـد مـا ، والتي تُعْوِزنا معرفتها لندرة المعلومات والوثائق ، وتصعب معرفـة بعض مظاهرها الفريدة ، قد كُتِبَت فيهـا الابحاث والرسائل العلمية ذات الطابع التاريخي في اساسها . وهذا ما عُقِـدَ عليه الفصل الاول من (تاريخ الديـن الاسلامي) لميكلانجيلو غويدي . واكثرُ من ذلـك الفصلان الأوّلانِ من كتابـه الذي نُشِر بعد وفاتـه بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم حتى وفاة محمـد) الذي جاء تمهيدا لا بـدّ منه لحديثٍ اشمل حول ثقافة العـرب . ولكن هذا الحديث لم يُكْمَل بسبب وفـاة المؤلف المبكرة . ومع ذلك لم يُخْلُ الكتاب المذكـور من عُرْضٍ كافٍ للبيئـة الاجتماعية التي تكوّنت فيها هذه الثقافـة في اقدم الازمنة . وكان غويدي

بمي هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وثنيتها لوحة امينة بقدر الإمكـان ، استنادا الى المـادة التاريخية الواسـعة التي استطاع ان يُجْمَعَها خلال سنين عديدة ، ويُقيِّمها بحسّ تاريخي عجيب ، وبروح مجرّدة من كـل شكل من اشكال النقـد الاعتباطي الذي لا مبرّر لـه ، مع ان الكثير منهـا خرافـي .

وهنـاك اعمال اخرى لباحِثين قديرين اقتصرت تمامـاً على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنـا الى ان نذكر في مقدمـة هؤلاء الباحثين اغناطيوس غويدي ، الذي جُمِّـع تحت عنوان (الجزيرة العربية قبل الاسـلام) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عـام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعـي لالقاء دروس في الأدب الجغرافـي والتاريخي واللغوي عند العـرب . واذا لم يكن هنا المجالُ لتذكـير المختصّين بمزايـا هذا المستشرق العظيم ، وفضلِهِ في مختلف حقـول الساميّات المتعددة ، فاننـا نرى من فضول القول ان نؤكّد ما لهـذه المحاضرات الاربع من قيمة رفيعـة ، يستطيع ان يُلْمَسَها حتى الجاحدون ، حول مهـد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهـي تؤكد ما لاغناطيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل المـادة الجافّة المتعلقة بظروف الثقافة العامـة ، الى عمل علمـي .

غـير ان الباحث الذي انقطع في الماضي القريـب ، وبشكل يكاد يكون مضرب المثل ، الـى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيـرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نَلّينو ، الذي جُمِعَت آثـارُه العلميّة في هـذا الحقل الخاص ، بعد نَشْرِها في مجلات عديدة — ولـم يُنْشَرْ بعضـها من قبل — في المجلـد الثالث من مجموعة اعماله العلمية ؛ وقد نُشِرَت هذه المجموعة بعد وفاتـه في ستة مجلدات بعنوان (مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهـد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيـد الى اذهانهم اسمُ نَلّينو كثيرا من الكتابات الفنيـة حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجـود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان (هــل كانت لمصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبـل عصر بطليموس ؟) واكثر من ذلــك ابحاثه الاخرى الخاصة (بالعربيــة السعيدة) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتركيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها (اليمــن في العصر الجاهلي) ، ويكمله ايضا (اليمن في العهــد الاسلامي) ؛ وهما بحثان متميّزان وكبيرا القيمة ، كَتَبَهُما حول كلمة (اليمن) لدائرة معارف تريكّاني . وفي مقالات اخرى عديدة مدّونة في الجــزء المشار اليه من (مجموعة كتابات) ــ ولم نذكرها هنا ، لانهــا سَبَقَت الاعوام الخمسين التــي تتناولها هذه الدراسة ــ نجــد اشاراتٍ متلاحقة الى (الجاهليــة) . ونحن نجــد للجاهلية تاريخا كاملا في (الجزيرة العربية قبل الاســلام) .

ولكن هــذا الكتاب ، بحكم الاهداف التعليمية التــي وُضِع من اجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تَخَلّص عُمْـدًا من التقنية الزائدة ، ولكنــه دون ريب بعيد جــدا عن الضعف او عــدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلّــم الشهير ابعدَ ما يكون عن الضعــف وعــدم الاتقــان .

وفي وثنيــة الجزيرة العربية نجــد كتاب (الجزيرة العربية قبــل الاسلام : التراث العربي) ، وقد وضعه ليفي ديلاّ فيدا باللغــة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهــد الاسلام ، يمضي في الحديــث على ذلك التراث العربــي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لِمَــا شَغَلَ بــه نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجــة ، والفحص الناقد للمصادر . هــذه الاعمال جاءت نتيجةً للبحث العلمــي الجادّ الصارم في تاريخ بُلَــدٍ كانت ارضُه الجنوبية ــ اليمن الاسطورية ــ قد أوحت ببعض الاعمال والابحــاث في العصر الحديث . ونقتصر ههنــا على ذكر (اليمن في التاريــخ والاسطورة) لكارلو انسالدي ، وهو كتــاب يُعيــدُ تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعوِزُها العــرض الصحيح احيانا . وكما هــو معروف ، يمكن ان نعتبر الشعر العربــي في العهد الوثني ، بكثير من الثقــة ، تعبيرا ادبيا عن العرب في ذلك العهد ،

يُمثِّل في الوقت نفسه واحــدا من اكثر المصادر مباشرة واصالة لمعرفــة المجتمع البدوي القديــم . ولذلك كثيرا ما اشار مستعربنا الاوثق والاكثر معرفة بالشعر العربــي القديم ، فرانشيسكو غبرييلي ، الى الوثنيــة العربية ، لضرورةٍ وضع اطار لأقْدَمِ فحول البُرْناس العربــي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثقافي .وكــان اطول من ذلك وادعى الى عمق التفكير انشغاله المتمّهل بالتراث التاريخي والاسطوري فــي ذلك العهد . واكثرُ مــا يكون غَرَضُ ذلك البحاثة تحديدا ، كان في وضـــع البداوة العربية في صلــة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما فعل في ابحاثه التاليــة ـــ : (المجتمع البدوي والشعر الجاهلي ـــ القبليــة والدولة في الشعر العربي القديم ـــ الادب البدوي الجاهلــي) وكلّهــا موضوعاتُ عــادَ الى بحثها من جديد في دراسته للعهــد الاسلامي في كتابه الفرنسي (القبليّة العربية والدولــة الاسلامية في العصر الاموي) ، وفيه اجــاد غبرييلي اختيار مقاطع شعرية ، وترجَمَها الى الايطاليــة بمهارته المعروفة واناقــة صياغته . وكان ذلك مما سكتت عنه المصـــادر التاريخية ، او اشارت اليــه اشاراتٍ غيرُ واضحة دائمــا .

• • •

العهــد الاسلامــي :

ويجــيء الآن الوقت الذي نُعْبُر فيه من شبــه الجزيرة العربية الوثنية الى ابنهــا الاعظم ، نبــيِّ الاسلام ، الذي كانت سيرتُه موضوعا لأروعِ الابحاثِ التي قــام بها كائيتاني ، ثم اصبحت بعد ذلك ، في عــام ١٩١٧ ، مــادة لمناقشاتٍ وابحاث علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمــو مع الايام ، على اثــر اطروحةٍ علمية للدكتوراة حَوْلَ اقــدم الاحاديث المتعلقة بحياة محمــد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة فرجينيا فاكّا دي بوسيس ـــ التي اثارت ذلــك النقاش غير عامدة ، ولم يُلْبث اسمُها ان برز بين كبار المستعربين ـــ بنشر كتابها (سفارات محمــد الى الملوك ، في رواية ابــن اسحٰق والواقدي) ؛ وفيه درست ، على اساس الاخبار التي اوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الاسلام في بداياتــه بالنجاشي ، وكسرى الثاني ، وهرقــل ، والمقوقس .

وبين أوائل الباحثين الذين عُنُوا بوجوب فصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت الينا من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو نَلّلينو . فَبَعْدَ ان كَتَب بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كَتَبَ كذلك بحثا حول اسم (محمد) لدائرة معارف تريكّاني ، قَسَّمه حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداثة ، العهد المكّي ، العهد المدني ؛ وبعض الاعتبارات القصيرة العامة التي كان البحاثة قد أطال الكتابة فيها في بحث له بعنوان (في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد) . ومن المفروض ان ميكيلانجيلو غويدي ، في الفترة نفسها ، كان معنيًّا بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمدّ منها فصل (النبيّ محمد) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والاخير من كتابه المذكور آنفا (تاريخ العرب وثقافتهم) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غويدي المسبق بأن ثمة تأثيرا اساسيا للروح العربية في الحضارة الاسلامية . وكان الكاتب يودّ أن يثبتها فيما بعد بادلة يفترض انها ثابتة واصيلة ، لو قُدِّر له ان يبلغ بكتابه الى منتهاه .

اما الابحاث التي ضُمِّنها غبرييلي كتابه (مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ — كما يوضح ذلك عنوان الكتاب — كانت ثلاثة من هذه الابحاث تدور حول نبي الاسلام ، تُقدِّمه اولاً الى القراء منصرفا الى حوافز تجربته الدينية ، ثم مُواطنًا اولُ في مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو البحاثةُ رسّاما ومفكرا بارعا في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئا جديدا حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص تُثقِّف الجاهل دون أن تفرض عليه عناء الثقافة المتخصصة جدا . وبعد اعادة صياغة الابحاث المشار اليها حول شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالالمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة (تاريخ العالم) ، كَتَبَ غبرييلي كتابا بعنوان (محمـد والفتوح العربية الكبيرة) هـو ، في الواقع ، كتابٌ قليل عليه ان يُنْعتَ بأن قراءته ممتعة . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، الى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارةٍ قد لا يعرفونها الا على وجه التقريب . ونجد فيه ثلاثة فصول متكاملة حول نبي الاسلام ، تُقدِّمه اولاً في ضوء تقديس اتباعه لـه ، ثم يلي ذلك حالا تقديمُه في ضوء حكم المسيحية السلبي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستنير الجديد ، واخيرا في الرؤية الرومنتيّة (كصاحب شريعة ، وملهَمٍ عظيم) و (كموقظ لقوى شعبه الهاجعة) . وكان المستعربون والباحثون في الاسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على قواعدَ اوثقَ واثبت في اعطاء حكم تاريخي اكثر توثيقا ومصادر حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحائف التي كَتَبَها غبرييلي والتي جاءت بَعْدَها ، وَرَدَتْ فيها ، ببراعة المعلم القدير ، احداثُ حياةِ محمد في مكّة والمدينة ، وبالتالي اوضحت بجلاء خُطى الاسلام الماضية قُدُمًا الى اقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . واذا كانت هذه الفصول تلتقي في الاصل التاريخي العامّ مع اعمالٍ علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فانها تختلف عنها اختلافا تاما من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالبا ما تتميز بالاصالة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية ان نختم هذا الحديث بأن نُذكر ان في الكتابات المتعلّقة بسيرة محمد ، والتي تتضمّنها كُتُب التاريخ العربي العامّ المشار اليها ، وكذلك في المؤلفات الرامية الى التعريف بالاسلام — ونذكر منها ابحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولاورا فيتشا فاليري — اقتَصَرَ المؤلفون على البناء المالوف ، ولم يبتعدوا عنه الا ليُدخِلوا فيه افكارا واستنتاجات ذات طابع شخصي .

• • •

بعد الانتصارات العسكرية المدويّة الأولى للاسلام ، والتي نجدُ منها في كتاب فرانشيسكو غبريبلي المذكور صُوَرًا ملحميّة من المعارك الآسيوية والافريقية ، اندلعت في المجتمع العربي والاسلامي، الهشّ حينئذ ، نارُ الحرب الاهلية بمبايعة عليّ بالخلافة . فلقد اعترض عليها معاوية اعتراضا شديدا عنيدا ، الى حدّ المناداة بالحرب . وكان اول من درس الموادّ التاريخية التي يتضمّنها كتاب (انساب الاشراف) للبلاذري ، بِقَصْد المضيّ نحو اعادة بناء فكرة صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول الى السلطة ، هو جورجيو ليفي ديلا فيدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد اتيح له ان يصل الى معرفة ذلك النصّ وتقدير اهميته ، في اثناء معاونته في (حوليات الاسلام) . ونتج عن ذلك ان اصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة ما . وبعد قرابة عشرين سنة اخذ ذلك العالِمُ بالساميّات يهتمّ بالعودة الى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة اولغا بينتو ــ تلميذته ــ في القسم الذي خَصَّصه البلاذري للخليفة معاوية . ولكنه في الغالب كان يعتبرها مجموعة غير منظّمة اكثر منها اخبارا تاريخية ، او مادة تتعلّق بالانساب ، شعرية او جامعة . وبعد هذا الذي قدَّمه جورجيو ليفي ديلا فيدا ، وليوني كائيتاني ، وفرانشيسكو غبريبلي، وميكيلانجيلو غويدي ، ظَهَرَ كتاب آخر في دراسة الاحداث التي رافقت هذا المنعطف التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا فيتشا فاليري ، وقد عادت فيه الى فحص هذه القضية الصعبة على أساس مواد جديدة تاريخية ، و خرى تتعلق بالانشقاقات الدينية ، مستقاة من مصادر (اباضية) استطاعت بواسطتها القضاء على بعض التناقضات ، وان تسدّ بعض الفجوات المتعلقة بالاحداث . ودعمت السيدة فاليري ذلك بكتابها (ترجمة خطوات تتعلق بالنزاع بين معاوية وعليّ ، وانشقاق الخوارج) ، لتجعل منه فهرسا لا بدّ منه لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقادة ، وتوثيق جامد دؤوب . وقد استقت مادة كتابها هذا على الاغلب من (كتاب الجواهر) للبرّادي ؛ وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحدا من اوثق مؤرخي الشيعة الاباضية

في افريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القيّمين اكتسبت مستعربتنا كفاءتها العالية في هذا الحقل ، بحيث أن العديد من (الكلمات) التي ورد شرحها في الطبعة الثانية من (دائرة معارف الاسلام) والمتعلقة بالفترة المشار اليها ، تحمل توقيعها ، واهمّها اسم (عليّ ابن ابي طالب) .

أمّا كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره اقدم المراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأوّلين من ظهور الاسلام : فقد شارك فرانشيسكو غبرييلي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع الذي لقيه — وكان قد عُهِدَ الى غبرييلي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ، ولكنّ من المؤسف انه لم يُنْشَر بعد — ومشاركته هذه هي في كتابه (خلافة هشام) الذي اعاد فيه بناء فترة المُلْك الطويل الامد للابن الرابع لعبد الملك،على اساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على اساس من هذه الدراسة الاولى بدأ غبرييلي سلسلةً مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية للعهد الأموي ، لم يلبث ان اغناها فيما بعد — الى جانب الفصول التي تَضَمَّنَتْها مؤلفاته العامة المتقدّم ذكرها حول تاريخ العرب — بأبحاث موثّقة جدًّا حول (الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر — وثورة بني المهلب في العراق ، والبلاذري الجديد — والبطل الاموي مسلمة ابن عبد الملك) . وفي هذه الكتابات — كما في ما سبقها حول الفترة العباسية ، ممّا سبقت الاشارة اليه — تُصبح الاعمال التاريخية ، والاعمال الضئيلة الاهمية ، معالم واضحة بما يضفيه عليها من تفكيره واستطراداته ذات الطابع الاجتماعي ، والبيئي ، والثقافي ، والتي تُمَثّل ، هنا وفي اي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج غبرييلي العلمي والتعريفي .

وفي اطار العصر الاموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه (العرب في الهند) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيّما في كتابه (فتوح البلدان) المشتمل على القليل من المعلومات التي وصلت الينا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السند ، وضع

غبرييلي كتابا حول محمد بن القاسم الثقفي ، الذي ضَمَّ الى الامبراطورية الأموية تلك الولاية الجديدة النائية — السّند — « حاملا معه الى الهند ديانة جديدة ، وثقافة جديدة » . في هذه المرة ايضا يضيف غبرييلي في الفهرس ترجمة لبعض الصفحات المأخوذة عن (الشاهنامة) — وهي رواية فارسية ، من القرنين السابع والثامن ، منظومة شعرا عن اصل عربي مفقود من تاريخ الفتح — . ولهذه الرواية الشعرية ، القليلة الاهمية التاريخية بالنسبة الى الاحداث المشار اليها ، نجد تقييما مفيدا في الجزء الاول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ، لا بدّ لنا هنا ايضا من ان نثبت بالتحديد — مثلما قدّمنا في العصر الجاهلي — ان هناك مشاركات اخرى لمعرفة البيئات التاريخية والاجتماعية في العصر الاموي ، نجدها في جميع كتابات مستعربنا هذا ؛ كُتُبُها حول الصوفيين ، والشعراء ، والناقدين في ذلك العصر ، من الحسن البصريّ الى ، جميل بن مُعَمَر ، الى ابن المقفع .

واما عبد العزيز بن مروان ، الذي وُلِيَ على مصر عشرين سنة (٦٨٥ — ٧٠٤) للأمويين في دمشق ، حيث كان الخليفة اخوه عبد الملك ابن مروان ؛ فقد كتب حوله اومبرتو ريتستانو بحثا ، جاء استكمالا لدراستين كان قد كتبهما في شبابه حول الشاعر (ابو محجن نُصَيب ابن رباح) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي (عبد العزيز بن مروان) ، وكان يُكثِر في شعره المدح والشكوى ، وقد تضمَّنت كتب الادب مقاطع من قصائده .

وعلى غرار لاورا فيتشا فاليري ، وبارشادها ، دَرَس مستعربون آخرون من المعهد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة من الشيعة الاباضية ، وما كان لها مع الشيعة الخارجية ، التي تحدّرت منها الاباضية ، من خلافات لا يستهان بها في التاريخ العربي . اما العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئة المنشقّة ، فنجدها موضّحة في مقالٍ لروبرتو رُوبيناتشي عنوانه (الخليفة عبد الملك بن مروان والاباضيون) . ويشتمل المقال على ترجمةٍ لرسالة من عبد الله

ابـن إباض الى الملـك الاموي ، نقلا من المراسلات التي جرت بـين الرجلين ، والتي لم يُحْفَظ لنـا التاريخ سوى بعضهـا .

• • •

العصـر العباسـي :

وكمـا هو معروف ، لم يجـد العصر العباسي بُعْدُ بين المستعربين مؤرخا ذا استعداد لأجـل العكوف على اعادة بنـاء القرون الخمسة من تاريخه . ولكنّ اهـمّ اثر دُرِسَ فيه شيء من ذلك العهـد الطويل ، لا يزال الى اليـوم كتاب (الوزارات العباسية ، من سنة ٧٤٩ الـى ٩٣٦) الذي وضعـه الفرنسي د . سورديل . امـا من المستعربين الايطاليين ، فقد وضع س . موسكاتي ، العالم بالساميّـات ، سلسلة ابحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهـذا الباحث اهتـم اهتماما جادًّا بنشاط علميّ يباعِدُ بينه وبـين الاستعراب ، رغم انـه عمل في حقوله فترة من الزمن بموهبة وغَيْرَة . وقد سُلِّط ضوءا جديدا علـى بعض اللحظات الاساسية من الأسرة العباسية التي يُصْعُب بناؤهـا في الغالب ، بسبب الفجوات والاخطاء في الاخبـار التي يُمكن العثور عليهـا في المصادر . وامـا نهاية الامويين الفاجعة فقد سُجِّل موسكاتي وقائعها في كتابه (مذبحة الامويين في التاريخ وفي المقتطفات الشعرية) . وامـا بدايـة العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدةٍ ثمينـة مـن (عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الازدي) ، فقد خَصَّص لهـا ثلاثة ابحاث جُمَعَها تحت العنوانين التاليين : (دراسات حول ابي مسلم) و (ثورة عبد الجبار على الخليفة المنصور) . وكـان المنصور قد غاظه كثيرا مـا كان لمبعوثِيه من نفوذ ، فقرّر وضع حـدّ عنيف لحياتهما . ولكـن الاحداث اللاحقة لتلك الاسرة العباسية كانت ايضـا موضع اهتمام ذلك الباحث ، فقد اعـاد بناءها على اساس دراسة واعيـة للمصادر ، ونَشَرَها ، بمظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة ابحـاث : هي : (دراسات تاريخية حول خلافة المهـدي ـــ ودراسات تاريخية جديـدة حول خلافة المهدي ـــ وخلافة الهادي) وهي كلّها مراجع لا غنى عنهـا

للباحث الذي سيحاول كتابة تاريــخ الخلافة العباسية . فماذا ما وُجِــد هذا الباحث ، فسيجد مــوادّ نفيسة تساعده على القــاء الضوء على العلوية والخارجية خلال الفترة الاولى مــن العصر العباسي ، في بحــث عنوانه (شطحات فكرية حول ثورتين عُلُويَّتين) ، للسيدة لاورا فيتشــا فاليري ، و (المراسلات بــين المنصور ومحمــد النفس الزكية) للكاتب ر . ترابيني ، وفي (تبادل الرسائل بــين هرون الرشيد وحمزة الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشِيًا . وهــذه دراسات استُخدِمَت فيها مصادر لم يُسْبَق فَحصُها .

بعــد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافــة العباسيــة الدموية ، كان يمكن اعتبــار هذه الخلافة قد توطَّدت اركانها . وكــان من نصيب هُرون الرشيد فضلُ المضيّ على آثــار الخلفاء الاربعة الأوّلين حتى تبلغ الخلافة اقصى زهوتها . وقــد تضافرت الاساطير التي نُسِجَت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الزاهرة ، وبلاطه ذي الفخامة المذهلة ، مثلمــا تضافرت كذلك الانجازات غير العاديــة التي تمّت في عهــده ، على تمجيده وتعظيمه .

ونحن فعلا نجد في كتــاب (هُرون الرشيد ، تاريخ واسطورة) ، الى جانب الاحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسْبِغ على شخصيته بعد وفاته . وأمّا وُلداه ، فقد اهتمّ الباحث نفسه بايضاح النزاع الدمويّ الذي ثار بينهما لاجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : (وثائق تتعلّق بخلافة الامين ، في الطبري ــ وخلافة هُرون الرشيد ، والحــرب بين الامين والمامون ــ والمامــون والعلويون) . هــذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد مــن ابحاث غبرييلي الاخــرى ، الادبية والدينية ، التي خَصَّصها للعصــر العباسي . وهذا حقل كان قد بــداه في بواكير دراساته العلمية ببحث عنوانه (حياة المتنبــي) . ومن المؤسف ان دراسات الباحثين الايطاليين تتوقّف عند هذه الفتــرة من العصر العباسي ؛ وهي، في الواقع ، ازهى فتراته واثواها . واما الفترة التالية فليس في وسعنا ان نذكــر حولها

اكثر من بحث واحد حول (الفتح بن خاقان ، الرجل المفضل لدى المتوكّل) ، وفيه توضح السيدة اولغــا بينتو صورة ذلك الرجل ــ الذي يلقّبــه بعض المؤرخين خطــأ بلقب الوزير ــ في شخصيته المزدوجة : شاعرا ، ورجل سياسة . وكان الفتح رفيق الطفولة للمتوكّل ، ثم اصبح مستشاره ، واحيانا مرشده وموجّهه . ونذكــر ههنا كتابا آخر للسيدة اولغــا بينتو عنوانه (المكتبات العربية في العصر العباســي) .

غــير ان العصر العباسي ، كما يعلــم المؤرخون والمستعربون ، يعيــد الى الذهن العلاقات بين اوروبــا المسيحية والعالم الاسلامي : فالصلات بين هرون الرشيد وشارلمان ، نجــد حولها اشارات كافيــة الى حــدّ ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذيــن درسوا ــ لدوافع مختلفة ، وبنتائج مختلفة كذلك ــ النشاطات الدبلوماسية للملــك الفرنجي . ومن بين آخر مــا نعرف من تلك البحوث في ذلــك الموضوع الشائق ، دراسة كتبهــا ج . موسكا ، وعنوانها (شارلمــان وهرون الرشيد) ، وفيها القى ضوءا على تلك الفترة التاريخية ، معتمــدا على المصادر اللاتينية التي استمدّ منها اعتبارات اصيلة حول الاسبــاب الدينية والسياسية التي دعــت الغرب الى الاتصال بالعالم الاسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلــك العلاقات ، قامت روابط أخــرى بين حكومة بغداد واحدى الدوقيّات الايطالية ، أو بالاحرى بين المكتفي وبيرتا التوسكانيّــة ــ كما يسُهُل ان نعــرف من رسالتين متبادلتــين بالعربية : رسالة كتبتها تلك المــراة الطموح بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لاول مرة المؤرخ محمد حميد الله ــ واوّل من اثارت تلك الاتصالات الرسائلية اهتمامه الشديد كان ليفي ديلا ڤيدا ــ ومعه فــي وقت واحد تقريبا س . ج . مور كذلك ــ . لقد قــام ديلا ڤيدا بترجمة الرسالتين الى الايطالية ، وقدّم لهمــا باخبار وافية حول المصــادر العربية التي استعان بهــا ، وعقب عليهما بافكار شخصية ثاقبــة ، حــول الاسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربمــا كانت الاساس لتلــك الاتصــالات .

• • •

المغــرب واوروبــا :

بــدأ فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه تثبت وتوطد في عهد بنــي مروان ، وازداد ثباتا ومتانة في زمــن العباسيين . وتلت ذلك سيادة الاســلام التدريجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهيدا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن أو اكثر قليلا ، لغزو صقلية ايضــا . ولم يتــم ادخال القوات العربية ــ البربرية الفتية الى المغــرب المسيحي القوطي في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقــع ، كانت مع ذلك تمهيــدا للقاءات غنيّة غير قليلة ، نجــد وقائعها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين اصبحا الآن من الاعمال الكلاسيكيــة ؛ وهما:(تاريخ مسلمي اسبانيا) لدوزي ــ وقد اعــاد ليفي بروفنسال صياغته بشكل اساسي ــ وكذلك (تاريخ المسلمين في صِقِلّيَــة) للمستعرب الايطالي ميكيلي اماري .. هذه الاحداث وُتَــعَ معظمُها في القرون الوسطى الاوروبية ، ولذلك اثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفزهم اليهــا تقييمات اثارتها اطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبهــا هـ . بيرين ، بعنوان (محمــد وشارلمان) . وفي هذه الاحداث كلّهــا كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بان نشير منهــا الى البحوث التي كتبهــا المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقــدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقــل .

وكمــا فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحــر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهًا لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العــرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القيّــم الذي يوضح فيه فرانشيسكو غبرييلي اهــم الوثائع . وهنالك اخبار تاريخية مهمّــة حول غارات المسلمين علــى صِقِلّيَة وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاستروجوفانّي عــام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربيــة البيزنطية في تلك الاراضي فــي القرن التاسع . هذه الاخبار نجدهــا في (حياة القديس ايليا الشاب) ؛ وهــو كتاب يوناني ، تُرْجِمَه وعُلّق عليه احــد المهتمــين بالدراسات

البيزنطية ، واسمه ج . روسي طايبيّ . واما الهجوم على سيراكوزا والاستيلاء عليها ، عام ٨٧٨ ، فهنالك وثيقة نفيسة حولهما هي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنا عالِمٌ بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانيني .

واما الابحاث المتعلقة باسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بل هي في الواقع قليلة جدا . وهذا ايضا حقل دراسيّ طرَقه فرانشيسكو غبرييلي في كتابه (رسالة ابن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا) ؛ وهو يحتوي على ترجمة ، مع حواشٍ وملاحظات ، لنصٍ كبيرِ الاهمية حول الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في اوائل القرن الثاني عشر . ثم تلي ذلك حالا كتابات اخرى له ، بعضُها محاضرات ذات مستوى اخباري رفيع ، من مثل (الازدهار السياسي والاجتماعي في اسبانيا المسلمة — والزراعة العربية في اسبانيا وصِقِلّيَة — وعرب صِقِلّيَة وعرب اسبانيا) ، وكذلك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان (مظاهر الحضارة العربية الاسلامية) التي نجد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنية والثقافية الاسلامية ايجابية في اسبانيا وصقلية . والى تاريخٍ اكثرَ حداثةً يرجع بحثٌ للباحث نفسه بعنوان (العرب في اسبانيا وايطاليا) ، اهتمَّ فيه بشكل خاص بدراسة التنظيمات العسكرية في العهد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءا من العالم الاسلامي . وهنا ايضا ، كما في المؤلفات والابحاث السابقة ، يتحرّك المؤلف من فحصٍ زمني للاوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والجزيرة الايطالية . والاحداث التي ادّت الى ضعف الخلافة الاموية في اسبانيا ثم انهيارها في القرن الحادي عشر ، وادّت كذلك الى انجازات مجاهد العامري — وهو واحد من ابرع رؤساء الطوائف — نجدها كذلك مصوَّرة في احدى الدراسات الموثّقة احسن توثيق ، كتبَتْها بالعربية المستعربة السيدة كليليا سارنيللي — وسنعود الى ذكر هذه السيدة فيما بعد — .

ويظهــر أن كثيرا من المستعربين والمؤرخين الايطاليين الذيـن تخصصوا في دراسة مواقــف معينة من العصور الاسلامية الوسطى فــي صقلية ، وفي ايطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اســم ميكيلي أماري وبحثه المتفوق في (تاريخ مسلمي صقلية) . وهو من أهـم كتب التاريخ الايطالية في القــرن التاسـع عشر ، وقد استحق بجدارة ان يعــاد طبعه مرة ثانية ، بعناية فائقة من كارلو الفونسو نَلّينــو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . وامــا فرانشيسكو غبرييلي فانه ، بعــد البحث الاول الذي كــان قد كَتَبَه سنة ١٩٢٨ بعنوان (التراث الرومانــي في ايطاليا الجنوبية والغزوات الاسلامية) ، عــاد في فترات متقطعة الى (صِقِلّيَة العربية) ـــ وهذا هو فعلا عنوان احــد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقــدّم ذكرها ، حول اسبانيا المسلمــة ، وكلّها ممتــع ، يتميّز بعمق التفكير ووضـوح العرض ـــ . واما في مــا يتعلّق باحتلال الاغالبة لصقلية ، وما نتج عنه مــن انعكاسات على الصعيد الثقافي والفنــي ، فنجد دراسة ممتعة في كتاب (المسلمون في صقلية) الذي ألّفــه باللغة العربية المرحوم مارتينو ماريو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاهــا في الجامعة اللبنانية في بــيروت .

ونجــد اومبرتو ريتستانو معنيًّا بالحقل نفسه منذ نحو عقــد ونصف العقد ، تُحْفِزُه الى ذلك على الأخص رغبــةٌ في الحفاظ ، فــي صِقِلّيَة خاصةً ، على نــوع من الدراسة كان قد اعطاه الحياةَ والقيمــةَ العلميةَ المؤرخُ الصقلّيّ ميكيلي اماري ، الذي سبق ذِكْــره مرارا ، اكثرَ مما تُحْفِزُه الثقــة في مقدرته على المساهمة في تحسين آثــار اماري الرائعة . ذلك لان النصوص غــير القليلة التي خرجت الى النــور بعد ذلك ، لــم تُزَوِّد المستعربين بمــوادّ تُسْمَح باجراء تعديلات اساسية على تلك التي كــان قد جمعها اماري في (المكتبة العربية الصقلية) . ومن دراسة النصوص التي لم يُطّلع عليها اماري ، ومثلُها مختــارات ، والتي لم تختلف عن تلــك التي نُشِرت في (الذكرى المئوية لوفــاة ميكيلي أماري) ، استطاع ريتستانو ان يلفت الى نفسه الانتباه ببحث لــه

عنوانه (مصادر عربيــة جديدة لتاريخ المسلمين في صقلية) . واهــمّ ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص (سيرة جوذر) لابي علي منصور العُزيزي ؛ وهي وثيقــة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض امــراء الكلبيين في صقلية ، وصلات جزيرتنا مع الضفة الافريقية المقابلة ، في نحـــو منتصف القرن العاشر . وقد خَتَمَ بحثَه بترجمةٍ بضع صفحات مــن (السيرة) المذكورة . ومن بعد ذلك ظهرت لهـــا ترجمة فرنسية كاملة ،قام بها م . كانار . وبعد ان كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، تــلا ذلك بنشر بعض تلك النصوص ، وفيها اخبــار تاريخية لا وجود لهـــا في اي مصدر آخر . ومن هذه نذكر هھنـــا (كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري . وهـــو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعضــــه حتى الآن ، والذي نشره ريتستانو منه حتى الآن هو القسم المتعلق بالبرّ الايطالي وصقليـــة (١) . غير ان هـــذه المصادر المكتشفة ــ كما قدّمنا سابقا ــ كانت اهميتهـــا في أنها قدمت لنـــا مقاطع من الشعر ، وبعض السير وأعمال المؤلفـــين ، اكثر مما قدمت لنـــا اخبارا ذات صلة « بتاريخ » المسلمين في صقليـــة . الا ان تلك المعلومات تُكْمِل معرفتَنـــا بالثقافة العربية التي نَمَت وتطوّرت في الجزيرة منذ عهـــد الفتح ، واستمرَارها في العهـــد النورمندي ، ثـــم في العهد السوابي Svevi . وقـــد استفاد الباحث نفسه من هذه المـــواد في كتابه (الثقافة العربية في صقلية) ، الذي صدر منـــه الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف انـــه لم يكمل بعد بالجزاين الثانـــي والثالث اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحـــن نذكر هذا الكتاب ههنا لان في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حـــول الازمة الفاطمية في المغرب وصقلّية في القـــرن العاشر .

في أعمـــال فرانشيسكو غبريلي ، ومارتينو ماريو مورينو ، واومبرتو ريتستانو المتقدم ذكرها ــ وكلّهـــا تستلهم آثـــار ميكيلي اماري ــ يعيش المـــرء من جديد مع لحظات بارزة من أحداث امتدت ــ من الوجهـــة

---

(١) الكتـــاب كاملا حققه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ، سنة ١٩٧٥ (ع . ن .) .

التاريخية الصرف ـ مدة اقل من قرنين ونصف القرن ، غير ان آثارها ، في جوانب اخرى ، استمرّت في صقلّية الى عهد فريدريك الثاني ، وفي ايطاليا الجنوبية كانت نهايتها الحاسمة على يدي الملك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربية في لوشيرا ، واضطرّ العناصر الاسلامية الباقية في صقلّية الى الهجرة . والوثيقة العربية الوحيدة التي وصلت الينا حول هذه الحادثة هي (تسجيل العرب ـ لريكّاردو دي لوشيرا) وقد نشرها ليفي ديلا فيدا بعد ان قام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليها .

واما صقلية النورمندية والسوابية في صلاتها بالعالم الإسلامي في افريقيا وآسيا ، وكذلك انماط حياتها المتعدّدة وفكرها العربي الذي استمر في ذلك العهد ، فنجد صورة لها في سلسلة من الابحاث التاريخية والثقافية التي كتبها فرانشيسكو غبرييلي ، واومبرتو ريتستانو : الاول منهما نذكر له (سفارات بيبرس ومانفريدي) ، ويليه حالا لاومبرتو ريتستانو مقالان باللغة العربية بعنوان (النورمنديون والعرب في صقلّية) ، وهما يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في افريقية ، وعلاقات غوليلم الثاني وصلاح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الايطالية الى هذين الباحثين بالاشراف على نشر أعمال ميكيلي اماري واوراقه . وكانت هذه المهمة تقتضيهما واجب العناية بالطبعة الثانية من (الدراسات القديمة) و (المكتبة العربية الصقلّية) نصوصاً وترجمات . واما النورمنديون الذين وطّا لهم الاميرال جورجيسو الانطاكي السيطرة على افريقية مدة عشر سنوات ، وكذلك الموحّدون ، وهم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينات المسيحية في افريقيا ، فنجِدُ حولهم اخبارا موثّقة في (تاريخ طرابلس وليبيا) لإيتّوري روسّي ؛ وسنعود الى ذكره في ما بعد . وحول الاسرة الملكية المذكورة ، ولا سيما اخبارها التي وصلت الينا من المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي ، كتب فرانشيسكو غبرييلي (اصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي) . وتعود بنا الذكريات الى

الاحداث التاريخية في صقليـــة في عهد الكلبيّين ، والعهد النورمندي خاصة في كتاب (باليرمو حســـب الجغرافيين والرحالين العــرب في القرون الوسطى) للسيدة ادالجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحــث رسالة تَدَّمَتْها لنَيْــل شهادة الدكتوراة الى كلية الآداب في جامعـــة باليرمو ، حيث يقترن تعليم اللغـــة العربية في وقت واحـــد بالدراسات العربيـــة الصقلّيـــة .

وبعـــد وقفتنـــا القصيرة هذه عند صقلّية ، نلتفت الآن الـــى شبه جزيرتنا ، فنتذكر أن الغزوات العربية المتعددة للبَـــرّ الايطالي ، قد تحدَّث حولها اومبرتو ريتستانو في بحثه (العـــرب في ايطاليا) . وقد خَصَّص القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح صقلّيـــة . وكذلك فرانشيسكو غبريلي في اكثر من بحث واحـــد ، ولا سيما في مثل دراستيه (العرب في كالابريا) و (مدينة باري العربية) ؛ وكذلك فـــي بحثين آخرين اكثر جدية واوسع إحاطة من حيث الزمن والرقعـــة ، وهمـــا : (سالنتو والشرق العربي) و (العرب في اوروبـــا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا) ؛ وهذا الاخير فصل من كتاب للمؤلف عنوانه (محمـــد والفتوح العربيـــة الكبيرة) .

وحـــول وجود العرب المشار اليه آنفـــا في الاراضي الايطالية الوسطى والجنوبية ، واعمالهـــم الحربية المتواصلة ، الى حدّ ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، اضيفت الى جهـــود المستعربين جهود أخرى قيّمة ، في الغالب ، مـــن بعض المعنيين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي أن نحـــدد ان جهود هؤلاء قد عُنِيت باعادة بنـــاء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقهـــا من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هـــذه الأعمال اقرب الى الصحّة في ما يتعلّق بالفئـــة الاولى ، لان المصادر اللاتينية ، رغم ما فيهـــا من نقص وعـــدم دقـــة من حيث صحة الوقائع ، كانت اقـــل توزُّعا وتشتُّتا من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجـــد في الغالب اثرا لاعمال العرب فـــي البَـــرّ الايطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية ــ ويندر ان نجـــد

في المصادر العربية ما يطابقها او يكملها — استطاع ج . موسكا ، العالم بتاريخ العصور الوسطى ، ان يعيد بناء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولة اسلامية مستقلة ، وإن يكن قد اعطانا تقييمات غير تلك التي ألِفْناها . وقد استطاع ان يصوِّر فيما بعد غروب تلك الدولة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضح ان وجود العرب في صقلّية وفي ايطاليا ، وعلى الاخص في سالنتو ، قد اشار اليه مؤرخون من امثال ل . سلفاتوريللي ، و م . سكيبسا ، و ج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتيري ، و ن . تشيلينتي ، و ج . بيتروني ، وغيرهم ممّن نجد ذكرا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوبا براي مدروس حول قيمتها في ما يتعلّق بمدينة باري .

ان الغزوات العربية لشواطىء البحر التيريني الايطالية تُدْخِل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إمّا من افريقية ، وإمّا من جُزُر الباليار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهمكتين دائما في صدّ هذه الغزوات . ولقد قامت منذ نحو قرن من الزمان محاولةٌ لاعادة بناء وقائع هذه الغزوات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذي قام بذلك هو ب . مارتيني ، الذي « اعمَتْه الغيرة الوطنية — كما يقول اماري — فلم يفطن الى ما يحوم من شكوك حول اصالة الوثائق التي استند اليها في بحثه » . وبعد أكثر من مئة سنة من ظهور ذلك البحث الذي لا قيمة له ، قامت السيدة كليليا سارنيللي باعطاء صورة وافية لتلك الفترة التي كانت فيها سردينيا تحت تهديد مباشر من اسطول مجاهد العامري الجبّار . وقد فعلت ذلك في فصل رائع التبويب من الدراسة المذكورة آنفا ، والتي ظلّت ، مع الاسف ، بعيدة عن متناول علماء العصور الوسطي . وقد قُدِّمت هذه الدراسة الى كلية الآداب في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير ، ثم قامت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفا . وفي موضوع سردينيا عينه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر أيضا بحث للسيدة لاورا ڤيتشا ڤاليري ،

استاذة كليليا سارنيللي ، كانما كـــان الدافع اليه دعـــم تلميذتها في مجال بحثها عينه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا (العربيـــة) في بحث بالفرنسية عنوانه (آثـــار عربية في سردينيا) ، يرى فيه المؤلـــف جوفانّي اومان انـــه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلـــك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتيجـــة حُفْريّات منظمة فـــي مناطق معينة . اما المـــواد القليلة التي يضمّها متحف كالياري فليســـت كافية لأي اثبـــات .

• • •

الحـــروب الصليبيـــة :

وعهـــد الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيـــه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والآسيوية ، حيث كانت جذور الاســـلام متأصلة اكثر من سواهـــا ؛ لقد تعدّدت بحوث علمـــاء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكـــر من احدثها : (تاريخ الحروب الصليبية) للمؤلف ف . كونياسّو . وامـــا المستعرب الاول والاخير حتـــى الآن الذى التفت الى المصـــادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعـــين الخصم حينذاك ونفسيته ، فهو ايضا فرانشيسكو غبرييلي ؛ فقـــد اكتشف مجموعة من المختارات البارعة لاشهر مُدَوِّني الاحداث العـــرب ، ممن نَقَلوا الينـــا اخبارًا وانطباعات ، اغلبُها ذو اهميّة تاريخية كبرى ؛ وقـــام بترجمتها الى اللغـــة الايطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة المكثّفة وُلِدَ كتاب (مؤرخو الحروب الصليبية العرب) ، الذي يستحق عليه غبرييلي اعظم الثناء لدقّتـــه اللغوية ، وفخامة عبارته النثرية . وبهذا الكتاب فَعَل المؤلـــف ما كان قد فعله قبل عـــدة اعوام حينما نَشَر كتابه (فرسان القديس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العـــرب) ، اذ اتاح للزملاء من غـــير المستعربين فرصة الوصول الى اكثر المصـــادر اصالةً في (الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية) ـــ وكان هـــذا عينه موضوع مقال لاحِقٍ لـــه ـــ وإن لم يكن السرد متتابعا في الدراســة ، فلقد كان غريبا في الاغلب على المؤرخين ومدونـــي الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الادنى عينها ، حيث كان يتأجّج العداءُ بين المسيحيين والمسلمين ، يُدْخُل بحثُ (العالَم الاسلامي في زمن فريدريك الثاني) ، وهو بحث كتبه ليڤي ديلا ڤيدا ، مركّزا فيه بشكل خاص على لمحة سريعة من سلسلة الاتصالات والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا افضل أوقاتهم فعلا مع ذلك الامبراطور السوابي .

• • •

عهد الركود :

والعهد الذي يأتي مباشرة بعد سقوط خلافة بغداد عام ١٢٥٨ ، يسجّل بداية ركود بطيء، ولكنه مستمر، في العالم العربي . ويزداد الركود — أو الانحطاط — تأكدا منذ بداية القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط الشرقي والاوسط . منذ ذلك النصف من القرن الثالث عشر كان المماليك اهمّ صُنّاع التاريخ الاسلامي واستمرارِ العروبة مُدَّةَ قرنين ونصف القرن . وظلّت مصر مُرْكَز الاسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهد الفاطميّ والعهد الايوبيّ الذي جاء بعده . والجهد الايطالي الوحيد لمعرفة البروتوكول الجافّ والمعقد الذي كان سائدا في ادارة الحكم المملوكي ، هو بحثٌ بعنوان (مرسوم تعيين الى نيابة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان المملوكي خُشْقَدَم ، ١٤٦١ — ١٤٦٧) ، وفيه نَشَرَتْ المستعربةُ الشابة ريتا روزي دي ميليو الوثيقة العربية ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحي . واكثرُ من ذلك كانت الابحاثُ المتعلقة بعلاقات سلاطين المماليك مع بعض المدن البحرية الايطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هذه العلاقات ، قبل ان تقوم في شرقيّ البحر المتوسط اكبر دولة معادية لهم ، هي الدولة التركية ، قد نُمّت علاقاتٍ تبادلٍ تجاري واسع مع من سبقهم في السيادة على ذلك البحر . وأما العلاقات مع البندقية — وقد عَرَض لها غبرييلي بنظرة شمولية في مقال له بعنوان (البندقية والمماليك) — فان الكشف الذي قامت به ماريا نَلّينو على (مذكرات مارين سانودو) سيكون عونا ثمينا لمعرفتها . واهمية هذه المذكرات

هي في كونها وثائق تعكس العلاقات وغيرُها ممّا سبقها . وقد كشفت ذلك ماريا نلّلينو في بحثها (مصر منذ وفاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ — ١٥٠٥ — في مذكرات مارين سانودو) . وكانت للدوقيّات مصالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بدا في افريقية حكم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث ا . سانتشردوتي حديثا واسعا في بحث له عنوانه (البندقية ومملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية — ١٢٣١ — ١٥٣٤) . وسنعود فيما بعد الى ذكر اسم هذا الباحث من جديد .

ان الاشارة الى العثمانيين باعتبارهم قوة جديدة في البحر المتوسط تقودنا الى ذكر كتاب (فخر الدين الثاني ، أمير لبنان ، والبلاط التوسكاني ، ١٦٠٥ — ١٦٣٥) ، وهو جزآن نفيسان قدّم فيهما ب . باولو صورة موثّقة اوسع توثيق لجميع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطلَها ذلك الاميرُ الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة اخرى بلاط الغراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو ان حكّام البندقية والاتراك معًا يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانيين على السيادة في الشرق ، مثلما كان يثير الاتراك ان يجد ذلك الاميرُ المغامر في صِلاته ببلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . واما مصر العثمانية فيعيدنا اليها مقال بعنوان (تاريخ علي بك المصري ، ١٧٦٣ — ١٧٧٣ — في مخطوط للمؤلف ج . م . ديجون) يوضح فيه إيتّوري روسّي ، استنادا الى مصدر نفيس غير منشور ، حياةَ ذلك الرجل المغامر ومنجزاته الثوريّة ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مدى عشر سنوات ، محاولا فصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستفيدا في مطامحه تلك من الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيا .

• • •

في البحـــر المتوسط :

جـــاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأخر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحــد مع تأليف الحكومات البربرية فــي المغرب . وقد اهتــم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه ابحاثا واسعة . واحدى الوثائق التي لا شــك في اهميتها ، والتي يمكن ان تُطْلِعُنا على أعمـــال القرصنة المريعة التي جُرت في اوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائــر وتونس ، قدَّمــه الى دوق البندقيّة ج . ب . سلفاغو ــ وكان هذا كاثوليكــيّ المذهب ، تركيّ التبعية ، وكان قد أُرسِل في مهمّــةٍ خاصة الى تينــك المدينتــين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتــمّ بنشر تلك الوثيقة ا . سانشردوتي في كتاب لــه عنوانه (افريقية ، او بلاد البربر) يُعْتَبر جهدا نفيســا يساعد على معرفة تلك الفتــرة التاريخية الحاسمة التي تقــلّ فيهــا الاخبار . امــا الاعادة الكاملة لبنـــاء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحــر يعجّ بالرعب القاتل الذي زرعه القراصنــة ، والمتاجرون بالعبيد ، فقد عني بهـــا س . بونو ، مؤلف كتاب (القراصنة والبربر) . في هذا الكتـــاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجــد دراسة دقيقة لتلك الاحداث التي تُعْتَبر بين اشرس الاحداث في تاريـــخ الانسانيــــة .

والـــى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصــر الحديث ، سرعان ما تنبَّـــهَ الاهتمامُ التاريخي لدى المستشرق إيتّوري روسّي ؛ وكان هذا من كبـــار المعنيّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك اكثر من سواه على ان يُعْنَى باللقاء الذي تــمّ بين عالميْن مختلفين في ذلك البحــر ، ليقوم بدراسة بعض احداثه استنادا الــى وثائق مزدوجة . ومن أبرز الادلـــة على ذلك مؤلفاتُه النفيسة التاليــة : (حكــم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ ــ ٥١) و (صلات جمعيــة الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقــة ، ١٥٥١ ــ ٩٨) و (المراسلات بين كبـــار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطــة وبايات

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨) و (والصلات بين كبار معلمي جمعية مالطة وبايات تونس ، من ١٦٤٢ الى ١٧٥٦) — الكتابان الاولان منهما اسبق من سواهما ، وهما من اوسع مؤلفات روسّي حول طرابلس الغرب واراضيه ، التي سنشير اليها فيما بعد .

في السجلات الحكومية في المدن الايطالية التي كانت لها ، لاسباب مختلفة ولا سيما الاسباب التجارية ، صِلاتٌ مع بعض البلدان العربية في المشرق او في المغرب ، وقد نجد وثيقة هنا واخرى هناك ، تلقي ضوءًا على تلك الصلات . ومن ذلك مجموعة من الرسائل نشرتها ماريّا نلّلينو باصلها العربي وترجمتها الايطالية ، وقدّمت لها بمقدمة تاريخية ، وعلّقت عليها تعليقاتٍ وملاحظاتٍ واسعةً في بحث لها عنوانه (وثائق عربية حول العلاقات بين جنوا ومراكش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) . ويبدو ان هناك كثيرا من الوثائق المأخوذة عن السجلات بلُغاتٍ مختلفة ، غير اللغة العربية ، استفاد منها بعض الباحثين الايطاليين ، ممن لم يكونوا دائما من المستعربين ، في اعمالهم الرامية الى معرفة العلاقات بين الحكومات الايطالية قبل الوحدة ، والدول البربرية في الجزائر وتونس وطرابلس الغرب . وفي هذا الصدد ، ودون الاقتصار على تونس وحدها ، كما اشرنا سابقا ، قدم لنا س . بونو مقارنات واسعة في بحثه (مصادر ووثائق ايطالية في تاريخ تونس) . والاهتمام المتجدد الذي نَوَدّ ان نشير اليه ههنا ، والذي تثيره تلك العلاقات التي ترجع الى عهود متأخرة عن تلك التي ذكرناها آنفا ، بدأ بمقال للسيده لاورا ميتشا ماليري — اذا لم تخُنّا الذاكرة — عنوانه (وثائق ماتيكانية تتعلّق بالجزائر — ١٨٢٥ — ١٨٣٠) تَلته بعد مدة قصيرة دراسة حول العلاقات بين (الكرسيّ الرسوليّ والبربر ، ١٨١٤ — ١٨١٩) . وقد اضيف اليه بعد بضع سنوات بحث بعنوان (علاقات غراندوقيّة توسكانا مع دولة تونس ، ١٨١٨ — ١٨٢٣) ، كتبه ا . ريجّيو ، وكذلك (سردينيا ودول البربر ، من ١٧٩٤ الى ١٨١٥) للمؤلف اي . بوسّي ، ثم (علاقات اسبانيا وسردينيا مع دول البلدان البربرية — ١٧٧٨ — ١٧٨٣) له ايضا .

وعلى الرغم من انه ليس من قصدنا ان نمضي في تدوين جهود الباحثين الايطاليين الرامية الى معرفة تلك العلاقات مع دول البربر ، فانه يبدو واجبًا علينا ان نُذكر ان كثيرا من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاموا بأبحاث في هذا الحقل ، مستندين في الغالب الى اكتشافات واسعة لوثائق مستَمَدّة من السجلاّت . ومن هؤلاء الباحثين نذكر : ج . كابوفين — و ج . ميدوشانو — و ر . تشيسّي — و ا . غالّيكو ؛ كما نذكر ، بالنسبة الى ايطاليا الجنوبية وصقلّية في نطاق السياسة في عالم البحر المتوسط : ج . لامانتيا — و ج . مونتي — و تشي تراسّيلّي — و ف . جونتا . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنا من قصد غير الاشارة الى الاتجاهات ، وكذلك المواقع المتعلّقة بجزء من كتابة التاريخ الايطالية خلال الاعوام الخمسين الأخيرة بالنسبة الى تاريخ البحر المتوسط .

• • •

القرن التاسع عشر :

بالقرن التاسع عشر — وهو نقطة الوصول ، بالنسبة الى هذه المراجعة السريعة-تنتهي فترة الركود ، أو الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبدأ بعد ذلك فترة التحرّر التدريجي من السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤوليةً مباشِرة عن استنزاف المقدرة على التطوّر لدى شعوب الشرق الادنى ، والمغرب ، نتيجة للمناخ الاداري التركيّ المرهق الذي استمرّ اكثر من ثلاثة قرون . وفي هذه اليقظة يساهم الغرب بوجوده في مصر في نهاية القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت امام العرب مثالياتٍ تختلف كلّ الاختلاف عمّا عرفوه في الماضي القريب الجديب ، وتدفعهم الى الاخذ باسباب الوعي القومي ، تمهيدا لقيام الحركات الثائرة ابتداء من الحرب العالمية الاولى . وكان بعض البلدان العربية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، قد اتّجه الى الخروج من الحكم العثماني الذي استمر اكثر من ثلاثة قرون ، ليصل الى استرداد بعض ملامحه القومية الاصيلة . ولذلك نرى من

الانسب والانفع من جميع الوجـــوه ختام القسم الاخير من هذه المراجعة ، مكتفين بذكر جهـــود الايطاليين العلمية في بعض الحقول الفرديـــة .

مــن السهل الحدس ان الفرنسيين قد ساهموا مساهمة جليلـــة في كتابه تاريخ البلدان المغربيـــة المختلفة،منذ عهد الفتح العربـــي حتى الاحداث السياسية المعقدة التي انتهت هنالـــك بالاستعمار الفرنســـي للجزائـــر وتونس ، والاستعمار الفرنسي والاسباني للمغرب . وامـــا جهود الباحثين الايطاليين فيما يتعلّق بتاريخ المغـــرب ، وعلى الاخص في الوضع الاداريّ في تلـــك المناطق الثلاث (الفرنسية ، والاسبانيـــة ، والدولية) فنذكر منهـــا ، للأهمية ، كتاب (تقسيم مراكش ــ احداثهـــا السياسية والدبلوماسية) للباحث س . نافـــا ــ ولو ان هذا الكتاب ينتمي بشكل خاص الـــى القرن العشرين ، وليس من اختصاص هـــذه الدراسة ــ وامـــا في التاريخ الحديث ، او على الاصح في فترة تاريخيّة محددة منه ، فنذكر (اسبانيا والمغرب ، ١٨٤٤ ــ ١٩١٢) للباحث أ . فيستا ؛ وكذلك كتاب (وجها المغرب) للمؤرخ م . جامبيرو ، وهـــو اكثر تحديدا . وحول الجزائر ــ والذي لدينا عنها قليل ــ نذكر (الحرب الجزائرية التونسية عـــام ١٨٠٧ ، في مذكرات دبلوماسي هولنـــدي) . وهناك كتاب آخـــر شامل هو (تاريخ الجزائر للمؤرخ ر . راينيرو ، الذي اولى اهتمامه ايضا للحركة الوطنية الجزائرية . وامـــا التزامات فرنسا في شمالي افريقيا فقد خصص لهـــا ف . دي لويجي كتابا . وامـــا الاستعمار الفرنسي لافريقيا الشمالية ، والتدخّلات ذات الطابـــع الدبلوماسي ، التي سبقتها ورافقتها وتلتهـــا مؤسسات سياسية واجتماعية ودينيـــة في كل البلدان الاربعة (الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا) ، والتغيّرات التي جرت على اثـــر اتصالها بالغرب ، فاننا نجـــد لها كلّها تصويرا وافيا في كتابين قيّمين للمؤرخ اي . دي ليوني . وقـــد استفاد المؤلف الى حـــد كبير ــ فيما يتعلق بمراكش خاصة ــ ومن وثائـــق جديدة عُثر عليها في السجلات الحكومية في جنـــوا ، وليفورنو ، ونابولي ، وتورينو . وهـــذا الباحث عينه كان من قبل قد وضع كتابـــا حـــول

(سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية) ، ومقالا حول (مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر) . واكثرُ عددا مما تقدم كانت كتاباتُ الباحثين الايطاليين حول تونس .وكان بعضهم مدفوعا بعامل « المدافعة » عن ازمنة اخرى ، فلم يكن من الممكن تقييم اعمالهم هذه تقييما مجردا . وكان بعضهم الآخر يتميّز بالاتزان المرموق ، لتجرُّدهم عن التعصّب « للقضيّة الايطالية » التي طُرِحَت خلال الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقيّ ان يكون القُطْرُ المغربي الذي ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرّخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتح العربي (٦٤٢) الى الاحتلال الايطالي (١٩١١) ترك لنا ايتّوري روسّي عملا رائعا لاعادة بناء هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ، ولم يُنْشَر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط (١) . وهو أوفى كتاب وادقّه في هذا الموضوع — وهو في القسم الحديث منه يقوم بديلا عن كتاب (طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠) للكاهن الفرنسيسكاني الاب كوستانتسو دابيرنيا ، ويضيف اليه تحسينات قيمة — وقد استند في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة نقديّة واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلّات غير منشورة . فجاء كل فصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وافيا مُشْبَعًا ، وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يُعْنَ بالتعميمات ، بل اعتَمَدَ دائما اعتمادا دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتّوري روسّي معلِّمًا لهم — كما عَرَفَه كاتبُ هذه المراجعة — يشهدون شهادة امينة بعدائه لكلّ شكل من اشكال الحلول الوُسطى بين البحث العلمي الجادّ والهواية الارتجالية .

---

(١) قام الاديب الليبي خليفة التليسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في بيروت ، سنة ١٩٧٤ (ع . ن .) .

ان الاشارة الى المصــادر العربية التي استُمِدَّ منها الباحث المذكور مـــوادّه الاولية لتاريخ ليبيـــا هذا ، ولعدد آخر من الابحاث ، يحدونا الى ان نذكر — حتى قبل هـــذه الابحاث — ترجمته الدقيقة لكتـــاب (تاريخ الوقائع العربية الليبيـــة ، لابن غلبون) وما عُلِّقه عليه مـــن هوامش وملاحظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصـــادر العربية الاخرى لتاريخ ليبيـــا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٣٢ ، بـــل باشتماله ايضا على اخبـــار لا توجد في سواه ، حول الحياة الفكريـــة المحلّيّة ، ابتـــداءً من الحكم العثماني . ونرى من لغـــو القول تاكيد اهمية الخدمة التي قدمهـــا روسّي للباحثين من غير المستعربين في تاريـــخ ليبيـــا ؛ فقد كانت ترجمته للكتاب المذكور من اهـــم المراجع في تاريخ ليبيـــا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليبيـــا ، وهي تؤلف حقلا خاصا في انتاجه الضخم النفيس ، نشير كذلك الى كتاب لـــه حول (فُزّان وواحة غات) ، والى صورة سريعة مـــن (تاريخ ليبيا مـــن الفتح العربي الـــى سنة ١٩١١) حيث تعطينا لمحـــة موجزة ، حسنة الشرح ، حول ذلك التاريـــخ .

هنالـــك صَفٌّ كثيف من الباحثين الايطاليين الذين قرنوا اسماءهم بمشاركات في الموضوع عينـــه . ومن بين هؤلاء يجدر بنـــا ان نذكر كذلك ر . ميكاكّي ، الذي كَتَـــبَ بحثًا تاريخيًّا حول (طرابلس وليبيـــا قبل الاحتلال الايطالي) وكتاباً بعنوان (ليبيـــا تحت حكم آل قَرَمَنْلي) . وآل قرمنلي هـــم اسرة اهتم بها كذلك مِنْ بَعْدِهِ الاب كوستانتسو بيرنيـــا ، الذي تَقَدَّم ذكره . ولاجل وضع الكتاب المذكـــور ، استعان ميكاكّي — وكان موظفا كبيرا في الادارة الاستيطانيّة حينئـــذ — بموادّ وفيرة غير منشورة ، كانت متوافرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلّق بليبيـــا تحت حكـــم الاسرة القرمنلية (١٧١١ — ١٨٣٥) وقد جـــاد بوضعها تحت تصرفه ب . توسكي ، وكان قد وضع لهـــا كشفا غنيًّا بعنوان (المصـــادر غير المنشورة في تاريخ ليبيـــا) . وهناك اشارات اخرى الى الوثائـــق المحفوظة في السجلات الرسمية قَدَّمَها بعدئذ س . بونـــو . وهنالك

عـــدد كبير آخر كبير من المؤلفـــات حول تاريخ ليبيـــا نترك ذكرها للمقدّمة التي وضعها روسّـــي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولمـــا الحقه من اضافات ببليوغرافيّـــة بمختلف الفصول . واما ما لـــه صلةٌ مباشرة بالسنوسيّة ـــ وكانت هـــذه قد دَخَلتْ منذ منتصف القرن الماضي دخـــولا بارزا في الاحداث التاريخية في بُرْقَـــة وطرابلس ـــ فنتركها الى الاشارات الببليوغرافية التي تضمَّنَتْها كتاباتُ كارلـــو نَلّلينو ، والبيتّـــي حول هذه الجماعـــة الدينيـــة .

. . .

اسرة محمـــد علي :

ونأتـــي الآن الى محمـــد علي ، راس الاسرة التي حكمت مصر الى عـــام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان،بإجماع الآراء،معيدُ مجـــد مصر بعد سقوطها في اوائـــل القرن الماضي في حالـــة من الفوضى ، كانت الحملـــة النابوليونية قد خَفَّفتْ من حِدَّتها آنيّـــا فقط . لقد كانت جهود الباحثين الايطاليين حوله كبيرة ، غـــير ان القليل منها ذو قيمة حقيقية جديـــرة بالتقدير . ومن بينها جميعـــا تتميز اعمال ا . سَمّارْكو ، الذي عُهـــد اليه الملـــك فؤاد الاول بتكملة الوثائق الدبلوماسية الايطالية المتعلّقـــة بمُلْـــك محمد علي ، ودراستها ونشرها . وكـــان اي . غريفّيني قـــد بـــدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهـــو مستشرق متخصّص بالدراسات التركية ، كان قد استُدعِيَ الـــى القاهرة ليتولّى ادارة مكتبـــة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النفيسة غير المنشورة وُلِـــدَ القسمُ الأهمّ والأكثرُ اصالة من انتـــاج سَمّاركو التاريخيّ المتعلق بمصر الحديثة ، ومن ابرزها : (رحلة محمـــد علي الى السودان ، من اكتوبر ١٨٣٨ الـــى ١٥ مارس ١٨٣٩)،وكتاب (مملكة محمـــد علي في الوثائق الدبلوماسية الايطالية غير المنشورة) باجزائه الأحد عشر . لاجـــل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قـــام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الآلاف المحفوظة في السجلات الحكوميـــة في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبندقية ، وفيينّـــا ، مدقّقًا ومقارِنًا بينها ، ومستخلصا منها حقائـــق

وتقييمات تاريخية جديدة كل الجدَّة بالنسبة الى تلك التي كانت تتميَّز بهـا الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق الصالحـة .

ومن المؤسف ان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووفـاة الباحث بعدئذ ، كانا السبب في عدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجـزاء التي كانت متوقَّعَة لهذا الكتاب ، عـدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سَمّارْكو كذلك مؤلِّفـا للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي (موجـز تاريخ مصر) حول مُلْـك عباس ، وسعيد ، واسماعيل ؛ وكذلك المجلـد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبـدأ من أوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك (مُلْـك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الـى ١٨٧٥) باللغـة الفرنسية . وهذه كلّها اعمال انضجتها الدراسة الجاهدة للوثائـق المنشورة وغير المنشورة ، المتعلقة بالقرن التاسع عشر مـن التاريخ المصري .

وفي هـذا القرن نُجِدُ تمهيدات لِحِوارٍ مع أوروبـا ، كان قد بـدأ من قَبْلُ في زمن محمّـد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير مـن الاهتمام ، مما ساهم في وضـع مصر على رأس البلدان العربية ، في الحقل السياسيّ ، والسياسيّ الثقافيّ ، وبمحمد علي يُخْتَمُ كتابُ (تاسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الايطاليـة في نهضتها السياسية والمدنيـة — فجر النهضة المصرية — ١٧٦٠ — ١٨٤٠) ؛ وهو رؤيـة شاملة ورائعة قدّمها ا . فيرتسي . وكذلك كتاب (القضيّة المصرية من سنـة ١٧٩٨ الى ١٨٤١) تأليف تشي . جيليو ، المعروف بأبحاثه الاخرى فـي التاريخ والسياسة المتعلّقَين بالاستيطان ، او الاستعمار . ومن هـذه الفترة عينها انطلق باولـو منفانتي في كتابه (مصر الحديثة)، الـذي يمكن اعتباره واحـدا من اكمل الابحاث واحدثها في الاحداث التـي جرت في منطقة الدلتـا من القرن التاسع عشر الى ثـورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زُمْنِيّـا نقطة الانطلاق في الكتاب الآخر (مصر من احداث ١٨٨٢ الى ايامنـا هذه) بِجُزْايهِ ، للباحث ب . البيتي ؛ وقد عني فـي

هذين الجزاين عنايـــة جادة بتحديد وجـــه مصر خلال الاعوام الثمانـــين الاخيرة من تاريخهـــا . وانطلاقا من مقدرة المؤلــف الفريدة ، وتحليلاته الدقيقة ؛ وبحثه الجـــادّ ، استطاع — وهو موظف كبـــير في وزارة الخارجية الايطالية — ان يكمل كتابه في عـــدة سنين ، كما يبدو مـــن مقالاته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول ازمنـــة معيّنة من تاريخ مصر الحديثـــــة .

ويمكننـــا ان نذكر بين المصادر التاريخيـــة ذات الاهمية القليلة او الكثيرة ، اضافةً الى كتيّب للباحث او . توسكي ، اعمالا ايطاليـــة عديدة تساهم في معرفـــة تاريخ مصر بين قرنين . وقد اغفلنا الاشارة اليها لان مؤلفات منغانتي قـــد اشارت الى اهمّها في ثنايا الفصـــول .

قنـــاة السويـــس :

وقنـــــاة السويس ، التي ولدت في القرن التاســـع عشـــر باهتمـــام دُوليّ ومصالح مشتركة ، وبمباركة الجميـــع ، ولـــم تلبث ان اصبحت مثار جدل محتدم على اثـــر تأميم عبد الناصر لهـــا في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كَثُرَتْ حولها الابحاث والدراسات والمقـــالات ، ليس فقط مِن قِبَل المؤلفين الذين سَبَق ذكرهم ، بـــل مِن قِبَل كثيريـــن آخرين وقفوا العديد من المقـــالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكـــي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميـــع الظروف التاريخية الماضية والحديثة التي كان فيها ذلك الممـــرّ المائي ذا دور حاسم من حيث النقـــل العسكري ، كانت تبـــدو مناسبات تُفْرِض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكمـــا ان الحرب الايطاليّة الحبشيـــة، عـــام ١٩٣٥،اوحت الى سَمَّارْكو بان يكتب مقالـــه (الحقيقة حـــول قنـــاة السويس) ، وعنوانه يرينا نيّـــةً سابقة مبرمَجة لدى المـــؤرخ لالقاء الضوء على قضايـــا ذات اهمية رئيسية ، كذلك اوحت الـــه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابـــه (السويس — تاريخ ومشكلـــة) . ولكنه في هذه المـــرة اراد ان يوضح لنـــا بعض الوجوه بشكل اوسع ،

واستنادا الى وثائق مصرية واوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان (قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية) للباحث ب . البيتّي ؛ وكتاب (السويس) وفيه أعادَ اي . انكيبري طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكمله باحدث المعلومات . والببليوغرافية الغنية التي يتضمّنها هذا الكتاب تُغنينا عن اية اشارة اخرى .

السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظُلَّ كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصري ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تَقرَّر منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبي نهر النيل ، ولم يكن اقلّ من قناة السويس اثارة للنزاع والفوضى بين حُكْمين متخالفين . وقد اضطر الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأُعْلِنَ الاستقلال رسميًّا في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سَمّارْكو ، ومنِغانتي ، والبيتّي ، في مؤلفاتهم المذكورة آنفا ، فصولا لهذه القضية ، فأوضحوا ببراعة فائقة الوجوه البارزة المختلفة ، واصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيبري ، و او . توسكي بتحليل احداث الامس واليوم في مصر : الاول فعل ذلك بكتابه (تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ — ١٩٣٨) والثاني في صورة سريعة للقضية اجملها في كتيّب يؤلف مع كتابه السابق حول مصر لوحة عضوية ذات وجهين . واوسع من ذلك كتابٌ وَضَعَهُ ا . ميلّيني بونشه دي ليون ، عنوانه (تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه — السودان الانجلو مصري) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جدًّا ، وبالتالي بين اوفاها واشملها ، ولكنه يخلو من اية اشارة الى الوضع الذي انتهى اليه البلد حالا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتدم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

ختـــام :

بهـذه الاشارة الى اهـم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهايـة القرن التاسع عشر ، التي اوضَحتْها ايضـا ايضاحا كافيا الفصولُ الاخيرة من الابحـاث التاريخية العامةْ والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهـمّ الجهود الايطالية في حقـل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة . وقـد لا يكون الحصاد وافرا في بعض الحقول ، ولكنه وافـر فعلا في حقول اخرى . وقـد جمعناه مما عُنيَ بتاليفه المستعربون ؛ وهـم ذوو فضل في انهم كثيرا ما هيأوا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشَرةً الـى المعلومات ، او بالأحرى قَدَّموا لهـم المَثَلَ في التخصُّص المِهْنـي ، والانقطاع الى دراسة عالَـم ظَلَّت البحوثُ الخاصةُ بمسيرته التاريخية زمنـا طويلا تُعْتَبَر هامشيّةً بالنسبة الى تاريـخ الانسانية الأكبر ، ولكنه اليوم ـ اخيرًا ـ لم يَعُـدْ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصـة .

مَع الكتب

رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي (1)

مراجعة : الدكتور محمد رضوان الداية

(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

— ١ —

بعد اضطراب احوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كَثُرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء الذين قصدوا الى المشرق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو اندلسي من قلعة يَحْصُب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحِّدين ، ثم انضم الى ابن هود في مدة سطوته على قسم من الاندلس (٦٢١ — ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها اديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا من المصَنَّفات ، طُبِع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد اطرف ابن سعيد (الاندلسي) اهل المشرق بطُرَف من اخبار بلاده ، وبتراجم ادبائها ورجالها ، واشاع بينهم الوانا من اشعارهم وموشحاتهم وازجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحقّ رسولا من رسل الثقافة الاندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى الطُرَف الاندلسية والمغربية .

ومن اشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » ، و « الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

(١) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْقِص والمُطْرِب » المطبوع باسـم : « عنوان المرقصات والمطربات » . وفي كتبـه ايضا : « رايات المبرّزين وغايات المميزين » الذي نعرض اليوم لـه ، ولتحقيقه .

وكتـاب الرايـات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيـه المؤلـف اساسا على كتابه الآخر : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » . وقـد قسمه الى ثلاثة اقسـام .

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسـام داخلية ،(غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقهـا) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغـرب ،وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا ، (المغرب الاقصى ــ المغرب الاوسط ــ المغرب الادنى « افريقيـة ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صِقِلِّيَـة .

ويقـوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات **والمطربات** » : من التفريق بين انـواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معـين ...

فهـو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد فـي الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قـال في مقدمة " الرايات (ص ٣١) : هـذا مجموع اوردت فيه من غرائب شعـراء المغـرب ما كان معناه ارق من النسيم ، ولفظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرفّ على نداه ريحان القلوب ، وتتعلّق الاسماع بمعاده تَعلّق عـين المحبّ بطلعة المحبوب ... وحقّ لـه ذلك إذْ قُمُصُ الفاظه مفصّلـة على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيـه ؛ **واشترطتُ** مـع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسْبَقوا الى معناه ، او استحقّوه بزيـادة او حسن عبارة ، أبْرَزْتُه بعد تجويده في حـلاه .. » .

وهـو سفر لطيف الحجم،يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ مـن المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلـف ثلاث صفحات .

امــا مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلــو من تصحيف وتحريف هنــا وهناك ، غير ان خطها نسخي جميل مجــوَّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هــي الطبعة الاولى ، فقد سبق ان حققه المستشرق الاسباني البحّاثة القدير غارثيًا غومس، في مدريــد، سنة ١٩٤٢ ، ثــم نهض بعبء نشره ثانية الدكتور النعمان القاضــي ـــي القاهــرة .

وقَــدَّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبيًّا (نحــو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهارسه وملاحقتــه . وهي مقدّمة يُسْتَغْنى عن كثير مما فيها، كما سأُبَــيِّن .

والامــر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا ان يُعرِّف المحقــق بمؤلــف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وان يتحدث عــن مضمون الكتاب ومنهجــه ، ومصادر المؤلــف ومراجعه ؛ ولــه إنْ شاء ان يُقَوِّمه ويضعه في مكانــه من الكتب المماثلة ، إن وُجِدَت ، ومــا اشبه ذلك ...

ولكــن المحقِّق زَحَمَ المقدمة وطَوَّلها بموضوعات من نافل القول ، واضطر ـــ وقد جَــرَّ الكلامُ بعضَه بعضا ـــ الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا اندلسية مــا زالت مدار بحث ، لم يُقْطَع فيهــا المتخصصون انفسهم ، ووقع في اخطــاء تاريخية وادبية كثــيرة !

وتــدور مقدمةُ المحقِّق حول ثلاثــة امــور :

١ ـــ الحديث عن وحدة الفكــر العربي على مــرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالمشرق . وقــد اضطرب المحقِّق في هذه العلاقــــة وتحديدهــــا .

٢ ـــ الدفــاع عن الحضارة الاندلسية ، والاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجــده في شــعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذي ظهر في الغرب !!

٣ ــ الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيّا غومس) .

ولم يوفّر حماسته البالغة حين وصف المحقِّقَ السابقَ (١) لنص رايات المبرزين بالعُجمة (عجمة المحقِّق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوِّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هنة من هنوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنَعدّ لك منها اشياء .

— ٢ —

من احكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرّره جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه **كلَّها** من آثار المشرق . (صفحة ٨). ومعلوم أن في العقد نُبَذًا اندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِقِلّيَة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر اوروبة !! (صفحة ٦)، وقوله ان ابن شُهَيد تاثر ابا العلاء المعري (صفحة ٩)؛ وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمُّق في الخيالات دون المساس بالجوهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزْمان (صفحة ٩) علما بانه كان زجّال الاندلس ، اما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... واوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

---

(١) يظهر لي أن المحقق الدكتور القاضي لم يطّلع على كتاب (الشعر الاندلسي ــ بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطُبِعَه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد اساسا في هذا الكتاب على نصوص "رايات المبرّزين".

وانفــق قسما من المقدمة للحديث في نشاة الموشّحات ، ونصر راي الدكتــور شوقي ضيف الذي تبنّاه من القــول بالاصل المُشرقيّ للموشّحات ، علما بان كتــاب "الرايات" لا يذكر الموشّحات ولا يمرّ بها — عــدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! — .

وفي الجملــة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالمحقق ان يقتصد فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبَتّ فيهــا ، او في قضايا هي بحاجة الــى بحث موسّع لتتبين معالمهــا . .

— ٣ —

ونظــرا لكثرة الملاحظات التي سَجّلتُها على حواشي نسخَتي من الكتاب ، ساقتصر على نُبَــذ منها في ابواب متفرّقة من الحديــث ؛ وسأكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القســم الاول) فغايتي هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقّــق ، ومراجعة بعض القضايا . . .

واول ما ابدا بــه امرٌ هامّ يتعلّق باصول تحقيق النصوص ، وهــو الاخذ بالنص والتقيُّد بــه ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيــدة لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة او مرجح واضح ، ويُنَبَّــه الى ذلك في مواضعه ، كما يُنَبَّــه الى ذلك في خطــة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حالــه، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقــد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرج عن روايته الى رواية مصادر اخرى دون سبب او داعٍ الى ذلــك .

ا — في الصفحة ٤١ ، قــال ابن زهر الإشبيلي :

وموسَّدِينَ على الأكُفّ خُدودَهم قد غالَهُم ضوءُ الصباح وغالني

وهــذه رواية "النفح" و"الوفيات" ؛ اما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسَّدِينَ على الخُدودِ أكُفَّهــم قد غالهم ضوءُ الصباح وغالني

ومن العجب مخالفة النص في هذا المجال .

ب — في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المسافر" :

ايمنيك الشتراء عين ثرة   منها ترقرق دمعك المسفوح
شترت فقلنا زورق في لجة   مالت باحدى جانبيه الريح

ورواية المخطوطة :

" مالت فقلنا زورق .. " الخ . فخالف النص الى سواه ، وكان حقه أن يرجع الى "زاد المسافر" صفحة ٩٣ حيث روى صفوان الابيات لنفسه !

ج — في الصفحة ٤٦ من شعر ابي الصلت امية بن عبد العزيز :

قال حسودي وقد رآه   يخب تحتي الى القتال

والبيت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قال حسودي وقد رآه   يجنب خلفي الى القتال

فبدله مفضلا رواية "النفح" على رواية النص الاصلي و"الخريدة" معا !

د — في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابي الصلت :

لا غرو أن سبقت يداك مدائحي   وتدفقت جدواك ملء إنائها

ورواية النص : لا غرو أن سبقت علاك مدائحي ...

هـ — في الصفحة ٤٧ : وقال في فرس اصفر . وفي الاصل المخطوط : في فرس اكحل !

و — في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايل القصب بمر الهواء على مجلس الشراب حتى لثم رؤوسهم ، وقال للساقي :

أسهمته من اكوابنا ولو أنه   سكران يطفح ، حق ما لثم الرؤوس

ورواية المخطوطة :

" أَلِمْـهُ مِن اكوابنا .." الخ . فبدّلها المحقق ، وضيّعه ان الناسخ أوردها (أَبْلَتْهِ) فلم يهتـدِ الى تصحيفه ، وبدّل الكلمة برواية المغرب .

ز — في الصفحـة ٧٧ :

وإذا نظرتَ الى محاسن وجهه   ابصرتَ وجهك في ثَنـاه غريقا

أوردهـا (ثنـاه) اجتهادا . وترك روايـة الاصل وهـي (أبصرت وجهك في سِناه غريقا) . والابيات مشهورة جـدا لابن عبد ربـه وتتردد في تراجمـه .

. . .

ويُلْحَـق بهذه الفترة خطـأ المحقق في قراءة بعض الكلمـات . وكثيرا ما تجـده يلتمس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنـه قـرا النص على وجهه لاستقام لـه واتّضح . في الصفحة ٣١ قال ان الكلمة فـي المخطوطة (إذن) وحوَّلها الى (آذن) . وهـي في الاصل مهملة من الهمز ! وفي الصفحة ٣٨ قـرا (زِدْتك) و (زاد) وحوَّلها الـى : زُرْتك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكنـه خفي على المحقق قاعدة كتابـة الخـطّ النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قـرا العبارة (قلتُ بـه) وصوَّبها الى (قلتُ إيـه) وهي كذلك في الاصـل . وفي الصفحة ٤٧ قـرا العبارة (وقرَّ بـه) واثبتها : فَقَرَّ بـه ، وهي كذلك في الاصل .. الـخ .

وممّـا اخطأ في قراءته واثبَتَه على خطئـه قوله، صفحة ٤٦: "وانشد صاحب الخريدة لأُمَيَّة بن عبد العزيز في (مجمرة طبيب) هكذا ، وصوابها في مجمرة (طِيّب) ، وهي كذلك في المخطوطـة !

— ٤ —

وفي ضبط بعض البلدان وهـم او خطا . في الصفحة ٣٨ (رَنْدَه) بفتح الراء ، والصواب (رُنْدَه) بالضم . وفي صفحـة ٥١ : وقد قعدنا بالغروس على نهـر اشبيلية . والصواب : قعدنا بالعُروس (بالعين

المهمله) على نهـــر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٦٢) و (العَروس) من متنزَّهات اشبيليـــة .

وفي صفحـــة ٥٢ وردت (مدينة مُنّيش) مشدّدة النون ، ثـم اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنيش) . وفي المُغرب (مُنِيش) بنون مخفّفة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس واوروبة (قطعة من المسالك والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنْتيشـــة Mantesa بتـــاء زائدة . وكان يَحْسُن ان يوحِّد رسم الكلمة ويراجعها على المظـــانّ الجغرافيـــة الاندلسيـــة .

وفي الصفحة ٦١ قـــال: هي مدينة (يابْرَه) بياء ساكنة ، وصوابهـــا (يابُره) ببـــاء مضمومة .

وضبـــط مدينة شنترين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بأنه بلـــد بالاندلس !! والصواب انـــه،كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبـــط (صَقلّية) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وفـــي : ١٢٧ ضبط (مُكناسة) بضم الميم والصواب كسر الميـــم . . .

وتحدث في المقدّمة وفي الحواشي عن جزر (البليـــار) والعرب كانت تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابســـة .

ووَقَـــعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام أو التعريف بهـــم ، مما هو شاعر أو معروف . فهـــو ضبط (الخُشْني) بسكون الشين ، والصواب فتح الشين : صفحـــة (٤٠) .

وضبـــط غياث (صفحة ٥٣) غُيّاث على وزن شُدّاد !

وضبـــط ابن دُحْية (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دِحْية) بكســـر الـــدال .

وقـــال في نسب ابن حزم إنـــه (ابو محمد علي بن ابي عُمْرو بن حزم) والصواب (ابن ابي عُمَـــر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عُرِّف بابي بكر محمد ، وهـــو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو ابو بكر بن زُهـــر الاصغر ، وهو ابن عم الاكبر ... » . فاخطا في تعيين ابناء زُهر الثلاثة . والصواب ان المترجَـــم في الصفحة ٤٣ واحـــد من اسرة بني زُهر ، امـــا الآخران فاحدهما ابـــن زُهر الحفيد ابـــو بكر محمد بن عبد الملـــك (ت٥٩٥) والثاني جَدُّه ابـــو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقـــل ابن سعيد خبرا عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعلّق المحقق في الحاشية (٤) : « هـــو غير الاعلم البطليوسي صاحب التاليف المشهورة : .. الـــخ » . وهذا وهـــم . وهو يريد : الاعلم البطليوسي غير الاعلـــم الشنتمري (ت ٤٧٦) صاحب التآليف المشهورة .. (هـــذا في الصفحة ٤٨) .

وعَرَّف باحـــد الأُدباء الصقلّيّين فقال : (ابـــو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشر ، الكاتب الصقلّي) ، والصواب انـــه الشاعر الكاتب ، ولـــه ديوان طُبِع مرَّتين !!

واستغرب المحقـــق (صفحة ٢٣) ان يُنْسَبَ المؤلِّف ابنَ رشيق الى المسيلة (المحمديـــة) !! وليس في هذا عجب لانه مولود بهـــا ، وإن اشتَهَر بابـــن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجـــد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بمـــا يخالف الصواب ، او بما لا يتّفق مع المعنـــى . وقد يكون شيء من هذا من اخطـــاء الطباعة .

مـــن ذلك ورود كلمة (ذخر) بالذال ، اخت الدال ، مرّتـــين (صفحة ٢٦) وهو يريـــد (زخر) بالزاي ، اخت الراء .

وضبــط (الكَلّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكِلّة) بالكسر ، لمعنى السِّتر الرقيــق ...

وفي الصفحـــة (٧٢) قال احــد شعراء "الرايات" :

امسى الفَراشُ يطوف حول كؤوسنا   اذ خالهــا تحت الدجي قِنديـــلا
مـــا زال يُخفِقُ حولها بجناحـــه   حتى رَمَتْــه على الفِراش قتيــلا !

ضبــط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفـــاء . وزاد انْ ضَبَط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصـــواب بالكسر ، لمقتضـــى المعنـــى .

وضبَــطَ المحقق (صفحة ٨١) كلمـــة (كناس) بضم الكاف ، والصواب الكسر لانـــه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الظبي .

وضبط كلمة (كبـــد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح الباء ، يريد معنى المشقّة ، والبيت مـــن قطعة في وصف فوّارة :

يـــا حسن فوارة للأفق راجمـــة   بالشُّهْب تنزو نُزُوَّ الواثب اللَّعِـــب
ينساب عنها حباب المـــاء مندفقاً   الى البحيرة مثل الأَيم من رُعُـــب
كانما مارَ تحت الارض في (كَبَدٍ) :   فحين ابصر وُسْعًا جَدَّ في الهَرَبِ ..

وفي (الصفحة ٤٢)"كافورتي" ضَبَطها بكسر التـــاء،والصواب فتحها كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قـــول الشاعر :

وبيضـــاءَ تَحْسَبُهـــا دُرَّةً   تذوب اذا ذُكِرَت او تكـــادُ
تُنمنِمُ بالمِســـكِ كافورَتـــيَّ   مُحَيّا حوى الحسنَ طُرًّا وزادْ ..

ولـم يُعْـنَ المحقق بايضاحات اشارات المؤلف التي يقتضـي التحقيق ايضاحها او يُحْسُن ؛ وهـي اشارات هامة بالقياس الى تبيـان منهج المؤلف وموقفه النقـدي .

في الصفحة ٥٩ قـال الشاعر :

انهض ابـا طالب الينـا   واسقُطْ سقوط الندى علينا

وكـان حقّه ان يشير الى بيت عمر بن ابي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى   ليلـة لا نـاهٍ ولا آمِـرُ

وفي صفحة ٥٩ نفسهـا :

يـا ايها المَلِـكُ الذي آباؤه   شُمُّ الانوف من الطراز الأوّلِ

وكـان حقه ان يضع الشطر الثاني بـين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابـن زيدون :

تِـه،أَحْتَمِلْ ، واستَطِلْ،أَصْبِرْ ، وعِـزَّ أهُـنْ

و وَلِّ،اقبِلْ ، وقُـلْ أَسْمَعْ ، و مُـرْ اطِـعِ

وقـال المؤلف ابن سعيد انـه احسن من بيت المتنبي . ولـم ينبّه اليه المحقـق . وقُلْ مثل هذا فى اشارة المؤلـف الى متابعة ابـن شُهَيد لأبيات امرىء القيس ، ولم يشر المحقق اليهـا .

وفي الصفحة ٧٤ قـال الشاعر :

فانَّ قرين السوء يُعدي،وشاهدي   (كما شُرِقَتْ صدرُ القناة من الدمِ)

وكـان يَحْسُن ان يشير الى انـه شاهد نحْوي في قصيد للأعشى .

— ٧ —

امــا الشروح التي اضافها المحقق فكانت احيانا سريعة لا تُغْني ، وكان احيانا يَسْكُت عــن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكُرُ منــه مثلا تعليقه على قــول الشاعر :

خلان قد كَفَر الكافور ذاك وقــد   عُقَّ العقيقُ احمرارا ذا وما ظلما !

وقــال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انــه اخذ من الكافور فعلا ، ومــن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلمــا .

وفي الصفحة ٨٣ مــرَّ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة . واورد ابيات ابن القوطية واولهــا :

إشْرَب على السُّوسن الغض الذي نَمَا

وباكِــرِ الآسَ والورد الــذي بَخمــا

والصواب الذي نجمــا ، وهذا ظاهر . ولم يشرح " نَمَّ " وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعــة !

— ٨ —

— وممــا يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قولــه (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابــي يحيى ابي بكر بن هشام القرطبي فــي الحاشية (٥) : كانت لــه كنيتان !! — واضاف ايضــا — : على عادة اهــل الاندلس ! فهذا خطا مركّب ؛ فلم يكن من عــادة اهــل الاندلس ان يتّخذوا كُنْيَتين الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فــي المشرق (للحرب والسلم .. الــخ) . ومن جهة اخرى فالمترجم اسمه ابو بكر وكنيته ابــو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقــق !

— ومــن ذلك قوله ان ابــا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل) ؛ وكرر هذا في الاصــل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمــل) ، وهو كتابٌ نحــو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهــو للزجاجي .

— ومـن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتضد العُبّادي غـزا قرطبة واخذها . والصواب انها وقعت في يـد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

— ومـن ذلك قوله صفحة ٧٣ في ترجمة ابـن عبدوس : « وهـو الذي وُجِّـه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهـذا خطأ صوابه : وهو الذي وَجَّهَ اليـه ...»

— ومـن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علـي بن يوسف ابـن تاشفين انـه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « امـير المسلمين » ...

وغـير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

— ٩ —

ومـن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نَقَـل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقـق نسخة وحيدة، تَعَيَّنَ عليـه ان يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقـع فيها شيء من السهو ، والوهـم ؟

ويُعْجَـب القارىء حين يتنبَّه الى ان المحقـق اغفل العودة الى عـدد من الاصول التي اعتمد عليها ابـن سعيد ، والاصول التـي ذكَرها ، او لم يذكرها ، واكتفى بذكـر بعض تلك المصادر التي لـم يرجع اليها المحقـق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتـاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بـن ادريس، وكتاب (العقـد) لابن عبد ربـه ، ودواوين ابـن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقـاق ، والرصافي البلنسي ، وابـن عمّار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيـد ، و (المعجـب) للمراكشي و (يتيمة الثعالبي) وغيرها كثير .

وهـذا الاغفال أثَّر على قضية توثيق النصوص في الكتـاب . وقـلَّ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لـم يُسْتَقْصِ مـا

بين يديــه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلــف نفسـه . . .
وكاد ان يلتصق بكتابه (المُغْــرب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومــن ههنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، او كانت نقلا من عبارات المؤلــف نفسـه او من سبقه الى التاليف في (المغرب) مما لا يريد قنية التوثيق توكيدا وتوضيحـا .

— ١٠ —

ولا نشعر ان المحقــق (عايَشَ) المؤلف في مقصده ومنهجه، ولا خالطه بالعودة الى مؤلفاتــه ؛ ولا هو رَصَدَ مواقفه الادبية والنقدية .
ومــن اوضح الامثلة على ذلك أن المؤلــف اعتذر الى موسى بن يغمور (المُهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال لــه :

« . . . والمملــوك — يعني نفسه — ينهي للمولى ان هذا المجموع إِنْ نَقَصَ في عين مَن عَمِيَت بصيرته لصغر جرمه ، فجوابه قول اشعَــر مَن مَلَــك طريقَ التخيُّل ، وتوصَّل بلطافة الذهن الى الاستنباط والتخيُّل :

والنجــمُ تَسْتَصْغِرُ الابصــارُ رؤيتَــه
والذَنْبُ للعــين لا للنجم في الصِغَــر

ولــم يُعَلِّق المحقق بشيء ، ولــم ينسب الشعر » .

وعبارة المؤلــف ابن سعيد تنبيء عن منهجه ، وميله الى مدرسة ابــي العلاء المعري وطريقته في التخيُّل والغوص على المعاني . والبيت المذكور من سقط الزنــد (١ : ١٦٢) . واذا نظرنا في كتاب ابــن سعيد الآخر : (عنوان المرقصات والمطربات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول : ابــو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيُّل .

ولــو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لــي ، ورايتُ فيه مــادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعــب .

ونحـــن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرّزين » ، عذرا في بعض ما أشرت اليـــه في هذه المقالة ، لا نستطيع ان نلتمس العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه ان عمل ، ومن لا يعمـــل لا يخطىء !

• • •

امـــا (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) لابن سـعيد فهو حقّـــا في حاجة الى تحقيق علمي متـــانٍ .

د. محمـــد رضوان الداية

مجمعيون راحلون



الزميل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس
في ذمة الله
لعيسى الناعوري

لـــم اعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد اكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قراتُ النبـــا في جريدة (البعث) الدمشقيّة الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبـــا ، لانني فقدتُ بالحاج عبـــد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقّـــا ، وانسانا طيّب القلب ، عالمـــا ، مُحبّا لاصدقائه ومخلصا لهـــم .

اول معرفتـــي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباتـــه في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كُتبَ هو الـــيّ اولاً ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسَعَى لاجل زيارتي للمجـــر ؛ ونجح مسعاه،فزرتُ المجـــر في كانون الاول عـــام ١٩٦٤م ، وهنـــاك سعدت بلقائه ، وأنِستُ بمجالسته وتبادُل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتَفَضّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قدّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدّمنـــي كذلك الى الجمهور في احـــد الانديـــة الثقافية في بودابشت ، حيث القيـــتُ محاضرة باللغـــة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكـــة الاردنية الهاشمية) . واكرمني كذلـــك بدعوتي الى العشاء في منزلـــه هو وقرينته الحاجة عائشـــة .

ولـــم ينقطع تبادُلُ الرسائل بيننـــا بعد ذلك . وآخرُ رسالة تلقيتها منه تحمل تاريـــخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنهـــا .

الى الاخ المحبوب العلامة الكبير عيسى الناعوري حفظه الله
عزيزي بعد تحياتي القلبية اجزله اني تسلمت مع الشكر العظيم
الكتيب المعنون "بمصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف"
من اثر علماء المجمع العلمي في الاردن. واشكركم من صميم فؤادي
لهذه الهدية النفيسة - ان الثقافة العربية احيتنا الانسانية في
القرون الوسطى، وهكذا تخدم روح الجنس البشري اليوم باعمالها
العلمية الادبية. ونحن في الغرب مضطرون لعرفان الجميل والشكر
للاجتهاد الثقافي الذي تهديه مجامع اللغة العربية لنا اثناء هذه الايام
الخطيرة - ارجوك ان تقدم شكري الخالصة الى رئيس المجمع وكل الاعضاء
الكرام، وتحيتي مع الاحترام والمودة مخلصك الحاج عبد الكريم جرمانوس

٢٨ تموز ١٩٧٩

اجبت عنه
١٩٧٩/٨/٢

وقـــد رَددْتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكاننا بالرسالتين تبادلْنا تحيـــةُ الوداع الاخير .

كـــان المرحوم جرمانوس عضوًا لمجامـــع دمشق وبغداد والقاهرة ، الى جانب عضوية المجمـــع العلمي المجريّ،وعدد من المجامع العلميـــة العالمية الاخرى . وحين علـــم باننا في الاردن ايضا قد انشانا مجمعـــا للّغـــة العربية ، سُرَّ لذلك كثيرا ؛ وحينَ مُنِحَهُ المجمـــع عضوية شرفه فيه ، أعتُبَر ذلك مَجْدًا كبيرا لـــه يُختتم بـــه عمره المديد ؛ واهتمّـــت بذلك صحف المجـــر ومجلاّتها ومحافِلُها العلمية والادبيـــة .

والعجيب في جرمانوس انـــه كان ، رغم تمادي العمر ، كثـــيرَ الحيوية والنشاط : يقـــرا ، ويكتب،ويؤلف ، ويترجم ، ويسافـــر ، ويراسل اصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنـــه الشبان . واذكر انـــي

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلـغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان بُدينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقـد كنتُ ، حين ارافقه في طريق ، أُضطَرُّ الى الجَرْي لكـي استطيع مسايرةَ مشيته الشبابيّة السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعُد قبـل سنة واحدة فقط من معهـد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لـي ساخراً وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنـت « شابا صالحا للعمـل » ... والآن صرت في نظر الناس (هَرِمـًا) لا اصلح لشيء ...

وبعـد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عـام ١٩٧٤ ، كـان جرمانوس قد بلـغ التسعين من عمره ؛ فكَرَّمَـه اصدقاؤه وتلاميذُه من علماءِ بلـده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حـول العالَـم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المَجَـريّ الاصلي ، وقد استبدل بـه بعد اسلامه اسم الحاج عبـد الكريـم جرمانوس . وكذلك زوجتـه السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشـة) ، وحَجَّت مع زوجهـا الى الديـار المقدسة،وكرّسَت حياتَها معه لخدمـة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلاميـة .

ولـد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينّـا ، وليبتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نـال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعـة بودابشت في اللغـة التركية وآدابها،وفي اللغـة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغـات الشرقيّة المستشرق المَجَـرِيّ الشهير إينياس غولـد تزيهـر .

وفي سنة ١٩١٢ عُـيِّن مُدَرِّسا في اكاديمية التجـارة الشرقية ، ثـم اصبح مدرّسا في كلية الاقتصاد منـذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عـام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهنـد الاعظم رابندرانات طاغور،فقام بانشاء قسـم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرّس فيه الى سنة ١٩٣٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادّى فريضة الحج ، وشاء أن يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (اللّه اكبر) الذي طُبِعَ سنة ١٩٣٦ بالمجرية ، ثم لم يلبث ان تُرجم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيِّن استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعِلمه ، منحه الكثير من المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة أو عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيِّن عضوا مراسِلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيِّن عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيِّن عضوَ شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيِّن عضو شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيِّن عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعُلِيْكَرْه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، ودلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلمّية فاكثر من ان تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات وبحوث ودراسات ؛ وقد كَتَبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسير سرد ثَبْت بجميع مؤلفاته وبحوثه بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية وحدها ، وهو :

١ ــ بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦٩م.

٢ ــ حماية فلسفة التشريع الاسلامي ــ الاصالة / الجزائر ١٩٧٤م.

٣ ــ الاسلام كدين عالمي ــ ١٩٧١م.

٤ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية ــ ١٩٧٢م.

٥ ــ نهضة الادب العربي ــ ١٩٧٥م.

٦ ــ النظرة الاسلامية الى الحياة ــ مجلة رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة .

٧ ــ الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد ــ مجلة قافلة الزيت / الظهران. ١٩٧٥م.

٨ ــ ذكريات عن الحــج ــ ١٩٦٩م.

٩ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلــة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠ــ عباس محمود العقاد ــ الاصالة / الجزائــر ١٩٧٧م.

وعــدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلــة المقتطف وغيرهــا في مصر .

ولقــد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابــة سيرتــه وجولاته في البــلاد العربية والاسلامية . وذكر لــي في بعض رسائله الاخيرة أن هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصــدر كتابا باللغة المجرية عنوانــه : "Az Arab Irodalom Tortenete تَحَدَّث فيه عمــا رآه في البلاد العربية،وعمّن عرفهم من اعــلام الادب والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البــلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا حافلا للفترة التي عاشها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيــل الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاســلام الذي كان قد اعتنقه منــذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكــان من دواعي اعتزازي ان يتحدّث عني المؤلــف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهــم صورة لــي وجزءا من احدى رسائلي اليــه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالــم الجليل الحاج عبد الكريــم جرمانوس ، فان مجمع اللغــة العربية الاردني ليبعث الى روحــه الطاهرة باطيب التحيــة ، معربا عن الاسف العميق لفقــده .

رحمــة اللــه عليــه .



فقيد العربية

الأستاذ عباس حسن

(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

نُعِيَ مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي (ابريل سنة ١٩٧٩) ، الى علماء العربية ورجالها ، **الاستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والاستاذ السابق بدار العلوم** ؛ اختَطَفَهُ الموت وهو في اوج نشاطه الجسمي وقمة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوما عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، والاخيرة منها كانت قبل وفاته بأسابيع قليلة ، كما انه لم يتغيَّب عن شهود اجتماعات اللجان المجمعية المتخصصة ، وآخرها — كما نُعِيَ اليّ — كان قبل بضعة ايام من لقائه وجه ربه الكريم .

كــان الفقيد ، رحمه اللـــه ، **من اركان الدفاع عن لغـــة القرآن ، الذائدين عن الفصحى وسلامتها** ؛ كما كــان في طليعة المنافحين عـــن قواعد النحو الاصيلة ، ومِنْ اصلَبهم عودا في ردّ هجمات المتخففين منهـا، وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالي بحُجَجهم ولا يقيم وزنـــا لذرائعهم ، ولـــو ادى الامر بـــه الى شيء من اللَّدَد .

كــان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن قدسيّة المتـــون ـــ وقد آمن بها ـــ ونَذَر نفسه لخدمتها،وتجديد عرضهـا على من يطلبها ؛ شديد الكُرْه للنظريات المستحدثة بأسم **((علم اللسانيات))** ، يدحض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبيسَها باللغـــة العربية ، ولا يُحجم احيانا عن وصـــف ادعاءات بعضهم الغيرةَ على العربية ، **بانها سُتـــور للتغريـــب والتهديـــم** .

دخـــل الفقيد الساحة ، والمعركة محتدمة بين انصار العربيـــة وخصومها ، وكان مع اهـــل اليمين،وسلاحه ، ككثير من المقاتلة ، ايمانٌ بالعربية لا حدّ لـــه ، وعلمٌ بأصولها وقواعدها قـــلَّ نظيرُه ، وخبرةُ ايـــام خلت ، امضاها في نقـــل هذا العلم الى طالبيه مـــا استطاع ، وغرْس ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبّلـــوه .

واختـــير فقيدنا بآخرة ، **ليكون مـــع النخبة من علماء العربيـــة** ، يعملون ليل نهار في خدمة اللغـــة ودفعها لتسايرَ ركـــب الحضارة العالمية المتسارعة في خطواتها ، والمتسابقة مع الزمـــن في اندفاعاتها .

وكـــان الفقيد في مجمع اللغـــة العربية مع طائفة قال اللـــه عـــز وجل فيها : (من المؤمنيْن رجالٌ صدقُوا مَا عَاهدوا اللّـــه عليه فمنهم مَنْ قَضَى نَحْبه ومِنْهُم من ينتظرُ ومـــا بدّلوا تبْديلا) .

زميـل جديـد :

في يـوم من ايام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعـة المؤتمرات في مجمع اللغـة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة الـى الصف المواجه لمقعـد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيـع مَن يجلس عليه ان لا يَدع حركة في داخل القاعـة او خارجها تفوتُه . وتتالت جلسات المؤتمـر ، وقد الِفْتَ المقعد عينه ، أسْرعُ اليه كلّمـا كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يُجـاوِرُه .

وفي نهايـة الستينات دخلت قاعة المؤتمـر وجلست على المقعد إيّـاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهـم يدخلون القاعة ، انتظر صديقا منهم يجاورني فانعم بجواره ؛ غير انـي فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المتعـد المجاور ويحتلّه ، دون ان ترفّ عينه نحو مقعد آخـر . كان ربعة بين الرجال يميل الـى القِصَر ، وما بقي من شعر رأسه قـد اشتعَل شيبا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، وتقاطيعُه تنمّ عن جِـدّ تُخالطه وَحشة . وكتمتُ ما شعرتُ بـه ، واخذتُ اتظاهر بالبحث عن شيء بين اوراقي ؛ ولم البـث ان ادرتُ وجهي يمنة ، فـاذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عـن ابتسامة ، وبرأسه ينحني قليلا وهو يتمتم بكلمات لم افهمهـا ، فَقدَّرْتُ انـه يحيّيني ويذكر اسمه ، ووجدت نفسي اردّ تحيّته بمثلهـا ؛ ثـم رُفعت الجلسة دون ان نتبادل شيئا مـا .

وفي جلسة اليـوم التالي كان جـارُ الامس جاري ، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ ألقـيَ وفيه دعوة الى شيء من التحرّر في قواعد اللغـة ، تسهيلا لتعميم الفصحى بين الناس . وأُعطِيَتْ الكلمةُ للزميل الذي يجاورني ، فوقف يرتجل كلمـة واضحة ، هادئة متسلسلة الافكار ، ينكر فيهـا دعواتٍ تُرَدَّدُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليـم الفصحى ، مستنكرا التوجّه بامثالها الى مؤتمرٍ مـا انعقَدَ الا لخدمة لغـة القـرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كـل

دعوةٍ ظاهِرُها خدمة اللغــة ، وما هي في الحقيقة الا من مُعاول هدمهــا . ورأيتُ نفسي اشارك المؤتمرين ، الذيــن اعلنوا تأييدهم لتعليق الزميل ، بالتصفيق . ومــا لبث الزميل ان جلس والتفت نحوي وهــو يبتسم ابتســامة اَشْرُقَ بها وجهه ، فبدا لي انــه اصبح مطمئنا الــى جواري .

كــان ذلك الزميل عالِمَ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه بالامس القريب ، وجاءني نعيُّه مصادفة (١) ، رحمه اللــه واجزل ثوابه .

لقــد تتالت المؤتمرات ، وتعدّدت فيها الجلسات ، وحافَظَ كــلّ منــا على مقعده،حتى في اللقاءات خارج المجمــع ، كان الفقيد كثيرا ما يأنس بجواري ويسعى اليــه . واصبحنا صديقين نتبادل الاحاديث المتعلقة بشؤون المؤتمــر وبرامج جلساته ورحلاته ، وفي شؤون كثيرة اخرى .

. . .

نبذة عن حياة الفقيد وآثــاره

فتى ازهري « يتَذَرْعَــم » :

وُلِــد عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها الفكرية ، والوعيُ اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قــد تيقّظ ، واخذ كثيرون ينادون بالعمل لتصبح « الفصحى » ، لغــةُ العلم والثقافة ، لغــة سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلا عن الخاصــة .

---

(١) نعاه لي الزميل الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .



(الفقيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعدنان الخطيب)

والتحـــق الفتى عباس ، كالمئات من لِداته ، بالجامع الازهـــر ، يُحفظ القرآن ويتلقى مبادىء العلـــوم العربية ، على الطريقة الازهريـــة المتوارَثة . وشَعَر عبّاس بحـــبّ للعربية وعلومها يُعْلَق قلبه ، **فاخذ يفكّر في الانتقال الى « دار العلوم »** ، وقـــد شـاع بين اقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من ان تنظيمـــا للدراسة في دار العلوم قد **اُقيـــمَ على اُسس جديدة جامعية** ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصريـــة .

مـــا لبـــث عباس ــ على حـــد **قول العالم الاديب الدكتور احمـــد عمّار** ــ ان « تملّكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فَتَحوَّل مـــن الازهر الى دار العلوم ؛ واذا بـــه يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لهـــا ، على مدى اعوام دراسته في دار العلوم ، مـــا اخلفته ولا فاتته عاما » (١) .

واتـــمّ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، متنقلا بـــين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعانـــا بين معلمي العربية ، **ممـــا ساعد على ترشيحه ليكون مدرّســـا في « دار العلـــوم »** نفسها ؛ حتىٰ اذا ما تحوّلت الدار الـــى كلّية من كليات جامعة القاهـــرة ، كان عباس حسن احـــد اساتذة العربية فيها ، ومن ثـــم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى أن بلـــغ سنّ الاحالة على المعاش .

النحـــو الوافـــي :

اشتهـــر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد تُوِّجَها اخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة اجـــزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مـــع رَبْطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد اعدَّه **ــ على حـــد قوله ــ** إعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحويـــة والصرفية » ، ومناهج هـــذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذَيَّلَـــه بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعـــا وافيـــا للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مُغْفِل الضوابط والاحكام التي قرَّرتها المجامـــع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قـــدم الفقيد لكتابه « النحو الوافى » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علـــم النحو في ذاته ، واثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليـــه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضَمَّن هذه

---

(١) انظر الخطاب المجمعي في استقبال عباس حسن . ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمـــع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتـــاب « رأي في بعض الاصـــول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « **دستورا** » ملزما نفسه باعتماده في التاليف ، موضحا خطته فـي تجميع مـواد الكتاب ، عارضا تاريخ النحو منذ نشاته ، وللشوائب التي داخلته ثم « **نَمَتْ على مـرّ الليالي ، وتغلغلت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشوَّهت جماله ، واضعفت شانه ، وانتهت به الى ما نرى**»(١).

وشرح النقيـد الغرض الذي رمى اليه من تاليف الكتاب ، وقـد استعان « **بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صادقة في تَعَلُّم النحو** ، طالبـا مستوعبا ، ثم تعليمه في مختلف المعاهـد الحكومية مدرّسا ، فاستاذا ورئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بكليـة « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، سنوات طـوالا » (٢) .

ثـم اوضح « **الدستور** » الذي اقـام عليه الكتاب ، وخلاصته في المـواد التاليـة :

اولا ـــ تجميع مـادة النحو كلّه ، وما يتّصل بـه من الصرف، في كتاب واحد ذي اربعة اجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسـب طلاب الجامعات غايـة المناسبة ، مذيّل بقسم مفصّل يلائـم الاساتذة والمتخصصين اكمل الملاءمة وأتمّهـا .

ثانيا ـــ العناية بلغـة الكتاب وضوحا واشراقا وإحكاما واسترسـالا .

ثالثا ـــ اختيار الامثلة ناصعة ، بارعة في اداء مهمّتهـا .

رابعا ـــ الفرار من العلل الزائفة ، وتعدُّد الآراء الضارّة في المسالـة الواحـدة .

خامسا ـــ تدوين اسماء المَراجـع في المسائل التي تتطلّب الرجوع اليها ، استجلاء للحقيقة او ازالة للوهـم .

---

(١) انظر ص ٤ من النحـو الوافي .

(٢) انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادسا — عدم التزام طريقة تربوية معينة ؛ فقد تكون الطريقة « استنباطيّة » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب ما يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضوع .

سابعا — تسجيل ابواب النحو مرتبة ترتيب « ابن مالك في أُلفيَّته » لشيوعه ومزاياه التي تلائم العصر .

ثامنا — توثيق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودها .

وختم الفقيد مقدمته بقوله : « واللهَ ارجو مخلصا ان يجعل الكتاب نافعا لغة القرآن ، عونا لطلاّبها ، محققا الغاية النبيلة التي دعت لتاليفه ، والقصد الكريم من إعداده » (١) .

عباس حسن ناقدًا :

لم يكن عباس حسن شاعرا ، ولكنه كان عروضيًّا ناقدا ؛ كان شديد التذّوق للشعر، قديمِهِ ومُعاصِرِه ؛ وكان في تذوّقه هذا ، **دقيق الملاحظة عميقها ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنّيّة تكشف مواطن الجمال والخيال الرائع** ؛ ساعَدَه على ذلك ذوقٌ بلاغيّ نَمّاه واصَّلَه فيه الاطلاع الواسع على الادب العربي ، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية واساليبها البلاغية .

اقام عباس حسن للنقد الادبي **منهجا علميا** ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من اشدّ المعجَبين باحمد شوقي ، من الشعراء المعاصرين ، وعندما اقام موازنة بينه وبين المتنبي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهما ، كان حُكمُه في القمّة من الانصاف . لذا رايناه — كما يقول الاديب الكبير الدكتور احمد عمّار — على فرط اعجابه بشوقي : « قد نأى بحبّه اياه عن ان يكون باعثَ محاباة ، كما لم يُضِنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلّى واجاد ... » (٢) .

---

(١) انظر ص ١١ من المقدمة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليه سابقا .

قـــارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبـي والخيال عند شوقي ، وبين المعاني لدى كل منهمـــا ، مستشـهدا بشـعر منتقـى من ديوانيهما ، ثـــم ختم مقارنته بقوله :

« ومـــن طرائفه ـــ شوقي ـــ الساحرة اندلسيّته النونيّة التـــي يُعارض بها نونيّة ابـــن زيدون ، والتي أُطلَقَ فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما شاءت لـــه القدرة والحرية والبراعة التي اغْرَتْه بالجموح حينا ؛ وبهـــذه المناسبة نقول : ان خيال شوقي بـــادٍ في مختلف قصائده؛شأن الذيـــن اتيحت لهـــم ثقافته وسياحاته ومُتَعُه ووسائلُ حياته ؛ وقـــد يتجاوز خيالُه حـــد الفَراهة المحمود الى حـــدّ الجموح . وقد يموج الخيـــال في قصائده ويجول ويمرح ، وقـــد يجمح ؛ وشوقي في خياله الهادىء أو الجامح خـــيرٌ من المتنبي واقدر ، فكيف بـــه في الخيال الفارهِ النشيط » (١).

الفقيد في مجمع اللغـــة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شَغَر في مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة مقعـــد كان يحتلّه المرحوم علـــي بدوي ، **احد كبار اساتذة القانون اللامعـــين** ؛ وفي جلسة المجمـــع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ســـنة ١٩٦٦ ، تـــمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، احـــد كبار علماء اللغـــة العربية المتخصصين بالنحـــو ، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمـــع .

وعَقَـــد المجمـــع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ ، الموافـــق ٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضـــاء المنتَخَبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان اولهـــم مؤرخا ، وثانيهم قانونيا ، واما الثالث فكان نحويا ؛ لـــذا كانت من اطراف جلســـات الاستقبال المجمعية ، **لِمَـا جمعته من اصناف الرجال المتباينة بضائعهم** ، اذ كانت بضاعة الاول هـــي : الانسان والمجتمعات ، **بينما بضاعة الثاني** : النظام والدول ، وامـــا ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمـــات .

---

(١) نبذة منقولة من كتـــاب « دفاع عـــن شعراء » لتوفيق **الفكيكي** . بيروت ١٩٧٥ .

ووقــف الدكتور احمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديــد عباس حسن ؛ فلم يجد بُــدًّا من ان يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهــم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحـــو ، **ذاكرا بعض المُلَــح المرويّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم** ، مجتزئا من معابثاته مـــع صديقه عباس بمُلْحَة « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو اوســار حسه ، وملأ عليه اقطار نفســـه .

قلــتُ لـــه يوما في احدى ندواتنا الادبية التي نعقدها فـــي امسية محددة من كل اسبوع : ما انـــا من رجال النحو ، وانما شانـــي معك شان ذلك الاعرابي الذي قـــال :

ولستُ بِنَحْوِيٍّ يلوك لسانَه   ولكــنْ سُليقِيٌّ اقولُ فاعربُ

فقـــال : يلوك لسانَه ام يلوك لسانُه ؟ فَلُذْتُ بالصمــت ايثــارا للسلامة ، وخشية التورّط فيما أُقَصّر عن المباراة فيـــه » (١) .

علـــى ان الدكتور عمّار ، وهو يتحدّث عما يُسْتَشعِر بـــه الناس من ثقل في النحو ، وعمّا تحفل بـــه الكتب من **افاعيل للنحاة هي بافاعيل الحواة اشبه واشكل** ، استطاع،وهو العالم الاريب،ان ينتزع من زملائـــه بعض ما بثّـــه فيهـــم رهبةً من افاعيل رجال النحـــو ، وهو يقول : « .. وعالِمُنا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو لـــه في هزله ان يصطنع بعض تلك الافاعيل ، فانه في جِدّه **لشدّ ما يستكره ويستنكر كـلّ مـــا يعتور النحو من حِيَل مستَثْقَلات ، وتقديرات تخبايا النيّات ، وإرجاف بخفايا المضمرات** ؛ بـــل ان حبّه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدلّهه فيه مستهاما بـــه صبا ، واستيقانه انـــه من اجلّ علوم اللغـــة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن ان يشنّها حملاتٍ صدق شعواء على كل ما يشوب النحـــو من متعارَف المعايب ومتناقَل المثالـــب » (٢) .

---

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصـــدر السابق .

واستشهد الدكتور [illegible] بما جاء في حملات صديقه على من يلصق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين ينتحلون الملح للتندر والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب « الحيوان » ، للجاحظ ، مستنكرا ، « وهي ان معترضا قال للاخفش : انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تُقَدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ فاجاب قائلا : انا رجل لم اَضَعْ كُتُبي ابتغاء وجه الله ولا زلفى اليه ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتُها على النحو الذي تريدونه ، لَقَلَّتْ حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانما غايتي الكسب ، فوضعتُ بعضها مفهوما لتَدْعُوَهم حلاوةُ ما فهموه الى التماس فَهْم ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأس علوم اللغة ، وعن سمعة النحاة الذين جَمَعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا صَرْحَها شامخا ركينا ، كما قال احد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبله اليوم، فقد « استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ، ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارَى في الانصاف والتقدير بعض زنادقة اللغة ، لِهَوًى مدخول او حِقد كامن ، او جهالة بقدر اللغة واهلها » . ثم خاطبَ عباس حسن زملاءه طالبا منهم التأسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئسْ علماؤنا بما كان ويكون من خوارج هذه الايام ، فتلك شنشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع داخل الصف :

لا يحْسَبَنّ الذين يقراون مقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ، ان اقرارها كان سهلا هيّنا ، فكم من حوار امتدّ زمنا حول قاعدة لغوية او حول مدى التقيّد بها ، وكم من مناقشة حادّة جرت حول إثبات كلمة أو حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

---

(١) أنظر المصدر السابق .

(٢) أنظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسالة من مسائل اللغــة ، ، وكــم من الوقت استغرقه اقرارُ او رفضُ مقتَرح عُرِض على مؤتمر المجمــع ؟ !

لعــل عباس حسن ، يــوم دخل مجمع اللغة العربية ، كــان يعتقد بان عناءه في خدمة لغــة القرآن سيُخفّ عما كان قبل دخولــه ، فقد اصبح من النخبة من علمــاء العربية العاملين على خدمتها ودفعهــا لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث **ان وجـد نفسه وحيدا** امام اعضاء مِنْ دَابِهم التحرّش بالنحــو والنحويين ، شان القدامى من العلمــاء ، ومنهم من يجاهر بكُرْهِه للمُتــون ، ولا يقيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تَعُــدْ تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعلَّه ، رَحِمَه اللــه ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهــم من غلاة الغيارى على العربية يــوم انكروا عليه القول بــ (**تحديث**) اللغــة لتسايــر العصر الحديث ، وهــو لا يدري ماذا ينتقص عن شان (**علــم الحديث**) اذا كان للتحديث اكثر من معنى في المعجــم (١) !

التــزم فقيدنا في مجمع اللغــة بخطٍّ اختَطَّه لنفســه ، غيرُ مُبالٍ بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما **تراه في اقصى يمين هؤلاء مرات عديدة** ، **تراه احيانا في اقصى يسار اولئك** ؛ وليس لك ان تعجب ، لان الفقيد الْــتَزَم نفســه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قــال بها علماء اللغــة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد التي آمــنَ بها اسلوبا وحيداً للحفــاظ على اللغــة وإنمائها .

وعندما اختلف راي المجمعيّين حول اجازة ادخال لفظــه « **مناورة** » في المعجم على احــد الوجهين التاليين :

الاول ــ ان من معاني « المنــاورة » : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت فــي المعجم في مــادة (**ن و ر**) التي تحمل معنى الخداع والحيلــة .

---

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عدد ٣ .

الثاني — ان لفــظ « **مناورة** » **معرب ، ومنقول بدلالتيه الحربية والسياسية** المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجــم في مــادة **(م ن ا)** .

وقــف الفقيد مع اصحاب الراي الاول ، ليعلن أن وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثــل : المداورة والمراوغة والمشــاورة والمحاورة ، وليس في قواعــد العربية ونصوصها ما يمنع من أن تدخــل الكلمة في مــادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مــواد (د و ر ، و ر و غ ، و ش و ر ، و ح و ر) فهــي مثلهن عربيــة ، وان لــم تَرِدْ في المعجمات ؛ وكأنه يقول **بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهــاء ، امــا معانيها الحديثة فهي من قبيل المجــاز المستحدث** (١) .

وعُرِضَت على المؤتمــر ، في دورته الاخيرة ، كلمة **(التطبيع)** بمعنى **(جعلها طبيعية)** ، كمــا تردَّدَتْ على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيــد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنــع مــن اجازة الكلمة بالمعنى المذكــور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هــذا المعنى السياسي الجديد **رَفَضَتْه الاكثرية عنــد اعلان التصويت عليه** (٢) .

وعندمــا وقف بعض المتشددين من المجمعيين ينتقد استخدام الكُتّاب والصحافيين لفظــة **(تواجُدَ)** بمعنىً لا تُقِرُّه معجمات اللغة ، ثــار الفقيد **مبرئا العربية من الجمــود الذي توصم بــه** ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجُــدَ) المعنى الذي يريده المعاصرون ، **فمَثَلُها مَثَــلُ : (تكاثُــرَ) و (تناسُــل)** (٢) .

شمائل الفقيــد ومزاجه :

خَبِــرْتُ الفقيد خلال عــدد من السنوات ، بمجاورتي لــه في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغــة العربية ، فما عرفت عنه الا رقّــة

---

(١) أنظر المصــدر السابق .

(٢) أنظر المصــدر السابق .

الشمائل ، مع اقتصاد في المجاملات المتعارف عليها بين الزملاء . كان رحمه الله ، **عفّ اللسان ، صافي السريرة** ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة او مواربة ، او يَصْمت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحق انسان فيه انحراف او عنده زيغ .

كان **خجولا** ، **لا** يجلس الا جنبَ من يانس اليه، ولا يتطفّل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدْعَ اليه ؛ كان هادىء الاعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أُثيرت ، مع كثرة المنغّصات .

لم اشعر يوما بِكُرْهٍ يُضْمره نحو احد ، ولو كان ممن يُكثر الغمز واللّمز من النحو او النحاة ؛وكثيرا ما سمعته يردد جملة **(هداه الله)** .

كان الفقيد ، اذا ما استقرّ به المقام ، نَثَرَ دفاتره واوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُذَكِّره بالمواضع التي عليه ان يتّنبّه لموعد عرضها ، فيبدي اعتراضه عليها او نقده لها ، او دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر تُسعِفُهُ بالادلّة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، **وحتى بارقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه .**

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكُفُّه مفتوحة تشير دائما الى ان صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يمناه تعبث بالاوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات . وهو يحاول ان لا تفوته كلمة ممّا يدور ، وكثيرا ما فاته الاذن بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة عندما يشعر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ، الا اذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عنه ، **فكان يرفع يمناه الى اقصى ما يستطيع لينال الاذن بالكلام** ؛ واحيانا كان لا يتاخر عن الوقوف ليعلن انه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

يعتقد صوابه ، شديدا في مهاجمة مـــا سمعه او ما يراد اقراره ، مبيِّنـــا وجــه الصواب المتفق مع النصوص ، تاليا لهـــا او مشيرا الى موضعها .

كـــان الفقيد يحاول ان لا يُردّ على زميل من غير المصريين لا يعرفـــه ، قبل **ان يميل نحوي سائلا عن هويـــة المتكلّم ومشربه** ، كـــي لا يتعدّى حدود الموضوع الى البواعث الخفيّـــة .

كـــان وطيسُ المناقشات يَحْمَى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغــب فقيدنا في الكلام **انتظر الاذن ليبداه . ولـــم اره مرّة يقاطع متكلّما** ، علـــى كثرة الذين كانوا يقاطعونه ، حتى اذا انهى الراي الذي يريـــد ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لتقـــراه الاجيال الناشئة ، استراح غـــير عابىء بصدى كلامـــه عند سامعيه ، وغير مهتمّ براي منكِـــرٍ او مستَهْجِنٍ .

كان،رحمه اللـــه ، كثيرا ما يغضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، او عـــن التقلّصات التي تعلو وجوه بعضٍ آخر ، غير ملتفت الـــى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايـــدي ، **وفيها البيت او البيتان من روائع ((شعر البدائه)) غمزا** بالنحو والنحويين . وان أنْسَ لا أنْسَ يومـــا وَقَعَتْ بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا بـــه يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهـــو يقول : **رائع .. ولكن** لـــو كان (كذا) بدل (كذا) **لكان القول ابلـــغ .**

كمـــا اني لا انسى يوما قراتُ فيه قطعة ادبية صَنَعَها المرحوم محمـــد كامل حسين ، صاحب ((النحـــو المعقول)) (١) ، فيها تَهَكُّمٌ على النحويين وسخرية بآرائهم وتعقيداتهم ؛ ثـــم علمت بأن عباسا ، تغمده اللـــه

---

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ ــ ١٩٧٧) كـــان احد عباقرة العلم والادب والنقد ، وكان جرّاحا ماهرا وفيلسوفا اديبًا ، وناقـــدًا يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكـــره اساليب النحويين القديمـــة وتعليلاتهم ، له،فضـــلا عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من اهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريـــخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعـــــات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطّلع عليها ، ولكنه لـم يخرج عن قوله :
« سامَحَـه اللـه » .

كـان فقيدنا ، رحمه اللـه ، يُحَلِّق في اجوائه منفردا ؛ كانَ أُمَّـةً وحده . اجزل اللـه ثوابه ، وعوّض العربية خـيرا .

دمشـق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنـان الخطيـب

تعليقات
وَ
مُناقشَات

« تِـين إيجرز » = « عُشْرِيُّون »

جـاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاســد عنوانــه : « العشرينات والعشرينيّات » ، ظهر في العـدد الاول من هذه المجلـة (عـدد كانون الثاني ١٩٧٨) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله إننا نحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة « تين ايجرز » الانكليزيـة .

وأنـا مِثْله لا اعرف ان العرب استَحدَثوا قبل اليوم مصطلحا عربيا يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معنـاه .

ولقـد رَدَّ الزميل الاستاذ روكس بـن زائد العزيزي في العدد الثاني من المجلة (عـدد تموز ١٩٧٨) في الصفحة ١٨٢ ، على مقـال الدكتور الاسد ، بأن « الارادنة يقولون ، وهـم يذكرون الفتاة والفتى في ما بـين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالطُّعْش ! » .

العامّـة يقولون هذا حقا ؛ فالقضية محلولة بالنسبة الى اللهجة العامية ، لان هذا اللفظ موجود فيهـا ، فيقال : (ثلاث طُعْش ــ اربع طُعْش ــ الـــخ) وليس في الاردن فقط ، بـــل في كــــل بــــلاد الشـــام ؛ كما ان المصريين لا يختلفون في هـــذا كثيرا عن الاردنيين ، اذ يقولون : (تلاث طُمْشَر ــ اربع طُمْشَر .. الـخ) . وأما العربية الفصيحة فليس فيهـا شيء من ذلك ، ولا يُعقَل بايّ حال ان تستفيـد من المصطَلَح العامي الثقيل علـى اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي انما قَصَدَ في ردّه المداعبة ، ولم يكن جادًّا في ما قالــه .

وقـد خطر لي ان لفظة « عُشْرِيُّونَ » يُمكن ان تؤدي المعنى بدقّةٍ ولطف معا ، قياسا على مـا ذكره الدكتور الاســد نفسه في مقالــه المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشـاعــر :

بِنْتُ عَشْرٍ لم تعانِق رَجُلاً   صُوِّرَ البدرُ على صورتهـا

فقد عَلَّقَ على ذلك قائلا : « ان الشاعر لم يقصد الى تحديد سن العاشرة ... وانما اراد هذه السنَّ التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » (ص ١٤٤/١٤٥) . وهذا حقّ ؛ فليس حتما ان تمني « العشرة » رقمها وحده ، بل يمكن ان تشمل بقية الاعداد المركّبَة . ولهذا يمكن ان نقول ببساطة : « هـذا فَتًى عُشْرِيٌّ — وهذه فتاة عُشْرِيَّة » ، ونحن نعني سنّ العشرات ، لا السنوات العشر فقط .

اذا جاز هذا — ولستُ ارى ما يُمْنَع من جوازه — فانّ انسب لفظة عربيّة تقابل « تين ايجرز » الانكليزية هي « العُشْرِيّون » ؛ وهذه لفظة سهلة ، يتقبّلها الذوق ، وتُدلّ على معناها دون غموض او تعقيد او جفاء .

ومن الممكن ان تقترن احيانا بالموصوف ، فيقال : « الفِتْيانُ العُشْرِيّون » ، كما ان بقاءها وحدها يكفي للدلالة على المقصود ، لانه لا يمكن ان تَرِدَ الا في جملة تدلّ على ان المقصود هو الفِتْيان والفتيات الذين هم في سن العشرات .

وقياسا على ذلك يُمكِنُ ان يقال لِمَن هم في سن العشرينات او الثلاثينات : (العِشْرينيّون ، او الثلاثينيون ... الخ) ولمن هم في سن الثمانينات او التسعينات : (الثَّمانينيّون او التسعينيّون) . ولعله ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع ان يقال : « شيخ ثُمانينيّ » او « شيخ تِسعينيّ » ، دون تحديد للثمانين او التسعين من عمره .

• • •

عيسى الناعوري

اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمّى في اللغات الاجنبية : تريتيكالـــي TRITICALE

تريتيكالـــي هو اول محصول للحبوب يوجده الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلـم Secale ، وتُولّـد الاسم لهذا المحصول الجديـد Triticale من المتطع الاول والثانـي للاسم العلمي للقمـح Triticum ، والثاني والاخير للاسم العلمـي للشيلـم Secale . ودُرِّجَ كثيرٌ من العرب المشتغلين في مجال علـوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هـذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولتُ منذ مـدّة ايجاد اسم عربي ــ يضاف الى لغتنـا العربية التي نعتزّ بهـا جميعا ــ لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقـة نفسها تقريبا التي تولّـد عنها الاسم الجديد في اللغات الاجنبيـة . وذلك بأخذ بعض المقاطع من كلمة (قمـح) وكلمة (شيلم) وضمّهـا الـى بعضها البعض .

واذا مـا نظرنا الى كلمة (قمح) فانه تتكوّن في نظـري مـن مقطعين: (قـم) و (ح) ؛ امـا كلمة (شيلم) فهي تتكون ايضا مـن مقطعين اثنين (شيـ) و (لـم) .

واذا مـا افترضنا ان الاسم العربي الجديد الذي نبحث عنـه لهذا المحصول لا بـد ان يبدا بالمقطع الاول من كلمة (قمح) أو (شيلم)، لان هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فـان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئـذ هـي :

١ ــ قملـم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـم) والاخير من كلمة شيلـم (لـم) .

٢ ــ قمشي ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـم) والاول من كلمة شيلم (شيـ) .

٣ ــ شيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شيـ) والاخير من كلمة قمـح (ح) .

٤ — شيقم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شـــيـ) والاول من كلمة قمح (قــم) .

واذا مــا استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولّدة لدينــا والمبينة اعلاه،من حيث سهولة النطق بهـــا ووقعها على اذن الســامـــع العربي،فاننا نجــد ان :

١ — تملــم : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ — قمشى : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ — شيح : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لهــا عيبا كبيرا وهو انــه عندما يساء نُطقُها (بكسر حرف الشين) يحصل التباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو برّيـًّا في بعض البلاد العربية وهــو : شِيْح (نكرة) والشِّيْح (معرّفــا) .

٤ — شُيْقَم : اخــفّ من كلمة قملم وقمشى،ولها وقــع موسيقــي، ومستساغة ايضا ، مع عـــدم وجود الالتباس بينها وبين اي كلمة عربية اخــرى .

وعليــه فان :"شُيْقَم" هو احسن اسم عربــي بين هذه الاسماء الاربعة يرشّح لمحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصغير
كلية الزراعة / جامعة الفتح
طرابلس / ليبيــا

أخبار مجمعيّة

نعـي عالـم جليـل

ينعـي رئيس مجمع اللغـة العربية الاردني واعضاء المجمـع زميلهم العالم الجليل المستشرق المجـري :

الحـاج عبد الكريم جرمانوس

الذي انتقل الى جوار ربـه بعد أن تجاوز الخامسة والتسعين من عمره . وكان المرحـوم عضوا في مجامـع القاهرة ودمشق وبغداد، وفي عِدّة مجامع علمية غربية وشرقية.



حاجي عبد الكريم جرمانوس
مع المودة والاجلال ١٩٧٦

وإنّ المجمـع الاردني اذ يعرب عن أسفه الشديد لفقد هذا العالم الجليـل والزميل الكريم ، ليتقـدّم بتعازيه الى اسرة الفقيد ، والى الحكومة المجريـة وجامعة بودابست . تغمّده اللـه بواسع رحمته ورضوانه .

وانا للـه وانا اليه راجعون .

المجمع العلمي الهندي

تلقّى رئيس مجمع اللغة العربية الاردني رسالة من الدكتور مختار الدين احمد ، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكرة والامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، في الهند ، جاء فيها ما يلي :

« يُشرّفنا ان نخبركم باننا هنا ، بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند ، اسّسنا مَجْمَعًا علميًّا عربيا باسم (المجمع العلمي الهندي) ، واصدرنا مجلّة علمية عربيّة باسم (مجلّة المجمع العلمي الهندي) ؛ نتمنّى وندعو الله ان تكون هذه المجلة مجلّة علمية ادبية خالصة ، وتكون همزة وصل بيننا وبين ابناء العروبة ، وتكون ملتقى الاقلام من علماء الشرق والغرب ، وتحمل لواء اللغة العربية في القارّة الهندية العظيمة . وقد صدر العدد الاول منها ، ونرجو ان يلحق به العدد الثاني في المستقبل القريب » .

ونحن نبارك للمجمع العلمي الهندي ، ونتمنّى له الازدهار والعمل المثمر الناجح .

* * *

انتخاب اعضاء من المجمع الاردني اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي :

تلقّى الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، والاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ، عضو المجمع ، وعيسى الناعوري ، الامين العام للمجمع ، رسائل من الدكتور مختار الدين احمد ، الامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، يبلغهم فيها انتخابهم اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي . فللمجمع الشقيق خالص الشكر والتقدير .

المجمع العلمي العراقي

قرر المجمع العلمي العراقي في جلسته الثالثة التي عُقِدَت يوم الثلاثاء ١٣٩٩/١٢/١٦هـ ، ١٩٧٩/١١/٦م ، انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية الاردني وجميعَ اعضاء المجمع ، وعَدَدُهم أثنا عشر عضوا ، اعضاء مؤازرين في المجمع العراقيّ الشقيق . وقد تُلقّى كلٌّ منهم كتابا بهذا الصدد من الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس المجمع .

والمجمع الاردني ، برئيسه واعضائه ، يعتزّ بهذا التقدير الكريم من المجمع العراقي الشقيق ، ويعتبر هذه البادرة تكريما يستحقّ اجمل الشكر واعطر الثناء ؛ وهي ايضا مسؤولية علمية وامانة في حمل رسالة اللغة العربية العزيزة بمزيد من الهمّة والنشاط والغَيْرة ؛ لكي تعود لغةَ علم وحضارة في يومها مثلما كانت في امسها الغابر المجيد .

وفّقنا الله جميعا الى الخدمة المثلى للغتنا وتراثها الغاليين .

* * *

من اجل تعريب التعليم العلمي الجامعي

صَدَرَ عن مجمع اللغة العربية الاردني أخيرا كتاب الرياضيات (حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية) ، تأليف سووكوفسكي ، وترجمة لجنة من اساتذة الجامعة الاردنية المختصين ، في مجلّدين كبيرين . وهو الكتاب الاول من سلسلة الكتب العلمية الجامعية التي قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن حملته الرامية الى تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية . وقد أرْسَلَ المجمعُ نسخة منه الى كل واحدة من الجامعات في الوطن العربي للعلم .

هذا وسَتَصْدُر قريبا كتب (الكيمياء ــ والبيولوجيا ــ والجيولوجيا). واما كتاب الفيزياء فسيتأخر بعض الوقت .

والمجمع يرجو ان تجد حُمْلته اصداءها المرجوّة لدى الجامعات العربية الموقّرة ، بعد ان اصبحَ تعريبُ التعليم العلميّ ضرورةً مُلِحّة ، تستدعيها كرامةُ اللغة ، والحرصُ على دعمها .

* * *

تعريب المصطلحات

أقَرَّ مجلس المجمع في الآونة الاخيرة المصطلحات العسكرية الخاصة بسلاح المدفعية ، وسلاح اللاسلكي ، واللوازم والنقل والتموين العسكري . وسينظر قريبا في مصطلحات سلاح الهندسة ، تمهيدا لاصدارها في معاجم خاصة ، لكلّ سلاح على حِدَة .

ولم ينسَ المجمع الجهدَ الكبير الذي بُذِلَ في وضع (المعجم الموحّد) الذي اشتركت في وضعه الجامعة العربية ، والمجامع اللغوية والعلمية ؛ فهو جهد كبير يستحق التقدير والاجلال . غير ان جُهْدُ المجمع قد اقتصر على الاضافات التي رآها الخبراء العسكريون الاردنيّون ، وما ارتآه المجمع والخبراء من تصويبات لبعض المصطلحات الواردة في (المعجم الموحّد) . وبذلك يكون جهد المجمع مكملا لجهد اللجان التي عملت في وضع المعجم الموحّد .

ومن جهة اخرى ، فرغت اللجان الفنّية في المجمع من حصر مصطلحات التعليم المهني والتقني ، في الزراعة والصناعة والتجارة ، من واقع الكتب المدرسية ، لترسلها بواسطة وزارة التربية والتعليم الاردنية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، في الرباط ، لادخالها ضمن برنامج عمل المؤتمر الرابع للتعريب الذي سيُعقَد عام ١٩٨٠ .

غير أن هذه المصطلحات عينها ستناقَش في اللجنة العامة للمصطلحات والتعريب والمعاجم ، ثم في مجلس المجمع ، لوضعها في اللفظ الأدَقّ والأسلم ، ثم اصدارها في معاجم مستقلّة ضمن منشورات المجمع .